عبد الناصر

وعرب المهجر



فتحى الديب





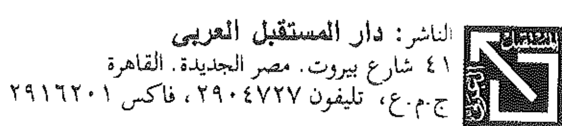
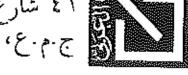
عبد الناصر وعرب المهجر

شهادة فتحي الديب

عبد الناصر وعرب المهجر
شهادة فتحى الديب

الطبعة الأولى ٢٠٠٢

الغلاف : هشام بهجت عثمان




الناشر: دار المستقبل العربى
٤١ شارع بيروت. مصر الجديدة. القاهرة
ج.م.ع، تليفون ٢٩٠٤٧٢٧، فاكس ٢٩١٦٢٠١


الفرسان للنشر
٦٧ شارع العروبة هليوبوليس ١١٣٦١ - القاهرة
ج.م.ع تليفون وفاكس ٤١٧٢٠٢٨ (٢٠٢)- ٤١٧٢٠٢١ (٢٠٢)

رقم الإيداع بدار الكتب القومية: ١٠٠١٠ / ٢٠٠٢
الترقيم الدولى : I.S.B.N. 977-239-186-4

عبد الناصر وعرب المهجر

شهادة فتحى الديب







المحتويات

الصفحة

مقدمة ٩

الباب الأول : التناقضات فى الوطن العربى ١٣

الفصل الأول : تاريخ المجتمع العربى وأبعاده ١٥

الفصل الثانى : التركيب الاجتماعى للأمة العربية ٢١

الفصل الثالث : الطائفية ٢٥

الفصل الرابع : تجدد الحركات الدينية فى القرن التاسع عشر ٤٣

الفصل الخامس : ثورة ٢٣ يوليو ١٩٥٢ .... ٥٧

الباب الثانى : إعلان الوحدة المصرية - السورية وموقف عرب المهجر ٦٥

الفصل الأول : مدى انعكاس اندماج السلك الدبلوماسى
على السياسة الخارجية لدولة الوحدة ٦٧

الفصل الثانى : لبنان وسوريا وفلسطين وعرب المهجر ٧١

الفصل الثالث : الرئيس عبد الناصر يتخذ قراره الابتدائى ٧٧

الباب الثالث : بداية السفر لإنهاء هدف المهمتين ٨٧

الفصل الأول : السفر للمهمة الأولى ٨٩

الفصل الثانى : المغتربون العرب بأمريكا ٩٣

الفصل الثالث : السفر إلى المكسيك وموقف المهاجرين ٩٧

الفصل الرابع : استكمال المرور السريع على المكسيك والسفر إلى بنما ١٠٥

الفصل الخامس : الاستفادة بمعلومات السفرة عن أوضاع بنما ١٠٩

الباب الرابع : اللقاء الأول وعرب المهجر بـ «شيلى» ١٢٧

الفصل الأول: استطلاع موقف عرب المهجر بـ «بيرو» ١٢٩

الفصل الثانى: الطيران إلى «سنتياجو» ١٣١

الفصل الثالث : لقاء مديرى البنكين العربيين ١٤٥

الصفحة

الباب الخامس : اللقاء الثانى بـ «عرب المهجر» فى الأرجنتين ١٥١

الفصل الأول : الوصول إلى «بيونس أيرس» ١٥٣

الفصل الثانى : نوعية تعامل الجاليات العربية مع الأصدقاء وفى مواجهة الأعداء ١٦١

الفصل الثالث : لقاء عميد الجالية السورية ١٦٧

الفصل الرابع : الاستفادة بأعضاء السفارة كمصدر معلومات ١٧٣

الفصل الخامس : وضع الجالية اللبنانية المهاجرة بـ «بيونس أيرس» ١٨٥

الفصل السادس : زيارة عرب المهجر بـ «أوروجواى» ١٩٣

الباب السادس : اللقاء الأخير بـ «عرب المهجر» بـ «البرازيل» ١٩٧

الفصل الأول : عاصمة البرازيل ١٩٩

الفصل الثانى: زيارة سفارة «ج.ع.م» ومعلومات السفارة عن البرازيل ٢٠٣

الفصل الثالث : «ساو باولو» مركز عرب المهجر ٢١١

الفصل الرابع : الجالية السورية بـ «ساو باولو» ٢١٩

الفصل الخامس : الجالية اللبنانية بـ «ساو باولو» ٢٢٧

الباب السابع : انتهاء المهمة والعودة إلى القاهرة ٢٣٩

الفصل الأول : التفاهم مع السفير جمال الفراء لتنفيذ احتياجات مهمتى ٢٤١

الفصل الثانى : الوصول إلى القاهرة واللقاء الأول بالرئيس جمال عبد الناصر ٢٤٥

الفصل الثالث : زيارة الوفد العربى البرازيلى والأرجنتينى للقاهرة ولقاء الرئيس جمال عبد الناصر ٢٤٩

خاتمة ٢٦١

مقدمة

باشرت تسجيل كل ما يتعلق بالخطوط الرئيسية التى تستند إليها خطة وخطوات تحركنا النضالى فى دعم جميع حركات التحرر العربى، على اتساع ساحة الوطن العربى؛ لتتضمنها وبكل تفاصيلها الكتب التى أتممت تسجيل الدور النضالى لثورة ٢٣ يوليو ١٩٥٢ بقيادة الرئيس جمال عبد الناصر؛ لتحرير جميع أقطار الوطن العربى، من الخليج العربى إلى المحيط الأطلسى ، ومن الحدود التركية شمالاً حتى نهاية حدود السودان جنوباً ، وذلك بعد أن أوكل الرئيس عبد الناصر لى هذه المهمة بحضور أعضاء مجلس الثورة بقصر القبة ، وتركيزه علىَّ أمام جميع الحاضرين ؛ بأن توكيلى وتعيينى للقيام بهذه المهمة هو قرار ألزمنى بالالتزام به كوصية شخصية حملنى تنفيذها ، وتم ذلك عام ١٩٦٩.

وبحمد الله وتوفيقه منحنى الله العلى القدير القوة والقدرة على تنفيذ الوصية، بإتمام الكتب التالية:

١ـ عبد الناصر وتحرير المشرق العربى.

٢ـ عبد الناصر وثورة الجزائر متضمناً تونس ومراكش.

٣ـ عبد الناصر وثورة ليبيا.

٤ـ عبد الناصر وحركة التحرر اليمنى.

٥ـ عبد الناصر وثورة إيران.

وهذا هو الكتاب السادس الذى باشرت تسجيله، داعياً الله العزيز أن يمد فى عمرى حتى استكمل تسجيله على الوجه المطلوب، شاكراً وساجداً لله العظيم منحى القوة والصحة والعافية؛ لأكون قد أديت واجبى أمام الله على خير ما يرام، ولله الحمد والتوفيق عز وجل.

وهذا هو الكتاب السادس عبد الناصر وعرب المهجر .والارتباط بالوطن الأم ، وقد تضمنت هذه الكتب إيضاح كل ما يتطلبه تحركنا النضالى والتفصيلى فى إطار دعم قدرات جماهير الأمة العربية على ساحة الوطن العربى الكبير، وإعداد جميع متطلبات كفاح كل أبناء الأقطار العربية، من المناضلين الذين اتصلوا بنا؛ مطالبين ثورة ٢٣ يوليو ١٩٥٢ بدعم وتأييد ومساندة حركاتهم التحررية المناضلة؛ بهدف تحرير إرادتهم وشعوبهم المغلوبة على أمرها، مؤكدين إيمانهم وثقتهم فى الزعيم القائد جمال عبد الناصر، الذى أكد لكل أبناء الأمة العربية أنه الرئيس الأمين المخلص لأمته العربية، والذى لم يتردد منذ قيام ثورة مصر بقيادته فى الاستجابة الفورية فى إمدادهم بجميع احتياجاتهم، الكفيلة بتمكينهم من تحرير أرض الوطن العربى من كل صور الاستغلال والاستعباد والظلم والطغيان، سواء كان من دول الاستعمار الأجنبى، أو نظام الحكم الإقطاعى أو الدكتاتورى المغتصب لحقوق المواطنين، والمحتكر لثروات أرض بلادهم لحساب المستعمر الأجنبى، أو لمصلحة أشخاصهم المغتصبة الطاغية ، وقد استوجب ذلك معالجتنا لمختلف الظروف الموضوعية، التى تؤثر على مجالات تحركنا النضالى، وكفاحنا الحر، بالإضافة إلى تحديد الإطار العام والتفصيلى لقدرتنا على الحركة السليمة والقوية فى المجال العربى، إلى جانب ما يتطلبه منا أبناء ومناضلو جهاز المخابرات العامة، المطلوب منهم - وبصفة مستمرة -القدرة على حماية ثورة الوطن من أعداء الخارج والداخل، وما يستلزمه ذلك الواجب من ضرورة التعمق فى بحث ودراسة الجوانب المختلفة للقوة المناوئة، والمعادية، والمؤثرة فى قدرتنا على تحقيق النجاح؛ للقضاء على مخططاتهم المضادة، مع ضرورة التعمق - وبكل اهتمام - فى تفهم أسلوب تخطيط وحركة العدو؛ حتى نقوم بوضع الأسس التى نستند إليها فى وضع تفاصيل تخطيطنا الصحيح؛ لننطلق فى تحركنا النضالى بكل الاطمئنان والنجاح بلا معوقات.

وقد استرعى انتباهى خلال جميع اتصالاتى بمختلف مستويات وعناصر من التقيت بهم من المسئولين، سواء فى سوريا أو لبنان أو الأردن وفلسطين، وبالذات فئة

المثقفين من أبناء البلد ، وكذلك كبار السن من أبناء البلاد الثلاثة تطرقهم إلى الإشارة فى كل أحاديثهم وفى كلامنا عن الظروف السياسية، ولجؤوهم إلى تناول أوضاع الاستعمار العثمانى لبلادهم فى أوائل القرن العشرين، وإثارتهم ومهاجمتهم لتلك الفترة البغيضة من احتلال الدولة العثمانية لأرض بلادهم وسوء معاملة الأتراك لأهلهم وذويهم بصفة مستمرة، واستغلالهم لجميع ثروات الوطن، وحرمانهم من أملاكهم وأقواتهم، منتهزين كل فرصة ليشيروا إلى حقهم كمسلمين من طائفة السنة؛ ليحرموا بقية أبناء المذاهب الأخرى من حقهم فى الحياة الإنسانية الكريمة .وتدهور الحال إلى أن لجأ الحكام الأتراك وأتباعهم لحرمان أبناء البلد من العيش فى سلام وراحة، بل ومطاردتهم للهروب من الوطن الأم إلى أى بلد يحققون فيه قدرتهم على حياة آدمية كريمة.

وأجمع كل أبناء الأقطار الثلاثة على هجرة العديد من أبناء أوطانهم إلى دول أمريكا اللاتينية، بعد أن تمكنوا من الحصول على جوازات سفر تركية؛ نظير شرائها بأساليب عديدة، وممارستهم القيام بأعمال مجهدة بأجر بسيط، واضطرارهم - فى بعض الأحوال والظروف الهادئة فى معاملة الأتراك لهم - لدفع مبالغ كبيرة أكبر من طاقتهم المعيشية، وشراء تذاكر سفر على السفن التى تنقل البضائع وبعض فقراء الركاب؛ لتنقلهم إلى أراضى أمريكا الجنوبية؛ ليهبطوا على أرضها، ويبدأوا فى ممارسة بعض الأعمال التى يجيدونها بالتدريج؛ حتى أمكنهم بعد سنوات عديدة من بداية الاطمئنان على مستقبلهم، وتأمين حياتهم الكريمة، والحصول على جنسية البلاد التى هبطوا على أرض عاصمتها، ومن ثم حصلوا على جوازات سفر لعائلاتهم كلما أمكن ذلك.

وقد تبين هجرة العديد من السوريين واللبنانيين والفلسطينيين إلى البرازيل والأرجنتين وأورجواى ثم شيلى، إلى أن وصل تعدادهم بعد أن تجمعوا على أرض تلك الدول ليعيش أبناء كل وطن واحد غالبية فى دولة لاتينية واحدة ، وأصبحت البرازيل والأرجنتين تضمان أكثرية سورية ولبنانية فى حدود ثلاثة ملايين ونصف مليون نسمة وتجمع غالبية الفلسطينيين فى شيلى، ووصل تعدادهم إلى مليون ونصف مليون نسمة.

وحينما طالبت فى استفسارى لبعض الأخوة أبناء سوريا ولبنان والأردن وفلسطين، وسؤالهم لمعرفة الأسباب التى أدت إلى تلك الهجرة الجماعية ومبرراتها، تحدث الكثير منهم وسردوا العديد من القصص عن المعاناة التى واجهتها العديد من الأسر بالدول الثلاث المذكورة؛ نتيجة التناقضات المميزة لسكان كل قطر.

واضطررت إلى التفرغ بعض الوقت؛ لأواصل البحث والدراسة المتعمقة؛ ليمكننى

الوصول إلى الإلمام بجميع الأوضاع على اختلاف مجالاتها، ويصبح لدى تقييم شامل وكامل للقوى المناوئة، سواء كانت داخلية أو خارجية، والإلمام بمخططاتها فى كل من سوريا ولبنان وفلسطين، والظروف الدولية والمحلية التى تعايشها جماهير الأقطار الثلاثة، وكذا باقى أقطار المشرق العربى ، مركزاً على أهمية مراعاة التعمق - وبكل التفاصيل - فى التناقضات المسيطرة على قدرات وإمكانيات سكان الوطن العربى؛ للتعرف على الأهداف، وما تشكله من عقبات ومؤثرات فى حركة المجتمع العربى سابقاً وحالياً ، ومن ثم تبدأ دراستنا فى أسلوب مقاومة هذه التناقضات الضارة والمعوقة لقدرة وحركة المجتمع العربى.

كما لا يفوتنا شكر كل من ساهموا فى إخراج هذا الكتاب فى صورته النهائية وهم الأستاذة / إيمان أحمد مرعى ، والأستاذ / مجدى سعد مكى أحمد.

الباب الأول

التناقضات فى الوطن العربى



الفصل الأول

تاريخ المجتمع العربي وأبعاده

يجدر بنا كي نتعرف على عمق أى مشكلة وأبعادها، أن نتقصى كل ما يحيط بها من عوامل ومؤثرات، وهذا يقتضى منا تناول جميع التناقضات التى يعيشها الوطن العربى، متسائلين إن كنا نبحث عن الجذور التاريخية لهذه التناقضات، أم يقتصر تناولنا على التناقضات كظاهرة ملموسة لها أثرها العميق فى الوطن العربى، مما يجعلها تؤثر فى النهاية على تحقيق آمال الأمة العربية فى حريتها واشتراكيتها ووحدتها ؟ أم هل نترك العوامل التى أدت إلى وجود هذه التناقضات اكتفاء بواقع هذه التناقضات، واستغلال القوى المناوئة لآمال الأمة العربية لوجودها، والعمل على تنميتها وإذكائها، ثم نتطرق بعد ذلك إلى القيام بمواجهة هذه التناقضات، بالتحليل التفصيلى الدقيق؛ لنصل إلى أعماقها وسبل القضاء على تأثيراتها الضارة.

الواقع أن دراسة هذا الموضوع تحتم علينا أن نجمع بين المنهجين؛ حتى تخرج الدراسة بنتائج إيجابية، إذ لا يمكن الوصول إلى حلول إيجابية دون التعرض للأسباب التى أدت على مدار التاريخ إلى وجود التناقضات واستغلالها بالصورة التى تعين المستعمر على استغلالها، ولا يمكن للمد العربى الثورى أن يأخذ طريقه، ويتحرك بالسرعة الواجبة دون التعرف عى جذور المشكلات، وأسباب وجود المعوقات، خاصة أن أى تحرك على الساحة العربية لا يمكن أن يؤدى نتائجه، ويؤتى ثماره إلا إذا كان مبنياً على أساس وعى كامل، وفهم عميق، للأسباب التى تؤثر على حركة الواقع العربى، بحيث يكون هذا التحرك على

دراية كاملة بالتناقضات الحالية، والأسباب التى تعرقل حركة المسيرة العربية، حتى يتفادى الاصطدام بها، أو يتحمل مغبة عدم أخذها فى الاعتبار.

وما من شك فى أن الأمة العربية وهى تتحرك فى سبيل تحقيق أعز آمالها وهى «الوحدة» تجد من خلال دروس التاريخ وعبره، أن هناك تناقضات رئيسية لعبت دوراً كبيراً وحالت دون تحقيق أهداف النضال العربى بالصورة المتكاملة، متجسدة فى وحدة عربية شاملة، ذات محتوى سياسى ومضمون اجتماعى سليم.

التناقضات الأساسية :

يمكننا أن نركز التناقضات الأساسية فى المجتمع العربى فى:

- الطائفية.
- الإقطاع والرجعية العربية.
- رواسب الاستعمار.

ـ الطائفية :

ويقتضينا التعرف على هذا التناقض الأساسى الاستعانة بالتاريخ لنعود إلى مرحلة ما قبل ظهور الإسلام.

كان المجتمع العربى قبل الإسلام يعيش جاهلية حمقاء، وكان المجتمع المسيحى فى أوروبا يعانى من صراع واضح بين الكنيسة الشرقية والغربية، الذى تتلخص أسبابه فى انصراف رجال الدين المسيحى عن واجباتهم الدينية؛ تطلعاً إلى أطماع دنيوية.

وبظهور الإسلام أمكن للرسول - بفضل التعاليم السماوية ووضوح الرؤية -أن يحقق للمجتمع العربى لوناً من العدالة والمساواة لم يألفه هذا المجتمع، وأن تحل الوحدة والوئام محل الفرقة والخصام، وأن يستقطب هذا المجتمع حوله، وأن تذوب الصورة القبلية الجاهلية، التى كان يعيشها هذا المجتمع، مما مكن من قوة الإسلام بأبنائه، وأدى إلى ظهور الدولة العربية الإسلامية.

ولعل السبب الرئيسى والعامل المؤثر؛ هو شخصية سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم، وبعدها عن مواطن الشبهات، وعدم استغلاله للدين فى تحقيق مآرب دنيوية، مما مكنه من أن يبشر بالدعوة الإسلامية، ويعمل على انتشارها، على الرغم من النظام القبلى الذى كان يسيطر على المجتمع العربى، وبهذا استطاع أن يوجد مجتمعاً عربياً

إسلامياً واحداً، يعرف الوحدة بمفهومها الحقيقى لأول مرة فى تاريخه.

وسار أبو بكر وعمر على هدى الرسول الكريم، من إتباع لتعاليم الدين وتطبيق هذه التعاليم بأسلوب لا ينطوى على الاستغلال، ولا تدفعه المصالح والنزوات الشخصية، مما كان له أثره فى الحفاظ على وحدة المجتمع العربى، وتحرك هذا المجتمع لينشر دعوة الإسلام ويمد نورها إلى بقية أجزاء الوطن العربى.

وجاء عصر عثمان، وكان بداية نقطة الاهتزاز التى ترتب عليها كثير من التناقضات التى عاقت حركة المجتمع العربى، وأدت إلى عدم احتفاظ هذا المجتمع بوحدته، إذ كان عثمان يعيش فى جو من المؤثرات ويحيط به بعض العناصر التى رأت فى حكمه منطلقاً لتفتيت وحدة المجتمع، مندفعة إلى ذلك بحكم تأثر مصالحها بالتشريع الإسلامى الهادف إلى العدالة وعدم تركيز الثروات فى أيدى أفراد قلائل مثل معاوية بن أبى سفيان، فضلاً عن بعض العناصر الغريبة التى كان يؤرقها امتداد الإسلام وانتشاره، وأثر ذلك على الحضارات السابقة عليه.

ثم تولى على بن أبى طالب الخلافة، وبايعه الجميع ما عدا معاوية بن أبى سفيان، الذى كان متشبثاً بأطماع الدنيا على حساب الدين، تحت تأثير العناصر الغريبة التى رأت فيه أداة لتحقيق أهدافها.

ولما رفض معاوية مبايعة على، كان من الطبيعى أن يجرد على جيشاً ليخضع معاوية لبيعته، وكانت معركة «صفين »وكادت جيوش على تنتصر فيها على جيوش معاوية، واضطر على إلى أن يوقف القتال تحت ضغط رفع المصاحف الذى قام به أنصار معاوية، وهنا بدأت عملية التحكيم، وما اكتنفها من حيلة أدت إلى تثبيت معاوية فى الخلافة.

بداية ظهور الانقسام :

من هنا ظهرت أولى بوادر الانقسام ؛ انقسام أنصار سيدنا على إلى ثلاثة أقسام:

أ- الخوارج : وهم الذين انشقوا على طاعة على.

ب- الشيعة : وهم الذين أيدوا على بن أبى طالب وأولاده من بعده.

جـ- المرجئة : وهم الذين وقفوا على الحياد من أحداث النزاع بين الحزبين السابقين وأرجأوا الحكم عليهما إلى يوم القيامة إلى الله سبحانه وتعالى.

وأخذ الفرس يتسللون بين تلك الأحزاب، بتوسيع شقة الخلاف بين الأطراف المتنازعة

تارة، وبإثارة الريبة فى النفوس عندما كانت تبذل بعض المحاولات لتوحيد الصف العربى تارة أخرى.

وكان هدف الفرس والعناصر الأخرى الغريبة كاليهود من إذكاء هذا الانقسام، هو تفتيت وحدة المجتمع العربى، وتحركهم بما يخدم أهدافهم فى هدم هذه الوحدة.

ولم يقتصر مخططهم على مجرد إذكاء الخلاف بين الأقسام الثلاثة الموجودة، بل عملوا على تفتيت كل قسم منها إلى مذاهب مختلفة، كانوا يغذونها باستمرار بأفكار غريبة على الدين، ويدخلون فى روعها مفاهيم جديدة تهدف إلى هدم القيم الإسلامية، ومن ثم هدم وحدة الدين، ولذلك لم يكن غريباً أن نجد الكثير من البدع البعيدة عن الدين، ينادى بها أنصار مذهب الشيعة بمختلف تفرعاتهم التى وصلت فيما بعد إلى حوالى ١٢٠ مذهباً وطائفة.

ومن هذا يتضح أن التمسك بأهداف الدين بعيداً عن المؤثرات الغريبة والنزعات الشخصية كان العامل الرئيسى فى تحقيق وحدة العرب، وبظهور الانقسامات بينهم بفعل العوامل الغريبة التى تسللت إلى المجتمع العربى، وكان لها تأثيرها بدأ نوع من التصدع فى المجتمع العربى، يستند أساساً إلى الصراع المذهبى والطائفى.

وقد انعكس الصراع بين مختلف المذاهب والطوائف بصورة عامة على المجتمع وحركته، حتى وصلت نتائج هذا الصراع إلى حد المقت، والكراهية، والصدام فى بعض الأحيان.

وقد استمر هذا الوضع، وكان يغذى هذه الخلافات بعض الحكام الذين اتخذوا من أسلوب الصراع الطائفى سبيلاً إلى إحكام سيطرتهم على المناطق التى يحكمونها.

وجاء الاستعمار العثمانى، ووجد الأتراك أن أفضل السبل لإحكام السيطرة على المجتمع العربى - بالإضافة إلى وجودهم العسكرى - هو صورة المجتمع العربى نفسها بما تعانى من انقسام وصراع طائفى، فاستغل الاستعمار العثمانى هذا الواقع المتصارع، بإذكاء الخلافات بين الأطراف المتصارعة، ثم محاولته إصلاح هذه الخلافات؛ حتى يظهر أمام الجميع بمظهر المخلص المنقذ، الذى يهدف إلى تحقيق الاستقرار فى المجتمع، والحفاظ على وحدته، ولكنه كان فى واقع الأمر يهدف إلى تنمية الصراعات الموجودة حتى يضمن بذلك استمرار سيطرته على المجتمع العربى.

واستفاد الاستعمار الغربى من هذا التناقض الطائفى من الدروس التى تم تجميعها

من أسلوب الاستعمار التركي، في تنمية هذا التناقض وعمل على أن يسود مختلف أجزاء الوطن العربي، بإثارة الفتن بين الطوائف المختلفة، واستغلالها كتناقض رئيسي يمكنه من إحكام السيطرة على هذا الوطن واستنزاف ثرواته.

بالإضافة إلى ذلك فإن بعض الحكام العرب كانوا يمارسون الأسلوب نفسه، ويتبعون الوسائل نفسها، حتى لا تؤدي وحدة شعوبهم إلى الإطاحة بهم، مثال ذلك : ما كان يتبعه حكم الإمامة في اليمن قبل الثورة، من إثارة الفرقة والمنازعات المستمرة بين الشوافع والزيدية والإسماعيلية.

وما من شك في أن وجود هذا التناقض الطائفي يعوق حركة المجتمع؛ لأنه يوجه اهتمام كل طائفة إلى الخلافات بينها وبين الطوائف الأخرى.

ولكن من يتابع حركة التاريخ العربي، يجد أن المجتمع العربي - على الرغم من وجود هذا التناقض الرئيسي - كان يتحرك بصورة متكاملة موحدة في أي مرحلة يحس فيها بوجود خطر يتهدد كيانه، مثال ذلك : تحرك العرب بمختلف أديانهم وطوائفهم في مواجهة الحرب الصليبية في الماضي، وتحرك العرب بمختلف أديانهم وطوائفهم في مواجهة الخطر الصهيوني في المرحلة الحاسمة التي يمر بها حالياً.

رؤساء الطوائف وممارسة السيطرة :

والمجتمع الذي يسوده التناقض الطائفي لا تتضح خطورة واقعه من خلال الانقسامات بين هذه الطوائف فحسب، ولا من خلال إذكاء الحكام والمستعمرين لهذه الانقسامات أيضاً، وإنما من خلال الاستغلال الذي يمارسه رؤساء هذه الطوائف - تحت شعار الدين - للأفراد التابعين للطائفة كذلك . إذ تمثل الطائفة مجتمعاً طبقياً بكل ما تحمله هذه الكلمة من معان، فرئيس الطائفة يمثل قمتها الذي تأتي إليه خيراتها، وقاعدة الطائفة أو أتباعها يمثلون قاعدتها التي تكد وتكدح في سبيل زعامة الطائفة، ومن هنا كان من مصلحة رؤساء هذه الطوائف الإبقاء على أوضاعها القائمة . ومن هنا كان الاستعمار يركز على هؤلاء الرؤساء ليأمن جانبهم، لأنه بذلك يضمن قمة الطائفة وأتباعها أيضاً. ويكفي أن نتذكر أن أحد رؤساء الطوائف (الشيعة) في إحدى دول الوطن العربي يحصل على خمس الدخل السنوي الذي يحصل عليه الشيعة، وذلك بحكم وجوده كرئيس للطائفة، وبحكم سيطرته على أفراد الطائفة باسم الدين، حتى أن دخله السنوي يصل إلى حوالي ٨ ملايين جنيه إسترليني.

ولكى نوضح مدى تأثير هذا التناقض على طبيعة تكوين المجتمع العربى الحالى، أوضح فيما يلى أهم الطوائف والمذاهب الدينية الموجودة فى كل قطر من أقطار الوطن العربى، مع شرح كيف تم نشأت كل طائفة أو مذهب، ومن المؤسس ومكان بداية نشاطه، ومدى انتشاره وإلى أى مدى.

الفصل الثانى

التركيب الاجتماعى للأمة العربية

لقد استطاعت التقدمية العربية بمفهومها الثورى أن تنتشر بين جماهير الشعب العربى، منطلقة فى تخط كامل للحدود الطائفية التى ما زالت تشكل التناقض الأساسى فى تركيب البناء الاجتماعى لجميع أقطار الوطن العربى.

وقد كان هذا التناقض الرئيسى منعكساً بصفة مستمرة على الحركات الثورية التى عاشها الشعب العربى، الأمر الذى وضحت آثاره بشكل ملموس على حركة الثورة العربية.

ولذلك وجدنا الثورة العربية - رغم محاولاتها المستمرة فى صراعها مع عُقد الفساد -لم تستطيع أن تنعزل عن التأثر بهذه العقد بالذات، فتعانى منها داخل تنظيماتها وتكتلاتها، مما حد من نموها وشمولها، وغالباً ما كانت تقع أسيرة لمنطق التناقضات الطائفية ودوافعها.

ولم يكن هناك أى عذر لمن تصدوا لقيادة الثورة العربية قبل قيام ثورة ٢٣ يوليو ١٩٥٢ فى تقصيرهم - إن لم يكن تجاهلهم - فى تفهم ودراسة الواقع العربى وتناقضاته، التى تشكل الطائفية الدور الكبير فيها . الأمر الذى أدى إلى اكتفاء هذه القيادات بالقناعة فى الانتشار الكمى، بينما حمل الجسد الثورى جراثيمه، ناقلاً لها من واقعه المتناقض ومن الفساد الذى أحاط به كل معوقات النمو الثورى المبنى على التعمق فى دراسة تكوين

الفرد وعقليته وسيكولوجيته، وترتب على هذا الوضع ازدواجية السلوك لدى كل من تصدى للعمل القومى، سواء على مستوى القيادة أم فى صفوف القواعد الشعبية التى حملت مسئولية رفع الشعار القومى والتحرك بالجماهير لتحقيق آمالها فيه، ومن ثم انحرفت هذه القيادات عن أهدافها الأصيلة فى إطار محدود بحدود الواقع الإقليمى وتناقضاته.

وإذا اخترنا حزب البعث بسوريا كنموذج نجده كالآتى :

اعتمد فى تكوين إطاراته على طائفة العلويين، الذين نزحوا مع الأرسوزى - مؤسس فكرة الحزب - إلى دمشق، ومن ثم نفذ إلى شباب العلويين فى ثانويات اللاذقية والساحل وطائفة مثقفى الدروز الذين كانت تربط عفلق بهم صداقات عائلية قديمة فى السويداء، وبذلك نرى أن بنية الحزب الاجتماعية انحصرت فى المثقفين من جذور طائفة «علوية درزية إسماعيلية».

وقد حملت هذه الإطارات الأساسية للحزب عقدها الطائفية، ولم تستطع التربية الحزبية العفلقية بشعاراتها الغيبية أن تقضى عليها.

القومية العنصرية :

كما نمت التنظيمات القومية العنصرية كالحزب القومى السورى على الاستفادة من التعصب الطائفى، بالإضافة إلى اعتماد هذه التيارات السياسية فى فلسفتها على بعث كيانات إقليمية قديمة، مثل: الفينيقية، والكنعانية، والفرعونية ويسير فى الإطار نفسه حزب التحرير،الإخوان المسلمون، عباد الرحمن، حزب الكتائب، منظمة الغساسنة.

هذه المنظمات التى استثمرت أقوى وأقدم عاطفة لدى جماهيرنا العربية فى الارتباط بالدين، سواء المسيحى أو الإسلامى.

وقد اتجهت هذه التنظيمات فى دعم الطائفية والإقليمية وتغذيتها إلى استغلال المصالح اليومية للمعيشة، تارة باسم الحفاظ على مصالح الطائفة، وتارة باسم الحفاظ على كيان الطائفة ومعتقداتها الدينية.

وقد ترتب على ذلك الوضع انحراف ثورة جماهيرنا العربية منذ مطلع القرن العشرين عن أهدافها الحقيقية إلى السعى وراء المكاسب والتسويات لمصلحة الطائفية والإقطاع.

ومن هنا تظهر حتمية دراسة الواقع العربى بعمق، لتحديد معوقات العمل الثورى،

للوصول إلى الحلول الإيجابية لتفتيت التناقضات؛ لمنع تسربها إلى قدرات العمل الثورى.

ولا شك أن هذه الدراسة تحتم البدء بالامتداد التاريخى للطائفية، ومنشأها، وارتباطها بالقبلية والإقليمية والإقطاع فى طورها «الأول»، ثم الانتقال فى المرحلة التالية إلى ارتباطها بالمؤثرات الخارجية والغربية عن واقعنا العربى، حتى نصل إلى جذور المشكلة ونستأصلها.

قد يعترض البعض على معالجة مثل هذا الموضوع، اعتقاداً منهم بأن إثارته قد تساعد على إذكاء نار الطائفية. إلا أن العلاج الموضوعى البعيد عن التطرف لا شك أنه أمر تحتمه طبيعة الظروف التى يعيشها الوطن العربى، وكذلك تحقيق آمال الشعب العربى فى الوحدة الشاملة التى ترنو إليها قلوب الثوار العرب، بما تتطلبه هذه الوحدة من استمرار واستقرار؛ حفاظاً على مصالح الأمة العربية، وتحقيقاً للعدالة الاجتماعية التى يفتقر كثير من أبناء الوطن العربى إليها.

كما أن الدراسة العميقة لتطور الطائفية، مع الاستيعاب الكامل لأدوارها عبر التاريخ العربى، والكشف عن أخطارها، لتنطلق فى حرب عليها مؤمنين بأن أى محاولة للقضاء على الطائفية تظل سعياً مبتوراً ما لم تتضافر فيها المحبة المسيحية السمحاء مع المساواة الإسلامية العادلة.

ولنا مما جاء فى الميثاق الوطنى ما يؤكد هذا الوعى العميق:

إن الميثاق يرى أن الدين، والعلم، والفلسفة، والتاريخ أساس الوجود الإنسانى، وأن رسالات السماء كلها فى جوهرها ثروات إنسانية، استهدفت شرف الإنسان وسعادته.



الفصل الثالث

الطائفية

تعريف الطائفة :

هى جماعة من الناس ، يجمعهم رأى أو مذهب يمتازون به عن سواهم (التعريف الفرنسى لاروس).

الطائفى : من يتتبع بحماسة مفرطة آراء طائفة دينية، أو فلسفية معينة.

الطائفية بصفة عامة تعنى : الاقتراب من الشىء لإدراك حقائقه وتعاليمه، ومن هنا كانت الطائفية وجوداً نسبياً مبهماً غامضاً للدين، لا وجود مطلق ... تولدت منها العصبية، التى هى وليدة الجهل بحقائق الدين.

ولذا يمكننا القول بأن الطائفية لها وجهان:

أ- الطائفية الدينية : تقوم على العصبية الدينية، والتعلق بمعتقدات الطائفة إلى حد كره الطوائف الأخرى، بل ومحاربتها دون فهم لحقائق وتعاليم الدين.

ب- الطائفية السياسية : تنطلق من أساس دينى ظاهرى، لتصل إلى هدف سياسى اجتماعى لا تربطه بجوهر الدين صلة، بل تسعى إلى إيجاد انقسامات اجتماعية وفكرية ودينية داخل المجتمع الواحد بقصد تجزئته.

وقد عانى الوطن العربى من كلا النوعين.

أولاً : أشكال الطائفية :

لقد تعددت الطائفية واتخذت صوراً عديدة، تبعاً للعصر الذى سادت فيه، وبالتالى الأسباب التى دعت إلى تفاقم ووجود الطائفية.

أ ـ **طائفية ما قبل المسيحية :** (قبلية - إقليمية).

ظهرت فى شكل دويلات ، غذى رجال الدولة وحكامها الطائفية فى نفوس شعوبهم؛ ليستغلوا هذا الوضع فى تحقيق مصالحهم السياسية والتجارية.

ب ـ **طائفية القرون الميلادية الستة الأولى :** (سياسية ـ مذهبية).

انطلقت أساساً من الصراع السياسى حول السلطة والحكم، سواء فى الإسلام (الدولة الأموية - العباسية - الفاطمية) أو فى المسيحية (كنيسة شرقية فى بيزنطة وكنيسة غربية بروما).

جـ ـ **طائفية القرون الوسطى :** (من العهد الأموى حتى القرن التاسع عشر) (إقطاعية مذهبية - قبلية).

د ـ **طائفية العصر الحديث :** (مذهبية ارتبطت بقوى أجنبية) برزت بشكل واضح خلال العهد الاستعمارى العثمانى - عمق الأتراك المفهوم الطائفى لضمان سيطرتهم على الوطن العربى.

وحين ضعفت تركيا برزت القوى الخارجية (إنجلترا - فرنسا - روسيا - إيطاليا) كل يحتضن طائفة ضد أخرى؛ بهدف إيجاد سند شرعى للتدخل فى أمور الدولة العثمانية.

وكان من نتيجة بلوغ الطائفية المذهبية ذروتها أن تفتت جسم الأمة العربية.

هـ ـ **طائفية العصر الحالى المعاصرة :**

حينما شعر أصحاب المصالح الطائفية أنفة الفرد العربى من الطائفية، واعتباره لها نقصاً لا يجب الإعلان عنه - ابتدعت القوى المسيرة للطائفية من كهنوت- إقطاع - قوى خارجية - احتكارات رأسمالية ... الخ.

أولاً : الطائفية الدينية :

لاشك أن نزول الرسالات السماوية طور من المفهوم الإنسانى للدين والآلهة، فقد

أصبح الإله لكل الناس بمختلف أجناسهم.

إلا أن الإنسان لم يستطع مجاراة إنسانية وعلمانية الأديان السماوية فى مفاهيمها الجديدة، ولم يستطع تحرير نفسه من الخرافة القديمة الطائفية والقبلية التى تدعى أن خدمة الله لا تتم إلا على صعيد النزاع والحرب (الصراع القديم).

الطائفية فى المسيحية :

يعتبر رجال السلطة الزمنية ـ من مالكين وإقطاعيين - المسئولين الرئيسيين عن الصراع بين الفرق المسيحية، وقد عاونهم فى ذلك رجال الكهنوت.

وعندما ظهر الإسلام لم يكن الصراع بين الفرق المسيحية فى الوطن العربى إلا صراعاً مذهبياً بين الطوائف المسيحية حول طبيعة السيد المسيح، غذته أطماع الإمبراطورية البيزنطية فى سبيل سيطرتها على مسيحيى الشرق تحت ستار وحدة العقيدة المذهبية.

واستمر الصراع الطائفى بين المذاهب المسيحية؛ لأن جل اهتمام رجال الطائفة تغذية التعصب ضد الطائفة الأخرى للقضاء عليها.

يقول الأب الدبسى : «لم يكن مجىء الإسلام عاملاً على وقف التناحر بين الطوائف المسيحية ، إذ واصلت تعصبها المذهبى وكثيراً ما كانت الطائفة الواحدة تحرض المسلمين على اتباع الطائفة الأخرى».

وخلال الحملات الصليبية حين تعاون الموارنة مع الصليبيين أعلن الأرثوذكس والسريان واليعاقبة - معارضتهم لهم والوقوف بجانب المسلمين ضد الغزاة.

وفى عام ١٥٣٩م قام صراع دموى بين الأرثوذكس والموارنة؛ بسبب العيد والصوم، واشترك الكاثوليك بعد ذلك بثمانى سنوات فى التآمر مع الأرثوذكس ضد الموارنة، وقاموا بقتل عبد المنعم حنا مقدّم بشرى - لبنان.

وفى عام ١٧٢٥م حدث نزاع فى حلب بين الروم الملكيين، وبين الأرثوذكس، واضطر الملكيون إلى الهرب إلى لبنان، فتلقاهم الموارنة بالترحاب.

واستمر العداء المذهبى بين الموارنة والأرثوذكس فى القرن الماضى حتى قال اللورد دفرين الإنجليزى : «إن التباغض الكائن بين الروم والموارنة ليس بأقل من عداوة الموارنة للدروز».

وهدد البطريرك المارونى أبناء رعيته بالحرمان الكنسى؛ عقاباً لمن يقترب من أى بروتستانتى أو يتعامل معه وجارى الأرثوذكس الموارنة فى اضطهاد البروتستانت ، وهكذا

نجد الطائفية تلعب دوراً رئيسياً فى منع إقامة الوحدة الوطنية لأبناء الوطن الواحد.

الطوائف المسيحية :

أولاً : النساطرة :

حاول الكاهن نسطور فى القرن الخامس الميلادى أن يصل إلى حل حول طبيعة السيد المسيح، ونادى بأن الإنسان الذى تجسد فى جسم العذراء هو غير كلمة الله ، ويعنى ذلك أن الله لم يولد، ولم يمت، وأن المسيح ليس إلها، بل هيكلاً للإله.

وقد عهدوا الدولة الإسلامية إلى شمال العراق واتخذوا من مقرهم الجديد منطلقاً تبشيرياً لغزو الهند والصين، حيث أدخلوا أعداداً كبيرة من الهنود وانضمت كنيسة الهند إلى بطريركية بغداد.

ثانياً : الروم الملكيون أو الكاثوليك :

وهم الذين التزموا بمقررات مجمع مقدونيا ٤٥١م، التى اعتنقتها كنيسة بيزنطة، وهى الإقرار بوجود طبيعتين فى المسيح : طبيعة لاهوتية ، وطبيعة ناسوتية.

ثالثاً : اليعاقبة :

أتباع يعقوب البردعى، الذى آمن بدعوة أوطيخا ونشرها بين السريان، وكون مذهباً سمى باسمه، وينادى بطبيعة واحدة فى المسيح وهى الطبيعة الإلهية، وقد انتشر هذا المذهب بين الأرمن وبين المصريين والأحباش وسوريا بصفة عامة.

رابعاً : الموارنة :

أتباع مارون الناسك، الذى أسس فى سوريا ولبنان طائفة مسيحية عهد إليها بمعاضدة البيزنطيين ضد اليعاقبة والسريان . وتنادى هذه الطائفة بوجود طبيعتين للمسيح: طبيعة إلهية، وطبيعة بشرية، ومشية واحدة.

وعاش هذا الراهب فى سوريا فى نهاية القرن الرابع وأوائل القرن الخامس الميلادى ، واعتبر قبره ديراً ومركزاً رئيسياً لتلك الجماعة، واعتبر قديساً ونسبت الطائفة له.

عندما هاجم اليعاقبة فى سوريا دير مارون وقتلوا ٣٥٠ راهبا هاجرت الطائفة من سوريا إلى لبنان، واتسع نطاق التبشير، واعتبر لبنان المركز الرئيسى لها.

خامساً : البروتستانت :

ويطلق عليهم المنشقون أو المحتجون على تعاليم الكنيسة الكاثوليكية، فقد أراد مارتن

لوثر صاحب هذا المذهب أن يرجع المسيحية إلى بساطتها وطبيعتها الأولى.

تحرم كثيراً من العبادات التى انتقلت إلى المسيحية من الوثنية، مثل :تحريم وضع الصور فى الكنائس ـ تحريم تماثيل العذراء والمسيح فى الكنائس ـ زواج الرهبان.

لم ينتقل هذا المذهب إلى الشرق إلا على أيدى المبشرين الإنجليز والأمريكان فى العصر الحديث منذ القرن التاسع عشر، ولكنه لم يجد قبولاً، وانحصر اتباعه فى جماعات ضئيلة فى بيروت وسوريا وبغداد.

سادساً : الروم الأرثوذكس :

الأرثوذكس تعنى؛ استقامة الرأى، وتنادى بوجود طبيعة واحدة فى السيد المسيح، وهى الطبيعة الإلهية.

وتتركز فى سوريا، وأعداد قليلة فى لبنان.

الطائفية فى الإسلام :

ظهورها التاريخى :

بعد وفاة الرسول، اختير أبو بكر خليفة لرسول الله ، وقد ساء هذا الاختيار سيدنا عليًا ومريديه، إذ اعتبروه أحق بالخلافة من أبى بكر.

وعند مرض أبو بكر عين عمر خليفة للمسلمين، لمواجهة الظروف الاستثنائية التى تمر بها الدولة الإسلامية (جيوش فى الخارج - تفادى الانقسام الذى يعرض الجيوش إلى الهلاك).

خلال حكم عثمان اشتدت المعارضة لحكمه ، فاغتيل.

انتخب على بن أبى طالب خليفة للمسلمين يوم مقتل عثمان ، ودان له الجميع عدا معاوية والى الشام ، وكما هو معروف ووضحته أنه خلال قتال على لمعاوية رفع جند الأخير المصاحف ونادوا بالتحكيم.

(عمرو بن العاص عن معاوية - أبو موسى الأشعرى عن على) وثبت عمرو معاوية وخلع عليًا إلا أن بعض جند على رفضوا مبدأ التحكيم وخرجوا عليه.

معركة صفين :

انقسمت بعدها الفرق الإسلامية إلى :

أ ـ الخوارج : من خرجوا على على.

ب ـ الشيعة : وهم الذين ثبتوه ونصروه ، وقالوا نحن نشايع من تشايعه ، ونعادى من تعاديه.

ويعتبر ذلك أول ظهور تاريخى سياسى لفرقة الشيعة.

واغتيل سيدنا على على يد عبد الرحمن بن ملجم.

الخوارج :

معظمهم من قبيلة تميم، تطوروا من مناداتهم بعدم أحقية على فى الخلافة، إلى الطعن فى مسلك عثمان، ثم وصموا بالكفر والارتداد عن الدين كل من لا يجاريهم فى التبرؤ من على وعثمان.

ونادوا بمبدأ الخروج على الحاكم إذا ارتكب ما يبرر خلعه، وقد استندوا إلى هذا المبدأ فى تخليهم عن على بعد موقعة صفين.

سيطروا على اليمامة (حضرموت - اليمن - الطائف)، وكادوا يستولون على مكة والمدينة ما بين (٦٨٤ ـ ٦٩٣م).

انقسموا إلى عدة فرق:

أ ـ الأزارقة.

ب ـ الإباضية : انتقلوا إلى شمال أفريقيا فى النصف الأول من القرن الثانى الهجرى بزعامة أبو خطاب، وأسسوا الأسرة الرستمية (ابن رستم الإباضى) وتشتتوا إلى تونس والجزائر.

جـ ـ الصفرية : احتلوا القيروان - عام ٦٥٧م - اعتنق مذهبهم البربر برئاسة طريق بن صالح الذى ألف قرآناً باللغة البربرية من ثمانين سورة، منسوبة إلى أسماء النبيين، وأولاها سورة أيوب.

تطرفت بعض فرقهم تحت مؤثرات فارسية، وأعلن يزيد بن أبى أنيسة قيام اليزيدية، زاعماً أن رسولاً جديداً فارسى الأصل سيبعث، وأن الله سبحانه وتعالى سينزل عليه كتاباً كتب فى السماء، وأن هذا الرسول المزعوم سيكون على ملّة الصابئة التى ذكرت بالقرآن.

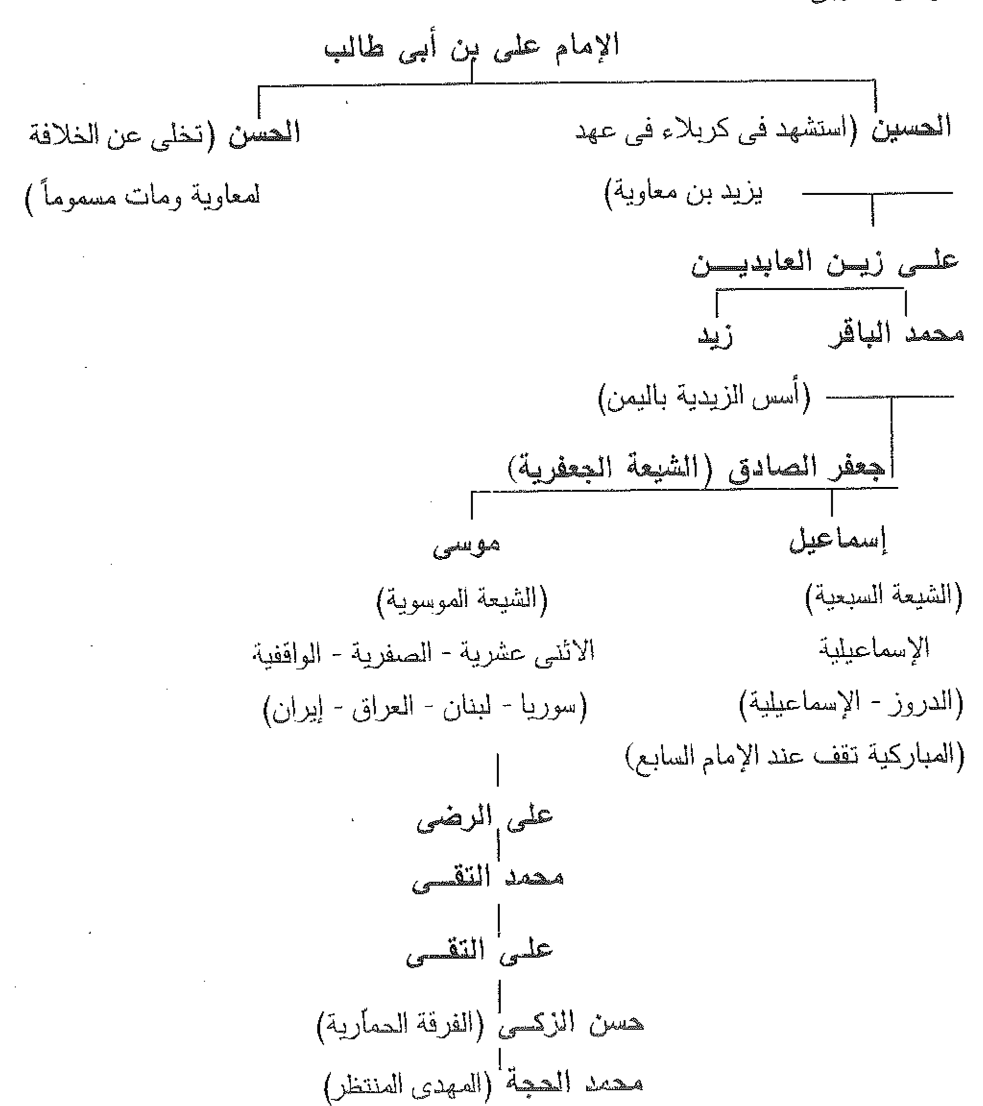
وذهب بعض الخوارج إلى القول بأن قيام الإمام ليس من الفروض الدينية، وأن الجماعة

الإسلامية تستطيع فى أى وقت أن تقوم بجميع الفروض الدينية، وأن تكون لها حكومة مدنية مستكملة لجميع الصفات الشرعية، بدون قيام إمام فيها على الإطلاق.

الشيعة :

أئمة الشيعة :

يوضح التوزيع الهندسى تسلسل ظهور أئمة المذهب الشيعى، اعتباراً من الإمام على بن أبى طالب، فما بعده، وتوزيع طائفة الشيعة ومراكز ظهورها وأبعاد انتشارها فى أقطار الوطن العربى.



مذهب الشيعة :

يعتمد أساساً على الباطنية : أى الاجتهاد الفلسفى لإدراك الحقيقة الإلهية، وتجريد الروح من السطحية فى المعتقد الدينى، مع شوق صوفى للدنو من معرفة الله .. وهى مجموعة عقائد وفلسفات قديمة، صيغت فى صور إسلامية، وترجع نشأتها إلى اليونانيين القدماء (أرسطو - أفلاطون).

ويعتمد الشيعة فى عقيدتهم على العلم والعمل ، أى ما يعرف بالظاهر والباطن.

الظاهر : أداء الفرائض الدينية كما وردت فى القرآن وأحاديث الرسول.

الباطن : يقوم على أساس أن لكل عمل ولكل قول تأويلاً خاصاً لا يعرفه إلا أئمتهم وعلماؤهم، مما دعاهم إلى إطلاق صفات إلهية على أئمتهم.

الدروز : أما الدروز منهم فقد تركوا الظاهر تماماً، واهتموا بالعبادة الباطنية أى التأويل.

- أول الأئمة : الإمام على بن أبى طالب.
- أعقبه الإمام الحسن بن على ، الذى تخلى عن الخلافة لمعاوية ، ولكنه مات مسموماً بعد تخليه عن الخلافة بستة أشهر.
- بويع شقيقه الحسين ، ولكنه لم يكن أكثر حظاً من شقيقه ، واستشهد فى كربلاء فى عهد يزيد بن معاوية ، ولم يسلم من نسله سوى أبنه على زين العابدين.
- قد ترك على زين العابدين ولدين.
- الإمام محمد الباقر الذى تنكر له شقيقه زيد وطمع فى الإمامة لنفسه منشقاً على أخيه، فتبعه قوم عرفوا بالشيعة الزيدية التى ما زالت قائمة باليمن ، إلا أن الأمويين ظفروا به وقتلوه.
- أعقب الإمام محمد الباقر ابنه الإمام جعفر الصادق ، الذى تنتسب إليه الشيعة الجعفرية، وقد ترك ولدين إسماعيل - موسى.

وقد انقسم آل البيت بعد موت جعفر إلى:

أ ـ قسم يبايع إسماعيل ويحصر الإمامة فى أولاده من بعده، وهم الإسماعيلية السبعة ومنهم الدروز والإسماعيلية، التى كان يتولى زعامتها أغاخان.

ب ـ قسم يقول بإمامة موسى وأولاده من بعده ؛ وهم الشيعة الموسوية

الاثنا عشرية، وهم موجودون بسوريا ولبنان والعراق وإيران.

الإسماعيلية «الإمام إسماعيل»:

الابن الأكبر للإمام جعفر الصادق ، وهو آخر أئمة الدور السادس ، وإليه تنتسب (طائفة الإسماعيلية السبعية) نسبة إلى الأئمة السبعة (وهم القائلون بسبعة أئمة ظاهرين وسبعة مستورين.

الأئمة المستورون :

يعتبر أنصار هذا القول بانتهاء الدور العلنى بانتهاء إمامة إسماعيل، ويبدأ الدور السرى لهم، ويتدرج الأئمة على النحو التالى:

الإمام محمد بن إسماعيل

الإمام أحمد الرضى : تعمق فى العلم والفلسفة، ومن نظرياته : أن الله قد أبدع من نوره صورة أزلية أسماها «العقل» الكلى وهى تشبه نظرية أرسطو.

الإمام الحسين الدفى (الملقب بالعلى)

الإمام على التقى

الإمام محمد بن على : لقب بالقائم بأمر الله - أول خلفاء الفاطميين بالمغرب بإمامة ظاهرة وهى «السلطة» وباطنة فى التأويل - خضع له وآمن به القرامطة.

الإمام إسماعيل (الملقب بالتمور).

الإمام أبو تميم : (الملقب بالمعز لدين الله الفاطمى)

فتحت فى عهده مصر والشام ، امتد نفوذه من طنجة إلى خليج العرب، لم يخرج من طاعته سوى بغداد.

أئمة الدور الثالث :

أبــو المنصــور : (الملقب بالعزيز بالله) خضع له وناصره القرامطة.

المنصور : (الحاكم بأمر الله) تنتسب إليه الطائفة الدرزية.

على الظاهر : لا يعترف الدروز بإمامته؛ لاضطهاده أتباع والده، ومعتنقى المذهب الدرزى.

المستنصر بالله الفاطمى : عرف الدروز فى عهده باسمهم؛ نسبة إلى قائده الأمير أنو شتليق الدرزى ، وأغلقت الدعوة الدرزية من ذلك التاريخ.

هذه الفئة تقف بسلسلة الأئمة الظاهرين عند الإمام السابع إسماعيل ، وكان الإمام جعفر قد أوصى بالإمامة لابنه الأكبر إسماعيل، ثم عدل عنه إلى ابنه الثانى موسى الكاظم، ولكن الشيعة الإسماعيلية والدروز لم يسلموا بهذا العدول، وصمموا على إسماعيل إماماً، رغم ما عرف عنه من شربه للخمر ورأيهم فى ذلك أن الإمام معصوم. ويفسر ذلك التقارب فى العقيدة بين الدروز والإسماعيلية فى سوريا.

يقف الدروز (مؤسسها حمزة بن على من خراسان) فى التسلسل الامامى عند الإمام السادس عشر من أبناء إسماعيل (الحاكم بأمر الله)، بينما يستمر الإسماعيليون إلى الإمام السابع والأربعين وهو (أغاخان محمد شاه)، وخلفه حفيده أغاخان الرابع، الذى يعد الإمام الثامن والأربعين.

وتعتبر هذه الطائفة الإمام على إلهاً، وتعتقد هذه الفرقة أن لكل إمام حجة، وحجة الإمام على هو سيدنا محمد.

المباركية :

وهى فرقة من الشيعة الإسماعيلية، تعتقد أن الإمام إسماعيل خاتم الأئمة، إلا أن غالبية الفرق الشيعية السبعية تعترف بإمامة محمد بن إسماعيل، وتطلق عليه اسم الإمام التام وقائم الزمان، وتقف هذه فى سلسلة الأئمة.

مراتب الصدور عند الفرق السبعية (سبعة).

١ـ الله ٢ـ العقل الكلى ٣ـ النفس الكلية ٤ـ الهيول الأول ٥ـ المكان أو الملأ ٦ـ الزمان أو الخلاد ٧ـ العالم الأرضى والإنسان ، ويحددون عدد الناطقين بسبعة أرسلوا لهداية البشر وهم:

آدم الناطق الأول، وليس الإنسان الأول، ـ نوح ـ إبراهيم ـ موسى ـ عيسى محمد ـ ومحمد التام (ابن إسماعيل).

ومن كل الناطقين يوجد سبعة صامتون وهم:

شعت ـ سام ـ إسماعيل بن هاجر ـ هارون ـ بطرس ـ على.

والجنة فى معتقدهم رمز لحلم النفس التى حصلت على العلم الكامل، والجحيم حالة الجهالة، وأن النفس لا يحكم عليها بالجحيم الأبدى، بل تعود إلى الأرض بالتناسخ، لتأخذ من الإمام الموجود المعارف الدينية.

الشيعة الموسوية (الاثنا عشرية) :

تنادى هذه الفرقة بإمامة موسى وأولاده من بعده، ويقفون بالأئمة عند الإمام الثانى عشر وفقا للترتيب التالى :

٦ ـ الإمام جعفر الصادق .

٧ ـ الإمام موسى الكاظم ــ الصفوية.

٨ ـ الإمام على الرضى ــ الفرقة الواقفية.

٩ ـ الإمام محمد التقى.

١٠ـ الإمام على التقى.

١١ـ الإمام حسن الزكى ــ الحمّارية.

١٢ـ الإمام محمد الحجة ــ وهو الإمام الغائب المنتظر، أى المهدى الذى سيعود فى آخر الزمان ويزعمون اختفاءه بسرداب بمدينة سامراء.

الشيعة الاثنا عشرية :

فرقة من الشيعة، تذهب إلى أن سلسلة الأئمة مكونة من اثنى عشر إماماً وانتقلت الإمامة وفق تصورهم على هذا الشكل.

تذهب الفرقة إلى أن الإمام الثانى عشر اختفى بسرداب، وسوف يعود بعد اختفائه، مؤذناً بقيام الساعة، ناشراً العدل فى العالم.

الواقفيــة :

فرقة تفرعت من الاثنى عشرية، توقفت عند الإمام الثامن على الرضى، منتظرة عودة الأخير «المهدى المنتظر »

الحمّارية :

فرقة تفرعت وتوقفت عند الإمام الحادى عشر «الحسن الزكى».

الصـــــفوية :

تفرعت من المذهب نفسه ، ادعى أنصارها أنهم من نسل الإمام السابع موسى الكاظم؛ ولذلك سمّوا بالصفوية، وهى المذهب الرسمى لإيران.

القرامطة :

أسسها حمدان قرمط بن الاشعت، وهى فرقة من الشيعة السبعية الإسماعيلية، دانوا للدولة الفاطمية وناصروها.

وعى حمدان قرمط إلى تأسيس مجتمع اشتراكى، متخذين الآية التالية أساساً " : يا أيها الذين آمنوا أنفقوا من طيبات ما كسبتم ، ومما أخرجنا لكم من الأرض " ... سورة البقرة آية رقم (٢٦٧)، مع النص على أن يكون الاتفاق عاماً ومتساوياً بين الجميع.

وقد فرضوا على الأغنياء ضرائب تصاعدية؛ صرفوها على الفقراء، كما فرضوا على الفقراء ضرائب ضعيفة، وزعت على المرضى والمحتاجين.

اعتبروا اكتناز العباسيين للأموال شركاً بالله.

وانتهوا إلى تأسيس دولة، مفهومها اشتراكى - شيعى فى البحرين، عاصمتها القرنية، وحكموا البحرين مفوضين من الإمام المستور ، وكثيراً ما هاجموا الخليفة العباسى المقتصد والمقتدر.

إخــــوان الصفـا :

ظهرت عام ٩٨٣م، واتخذت البصرة مركزاً لها، وهى إحدى فرق الشيعة السبعية الإسماعيلية، نشروا ٥٢ رسالة توضح فلسفتهم وعقيدتهم الدينية، وترتكز على أن:

أ ـ النفس من أصل سماوى، وسوف تعود إلى الله ، وأن العالم صدر عن الله كما يصدر الكلام عن المتكلم.

ب ـ النفوس الفردية ليست إلا أجزاء من النفس الكلية تعود إليها مطهرة بعد الموت.

جـ ـ الموت يسمى بالبعث الأصغر، بينما تسمى عودة النفس الكلية إلى ربها بالبعث الأكبر.

الحشـــــــاشون :

فرقة من الشيعة الإسماعيلية، أسسها الحسن بن الصباح شمال شرقى بحر قزوين.

نظمت فى شكل سرى، واتخذت الاغتيال السياسى هدفاً لها، واغتالوا نظام الملك السلجوقى عام ١٠٩٢م.

يتعاطى من يؤهلون للاغتيال الحشيش؛ حتى ينفذوا أوامر الاغتيال تنفيذاً أعمى.

تعاون الحشاشون مع المسيحيين خلال الحروب الصليبية؛ مستغلين السياسة لتحقيق مآربهم، إلا أن الظاهر بيبرس قضى عليهم عام ١٢٧٢م.

العقيـــدة :

أ - المساواة بين الذكر والأنثى، وإبطال ملكية الأرض، وتوزيعها على الفقراء، وبدون ثمن.

ب - تدعو إلى الإخاء والمساواة بين جميع الشعوب وسائر الطبقات.

جـ - مقاومة العقائد الدينية فى نفوس الناس، والتحلل من سائر الشرائع.

الزيـــــــدية :

تنسب إلى زيد بن على زين العابدين، الذى ثار ضد الدولة الأموية فى عهد هشام بن عبد الملك، ولكنه قتل عام ٧٤٠م.

اعتنق الهادى إلى الحق يحيى بن الحسين هذا المذهب فى نهاية القرن التاسع الميلادى، وانتقل إلى اليمن عام ٨٩٣م لإقامة حكم شيعى، ولم يوفق أولاً ولكنه نجح فى تأسيس الدولة الزيدية بمساعدة قبيلة خولان ، واتخذ مدينة «صعدة»، عاصمة للدولة.

عقيدة المذهب :

أ - عدم المبالغة فى تقديس الإمام على.

ب - عدم التبرؤ من أبى بكر وعمر، وعدم لعنهما كما يفعل الشيعة.

جـ - لا يتولون بالتقية أى أن يظهر المرء غير ما يبطن.

د - لا يعترفون باختفاء الأئمة.

هـ - لا يعترفون برجعية الأئمة، وخصومهم كأبى بكر وعثمان ومعاوية.

و ـ جواز إمامة المفضول على الأفضل.

ز ـ أوصاف الإمام(ـ فاطمياً ـ ورعاً ـ عالماً ـ سخياً ـ يخرج داعياً لنفسه) .

العليانيـــــة :

فريق من الشيعة من أتباع على بن ذراع السنوسى، نادوا بأن الوحى نزل على الإمام على وهو نبى الله.

المســـيمية :

فريق ممن ألهوا سيدنا محمد وسيدنا على معاً.

الكســـيانية :

نادوا بحلول الروح الإلهية فى أصحـــاب الكســـاء بالسويـــة، فهم واحد (محمد ، على ، فاطمة ، الحسن ، الحسين) وكرهوا أن يقولوا فاطمة بهاء التأنيث، وقالوا فاطم.

الســـبئيـــة :

من اتباع عبد الله بن سبأ، الذين يؤلهون سيدنا على، ويزعمون أن ابن ملجم لم يقتله، بل قتل شيطاناً تصور بصورته، وأن الإمام صعد إلى السماء.

الراونـــدية والرازمية :

تباع رازم بن سابق، ويزعمون أن روح الله حلت فى محمد بن الحنفية.

اليـــزيديـــة :

أسسها عدّى بن مسافر، وهو ليس كردى بل عربى من سلالة بنى أمية؛ تصوف وتعمق فى الدراسات الدينية، ثم انتقل إلى كردستان؛ ليهدى الأكراد إلى الدين الحنيف فى النصف الثانى من القرن السادس الهجرى.

بدأت دعوة عدّى إسلامية صحيحة، مع حثه لاتباعه بعدم لعن يزيد بن معاوية، لأنه كان يرى فى تدهور حكم العباسيين الفرصة لعودة الأمويين إلى الخلافة.

ركز جهده على الدفاع عن بنى أمية، وكسب الأكراد لجانبه، وأسس الطريقة العدوية التى انتشرت فى الشام ومصر، وتولى بعض اليزيديين حكم حلب، ولكن الطريقة اندثرت فى مصر وبقيت فى الشام والعراق.

تطورت الطريقة في العراق بشكل أبعدها عن أصولها الإسلامية؛ نتيجة تولى أمرها زعماء انحرفوا عن الإسلام، وتعمدوا إدخال الكثير من العقائد المتطرفة في الطريقة العدوية.

نادى رجال الطائفة - بعد موت عدّى - بأن روحاً من الله حلت في عدى وفي يزيد بن معاوية، ومن ثم حرّموا لعن يزيد، وكذلك لعن إبليس.

تدرج رجال الطائفة في إدخال عقيدتهم الخطوات التالية:

أ - أن إبليس هو أكبر الملائكة قاطبة، وأن يزيد أصبح في مرتبة الملائكة.

ب - وضع كتب وطقوس تغني أتباع الطائفة عن القرآن والإسلام.

جـ - نشر القصص التي تثبت أن أفراد الطائفة من سلالة وآلها الجنة وأن ما عداهم فمن الضالين.

د - عزل أتباع الطائفة ثقافياً تماماً عن العالم؛ ليرتبطوا بزعمائهم ارتباطاً تاماً.

هـ - اعتبروا يزيد أو سيدنا عيسى جسداً واحداً، ورفعوا اللعن عن إبليس واعتبروه كبير الملائكة؛ باعتبار أنه أكثر الملائكة جرأة عندما عصى أمر ربه، ويعتبرون إبليس قادراً على إدخالهم الجنة، أو الإلقاء بهم في النار، وممنوع عليهم تماماً ذكر اسم إبليس.

و - أطلق على إبليس طاووس ملك.

ز - كتبهم المقدسة رش ، جلـّوه.

ح - حرم على اتباع اليزيديين القراءة والكتابة، باستثناء أسرة الشيخ حسن وقالوا بأن من لا شيخ له لا دين له.

طبقات الطائفة اليزيدية :

١- أسرة الإمارة : لا يتولى الإمارة إلا أحد أبنائها، وتتم الولاية عن طريق الانتخاب، والابن معصوم من الخطأ، ولا يحاسب على أعماله.

٢- بابا شيخ : بمثابة شيخ الإسلام الزاهد في الدنيا، وهو الذي يصدر الفتاوى.

٣- طبقة الشيوخ :وهم سلالة يزيد بن معاوية.

٤- طبقة البيرة :بير بالفارسية يعني : الرجل الكبير السن . أسرات معينة حتم عليها

الزواج من داخل الأسرة، يعتقد العامة قدرتهم على شفاء الأمراض، وطلب الرحمة للمتوفى.

٥ـ القوالون والكواجل : الفقراء يضعون حول أعناقهم حبلاً يسمى طوق يزيد، ويختصون بترتيل الأناشيد الحماسية، وحفظ تاريخ اليزيدية، والكواجل هم خدام قبر عدّى بن مسافر.

٦ـ عامة اليزيدية : المريدون وهم خاضعون لرؤسائهم الدينيين.

الصابئة (عبدة الكواكب) :

١ـ انعزلت طائفة الصابئة فى جنوب العراق (بمنطقة الأهواز).

٢ـ معتقداتهم :

أ - محصلة فلسفات نظرية لمعتقدات اليهود والمسيحيين أو تحريف لها.

ب - يؤمنون بوحدانية الله ، وأن الله فوق كل القدرات، وهو خالق عالم الأنوار.

جـ - يتطلعون دائماً إلى الكواكب، يسألونها الشفاعة عند الله؛ لاعتقادهم أن الله خلق مجموعة أشباه الإله، واتخذ بعض الآلهة الصغار - المريخ والمشترى وزحل- مستقراً لهم ، يشرقون منها على الأكوان، ويديرون أمورها بأمر الله .وللنجم القطبى مكانة كبيرة عندهم، فالميت توضع رأسه فى اتجاهه؛ حتى يضمن الارتقاء إلى جنات الله.

د - يقولون إن الله خلق عالمين :عالم مادى، وآخر سرى، وكلاهما على صورة الله، وما يحدث فى أحدهما يحدث فى العالم الآخر، ولذلك عندما كلف الله ابتا هيل بن هيبيل أحد الآلهة الصغار بأن يخلق آدم فإنه خلق آدمين، أحدهما فى العالم المادى والآخر فى العالم السرى، ويدعى كاسيا، وحواء هى زوجة آدم، أما زوجة كاسيا فتسمى كانات، ويدعى الصابئة أنهم من سلالة " كانات وكاسيا " وأنهم الفئة الظاهرة، لأن كانات وكاسيا من عالم الأنوار، ومن هنا يقتنع الصابئة أنهم شعب الله المختار.

هـ - أول أنبيائهم آدم عليه السلام، والكتب السماوية التي أنزلت عليه لا تزال فى أيديهم، وتسمى عندهم «كنزا» وتروى كتبهم قصصاً تتشابه والتوراة والإنجيل والقرآن، وتختلف أحياناً اختلافاً جوهرياً.

و - يقول الصابئة إن موسى كان يقود اليهود لمطاردة اردوان زعيم الصابئة الذى عبر

البحر، بينما أطبقت الأمواج على اليهود.

ز - بدأ الصابئة يدخلون الإسلام بكثرة فى القرن الخامس الهجرى، إلا أن صابئة عربستان والأهواز وإيران تمسكوا بمعتقداتهم الدينية.

ح - اتجهت أنظار الإنجليز والفرنسيين خلال القرن التاسع عشر لإرسال مبشرين كاثوليك وبروتستانت ولكن فشل المبشرون فى اكتساب عدد يذكر من الصابئة.

ط - باحتلال بريطانيا للعراق فى الحرب العالمية الأولى؛ انتشر الصابئة فى بغداد وسوريا ومصر، وعملت هذه الهجرة على تفكك المجتمع الصابئى؛ لتخلى كثير من الشباب المثقف عن معتقداتهم الدينية.

الخلاصة :

يتضح من كل ما سبق إيضاحه عن الطائفية من تفاصيل : عمق جذور التعصب القبلى المرتبط بطبيعة التكوين القبلى، حتى على المجتمعات فى المدن، ورغم نزول الرسالات السماوية التى تدعو للعدالة، والتسامح، والمساواة.

وما من شك أن الإسلام لعب دوراً كبيراً فى توحيد القبائل العربية حول مفاهيم الدين الحنيف، باتخاذه شعار المساواة بين الناس، وكان لشخصية الرسول عليه الصلاة والسلام ولقيادته العادلة فضل كبير فى تحقيق الوحدة العربية بمفهومها السليم، إلا أن الحكم اتخذ طابعاً جديداً بعد موت الرسول والخلفاء الراشدين، وطبع بطابعة مشكلة الحكم.

كما كان لاتساع رقعة الدولة الإسلامية، ودخول العديد من الأجناس، لكل طريقته الخاصة فى التفكير والحياة ومعتقداته - آثار واضحة فيما تطور إليه الوضع الاجتماعى، والسياسى، والدينى.

فمن هؤلاء الداخلين فى الدعوة الإسلامية من أسلم عن عقيدة واقتناع، ومنهم من لم يكن خالص العقيدة، واستغل من وجوده مدخلاً للانحراف بالقيم والتعاليم الدينية، ومنهم من انتهز فرصة الصراع على الحكم بين قادة المسلمين لينشر دعوات سياسية اتخذت من الدين ستاراً لتخفى حقيقة اتجاهاتها وتكتلاتها الشعوبية، وانعكاس ذلك على الدين نفسه، فظهر الكثير من المذاهب والدعوات السياسية الدنيوية، وتعددت المذاهب والطوائف، التى صارع كل منها الآخر، فتفرقت كلمة العرب، وتفتت وحدتهم السياسية.

وبالرجوع إلى سابق الشرح نجد أن معظم - بل كل - أصحاب الدعوات المحرفة للشريعة الإسلامية وتعاليم ديننا الحنيف - انبثقت من عناصر غريبة عن معشر العرب.

بالإضافة إلى استغلال هؤلاء الدعاة لفترات الضعف فى الخلافة الإسلامية؛ لتسخير من تمكنوا من تضليلهم لتحقيق مصالح فردية وشخصية لهؤلاء الدعاة وذويهم.

الفصل الرابع

تجدد الحركات الدينية فى القرن التاسع عشر

ظهور المهدية والاهتمام بالمشرق العربى:

ابتلى العالم الإسلامى منذ قيام الدولة العثمانية السنية بالجمود الفكرى، والتأخر الاقتصادى ، الأمر الذى انعكس على الشرق العربى فى ظهور وانتشار كثير من الطرق الصوفية التى وجدت مجالاً خصباً فى ضعف التكوين الدينى للمسلمين.

ومن هنا نرى أن الوطن العربى - بمختلف طوائفه الدينية - كان مهيأ لظهور مخلص أو مهدى ينقذ الإسلام والمسلمين ، ونتيجة لذلك ظهر عدد ممن أعلنوا مهديتهم أمثال :

على محمد الباب فى العراق.

المهدى محمد السنوسى فى الصحراء الغربية.

محمد أحمد المهدى فى السودان.

محمد بن عبد الوهاب فى الجزيرة العربية.

وجميعهم استهدفوا تنقية الإسلام وتخليصه مما فيه من بدع وخرافات، وتكتيل قوى

العالم الإسلامى تحت قيادة واحدة ، ولكن هؤلاء المهدية انحرفوا عن الطريق السوى، وساروا وراء فلسفات تهدم العقيدة الإسلامية من أساسها، وأضافوا للإسلام طائفيات جديدة.

وارتبطت هذه الحركات الدينية بعد ذلك بالاستعمار ممثلاً فى فرنسا وإنجلترا ، حيث فرض الاستعمار رعايته عليها.

أولاً : الوهابية:

دعا إليها محمد بن عبد الوهاب من نجد، ودرس الفقه على مذهب الإمام أحمد بن حنبل ، يقوم المذهب على- :

أ ـ القضاء على البدع والمفاسد من تقديس المشايخ وأولياء الله.

ب ـ قصر العبادة على التوحيد بالله وفق تعاليم القرآن.

جـ ـ وجوب الصلاة والصوم بلا تهرب.

د ـ التقشف فى الحياة الدنيا ، وعدم لبس الحرير أو شرب الخمر والمخدرات والسجائر والقهوة.

هـ ـ عدم الاعتراف بالقباب والأضرحة والمآذن ووجوب إزالتها.

واتخذت الدعوة الوهابية شكلاً توسعياً سياسياً، حيث ثبتت أقدامها على الخليج العربى وغزت شبه الجزيرة العربية عام ١٨١٢ .وبدأوا فى التحرك إلى القسطنطينية، ولكن لجوء السلطات إلى محمد على - والى مصر - أدى إلى الاستيلاء على الحرمين.

وفى عام ١٩٠٢ استطاع عبد العزيز بن عبد الرحمن أن يستولى على الرياض، وكتل القبائل العربية المجاورة فى وحدة سياسية قوية ، وارتبط مع بريطانيا بمعاهدة عن طريق مبارك الصباح - حاكم الكويت - يقوم بمقتضاها عبد العزيز بطرد الأتراك من الخليج العربى.

وفى عام ١٩١٥ وقع عبد العزيز مع بريطانيا معاهدة « COX » تعترف فيها بريطانيا بملكية ابن سعود فى نجد والإحساء، مستقلاً عن الأتراك مع تعهده بانضمامه رسمياً لبريطانيا، وعدم مهاجمته لحلفائها، أو مساعدة أعدائها.

ثانياً : السنوسية:

أسسها محمد بن على السنوسى الجزائرى، مستلهماً فكرتها من

الوهابية أثناء حجه إلى مكة ، وقد ارتكزت السنوسية على:

أ ـ تأسيس الزوايا كوحدات اقتصادية دينيــة لها الاكتفــاء الذاتــي مــن جغبوب ـ البيضاء.

ب ـ بعث العقيدة الإسلامية بتجديدها ونشرها، مع العمل بالسنة والشريعة بدون شرط أو تصور.

جـ ـ جمع كلمة المسلمين فى نطاق وحدة سياسية كبرى.

عام ١٩٢٠ وقع اتفاق بين السيد محمد إدريس والحكومة الإيطالية أصبحت بمقتضاها الجهات الداخلية تحت علم السنوسى ، والجهات الخارجية) الساحل (تحت سيطرة إيطاليا.

وفى عام ١٩٤٩ وافقت إنجلترا على تعيين الأمير محمد إدريس السنوسى أميراً لبرقه، مع احتفاظ بريطانيا بشئون الإمارة الخارجية، وكذا الدفاع . وعام ١٩٥١ أعلنت ليبيا دولة موحدة تحت حكم الملك محمد إدريس.

ثالثاً : المهديــة:

أعلن أحمد بن عبد الله - أحد المتصوفين بجزيرة آبا - عام ١٨٨١ أنه زالمهدى المنتظرز وأنه عاد ليزيل البدع والخرافات التى علقت بالدين، ويعمل على وحدة المسلمين ورفعة شأنهم، وحض الناس على عصيان الحكومة، ودفع الضرائب له.

وقد انتشرت المهدية لفساد الحكم التركى، وانتقل المهدى إلى الضفة الغربية للنيل الأبيض، وبدأ يستولى على (كسلا - سواكن - طوكر) بأنصاره واستطاع الاستيلاء على الخرطوم عام ١٨٨٥ وقتل غوردون.

بعد موت المهدى خلفه عبد الله التعايشى، الذى لم يتمكن من بسط نفوذه الروحى على اتباعه.

وقد استعادت مصر السودان عام ١٨٩٨ بعد هزيمة الدراويش.

البابيــــــة:

بدأت الحركة البابية فى كربلاء فى منتصف القرن التاسع عشر تقريباً، وانتقلت إلى إيران، ثم عادت مرة أخرى إلى العراق.

مؤسسها على محمد الباب وهو فارسي ولد عام ١٢٣٥هـ ـ ١٨١٩م بشيراز وسعى إلى كربلاء لتلقى العلم وبعد استماعه إلى قرب ظهور المهدى اعتقد أنه المهدى المنتظر.

دعا سراً لحركته، وخرج على الناس بكتاب يسمى «البيان» أراد به أن يكون قرآناً كريماً، وقام الشيخ العراقى على البسطامى وسيدة فارسية تدعى قرة العين (زرين تاج) ـ أى ذات الشعر الذهبى - واستطاعت الحركة أن تستقطب طائفة كبيرة من أهل فارس والعراق.

أعلنت الحركة إنهاء زمن التكاليف والفرائض الدينية؛ مما أثار غضب أهل السنة ، وقامت الحكومة الفارسية بالقبض على الباب، وطاردت أتباعه لهدمه الأساس الدينى للشيعة الصفوية بإيران (مذهب الحكام) وأعدم الباب بأمر شاه إيران ناصر الدين عام ١٨٤٨.

وبعد مصرع الباب نشطت الدعوة للبابية، فطردت الحكومة الإيرانية اتباعها إلى العراق.

ادعى حسين على النورى أنه المهدى، وأن الباب ما هو إلا مبشر به، ووضع كتاب (إيقان) وأن مصرع الباب جاء ليظل هو بعيداً عن أيدى الناقمين؛ حتى تتم رسالته ، وأعلن أنه البهاء الذى بَشَرَ به الباب في حديقة نجيب باشا ببغداد المعروفة لدى البهائيين بحديقة الرضوان.

ويرجع فشل البابية والبهائية فى الانتشار إلى صدورهما عن عناصر فارسية، وكتاباتهم فارسية، بالإضافة إلى تعارض تقاليدهما مع تقاليد الشيعة.

وقد ارتبطت هذه الطائفة باتصالات مريبة مع السلطات البريطانية ومن ثم أصدرت الجمهورية العربية المتحدة قرارها بإلغاء هذه الطائفة ومعابدها فى عام ١٩٦٠ م .

الطائفية السياسية:

وينطلق هذا النوع من أساس دينى ظاهرى، ليصل إلى هدف سياسى اجتماعى لا يربطه بجوهر الدين أى صلة، بل تسعى هذه الطائفية إلى إيجاد انقسامات اجتماعية وفكرية ودينية داخل المجتمع الواحد؛ بقصد السيطرة عليه أو تفتيته ، وتقوم أساساً من صراع سياسى حول السلطة والحكم.

وقد ظهر هذا النوع بشكل واضح منذ عهد الدولة الأموية، حيث تمكنت العناصر الغريبة عن الوطن - أى الفارسية - من التغلغل فى صفوف الشيعة؛ لتفتت وحدة الصف العربى بتغذيتها الصراع المذهبى بين السنة والشيعة.

وقد تعاونت هذه الطائفية والإقطاع الذى استغلها لصالحه، ووجد فيها شعاراً جديداً كى يتستروا وراءه لتحقيق رغباتهم ، فقد كان الخلفاء الأمويون والعباسيون يوزعون إقطاعيات من الأراضى على أخصائهم من القادة ورجال الحاشية.

وفى عهد الدولة العثمانية وجد الاستعماريون الأتراك يستخدمون الطائفية خير وسيلة للسيطرة على الوطن العربى، فقاموا بإثارة طائفة على أخرى وفى رعاية طائفة ضد أخرى، وغذوا مخططهم هذا بالأموال، بحيث أخذت الطائفية مفهوماً جديداً، الأمر الذى استرعى انتباه رجال الحكومات الغربية من سفراء وقناصل، فقاموا بالدور نفسه الذى كان لرجال الإقطاع ورجال الدين القدامى، ورضى بعض زعماء هذه الطوائف أمام إغراء هذه الدول ليكونوا سلاحاً يفتك بجسم الأمة العربية ويفتت وحدتها.

وانتهى الأمر إلى ارتماء كل طائفة فى أحضان إحدى القوى المخططة للسيطرة على مقدرات الوطن العربى:

أ - السنة تجمعت حول الخليفة العثمانى.

ب - المسيحيون وخاصة طائفة الموارنة ارتبطت بفرنسا.

جـ - الدروز مع بريطانيا.

د - الأرثوذكس مرتبطة بروسيا.

طائفية العصر الحالى:

اتخذت الطائفية مؤخراً دوراً جديداً بعد أن تطورت النظم الاقتصادية فى العالم، وبدأ الاستعمار العسكرى فى التقلص.

فقد أصبح الطائفى أو الإقطاعى كلاهما يدرك صعوبة إعلانه عن ضعفه، والعملاء يخافون اطلاع الشعب على تآمرهم.

ولكن لا يعنى هذا أن الطائفية انتهت، بل إنها اتخذت صورة جديدة تتواكب وتطورات القرن العشرين، وأصبحت تحمل مفهوماً عقائدياً يخفى حقيقتها الفتاكة بجسم الوطن العربى.

أى أن الطائفية حالياً تحمل صفة عقيدة لها نظرياتها ودراساتها وبرامجها، ومن ثم نجح الطائفيون فى تحريض أتباعهم فى الخفاء للاستمرار فى ممارسة هذه العصبية.

وينحصر الاتجاهان العقائديان الرئيسيان اللذان حلا محل العصبية الطائفية السائرة في : الاتجاه الإسلامى ، الاتجاه المسيحى القومى.

وقد وقفت إنجلترا فى هذا الصراع إلى جانب الفكرة التوحيدية الإسلامية ، بينما دعم الفرنسيون الفكرة المسيحية الاستقلالية، وظهر نتيجة لذلك أحزاب عقائدية تنادى بالوحدة الإسلامية، وإن كانت هذه الأحزاب قد اختلفت فى مسمياتها، فإنها تتحد فى جوهرها وعمالتها وهى : الإخوان المسلمون ، عباد الرحمن ، حزب التحرير الإسلامى، الحلف الإسلامى.

كما ظهرت العقائدية التى تنادى بالقومية المسيحية وهى : حزب الكتائب (مارون) منظمة الغساسنة(روم أرثوذكس).

ونتناول فيما يلى توضيحاً لهذه الأحزاب:

١ـ حزب التحرير الإسلامى:

أسسه تقى الدين النبهانى فى بيروت، حيث اتخذ منها منطلقا لدعوته عام ١٩٥٢، التى تمحورت حول بعث الخلافة الإسلامية من نفس منطلق الإخوان المسلمين، وقد ركز الحزب دعوته على العناصر المدنية فى الريف ، كما اتصل بالمخابرات الأمريكية وتلقى مساعدات منها.

٢ـ حزب عباد الرحمن:

أسسه أحمد الداعوق وتوفيق صدرى ، ومن أهم مبادئه الوعظ والإرشاد والدعوة إلى رجوع الدين إلى بساطته الأولى، ومحاربة الاشتراكية واعتبارها امتداداً للماركسية (بيروت -طرابلس) ويوجد تنسيق بينه وبين الإخوان بسوريا.

٣ـ حزب الكتائب:

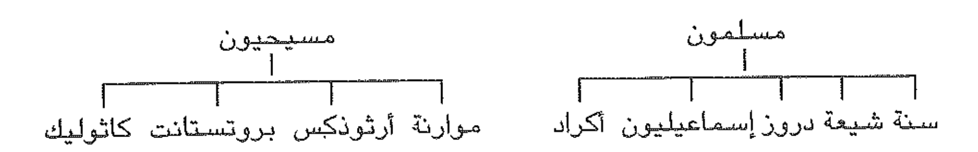
أسسه بطرس الجميل عام ١٩٣٦ بتشجيع من فرنسا ، ويدعو إلى استقلال لبنان ، وله تشكيلات عسكرية ، وأنصاره المارونيين داخل وخارج لبنان، وينادى بالأخذ بالنظام النيابى الغربى.

التوزيع الطائفي للمجتمع بالوطن العربي

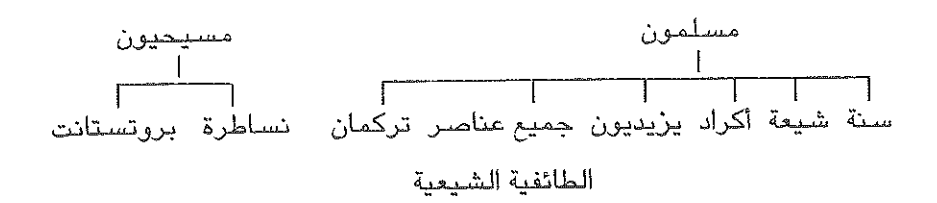
١- سوريا:



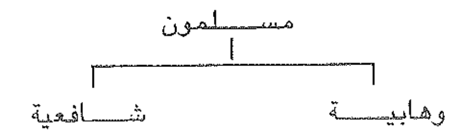
٢- لبنان:



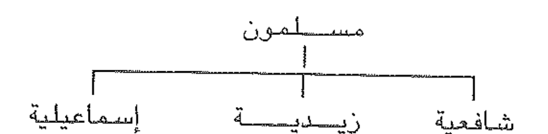
٣- العراق:



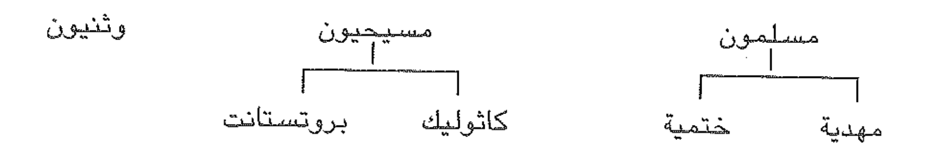
٤- المملكة العربية السعودية:



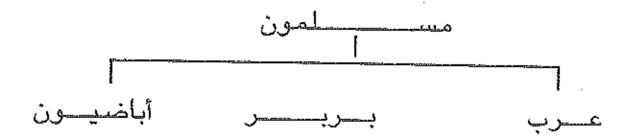
٥ـ اليمن:



٦ـ السودان:



٧ـ الجزائر:



٨ـ ليبيا:

المذهب السنوسي.

الرجعية العربية:

لا شك أن الرجعية العربية تشكل التناقض الثانى للمجتمع العربى، وهى وإن كانت تبدو فى مظهرها تكويناً حديثاً إلا أن المتتبع لتطور التاريخ العربى يصل إلى أنه فى بداية العهد الأموى والعباسى تكونت طبقة من الإقطاعيين تتمثل فى أصحاب الإقطاعيات التى وهبها إياهم الخلفاء؛ نظير ضرائب اسمية يسددونها إلى خزينة الدولة . وكان من الطبيعى أن يتوارث هؤلاء الإقطاعيون وأسرهم هذه الإقطاعيات، مسخرين الطبقة العاملة الفقيرة فى خدمة أراضيهم.

وجاء الاستعمار التركى فرسب هذه الإجراءات، وتوسع فيها بهدف اجتذاب الكثير من أصحاب السطوة من أبناء الوطن العربى؛ لتمكين الدولة العثمانية من السيطرة على

مقدرات الوطن العربي واستغلال خيراته عن طريق هؤلاء ، وبذلك انقسم المجتمع العربى إلى طبقة من الحكام والرأسماليين المستغلين تمثل أقلية مرتبطة بالاستعمار التركى ثم الاستعمار الأجنبى بشتى تسمياته، وبقية عامة الشعب الذين يمثلون الطبقة المُستَغَلَّة، وهكذا عاش الشعب العربى تناقضاته الدينية، أو الطبقية، أو السياسية، أو العنصرية، متفتتاً بين تيارات ترمى كلها إلى تجزئته وإيقاف أى تحرك وحدوى يجمع شمله.

ولا تزال رواسب الماضى بعوامله السياسية والاجتماعية والاقتصادية قائمة، ولم تنتقل بعد بعض الدول العربية من مرحلة الإقطاع وخضوع البعض لرأسمالية طبقية.

طبيعة المجتمع العربى الحالى:

١ـ المجتمعات القبلية:

لا تزال بعض المجتمعات العربية قبلية، يدين فيها جانب كبير من الشعب لمشايخ القبائل والزعامات الدينية، ويحتكمون بأوامرهم.

ومجتمعات كهذه لا تبنى دولة بالمفهوم الحديث، إذ لا يمر سلطان الدولة إلى الأفراد إلا من خلال مشايخ القبائل، وبذلك تكون الدولة أشبه بمجموعة من الدويلات الصغيرة، يكاد يكون كل منها مستقلاً بذاته، وكان طبيعياً أن يستغل المستعمر هذا الوضع الطبقى والطائفى فى إيجاد طبقة تتحد مصالحها مع مصالحهم، يعطونها سلطة الحكم والثروة والجاه مقابل أن تأتمر بأوامرهم، وتوجه اقتصاديات الوطن العربى لحسابهم.

إلى جانب ضرب كل طائفة بالأخرى، حيث يقرب الاستعمار إحداها تارة، وتارة أخرى يقرب طائفة أخرى، لتوسيع الهوة بينها، وليضرب الوحدة الوطنية للشعب الواحد.

أما المجتمعات المتحضرة نوعاً فقد صنع الاستعمار بها طبقة حاكمة، ومن خلفها طبقة من المثقفين المخدوعين أو أنصاف المثقفين، تتطلع لتلحق بالطبقة الأولى، ثم طبقة فقيرة بائسة تمثل مجموع الشعب، تستخدم وقوداً لتسيير الجهاز السياسى والديمقراطية المزيفة، عن طريق منح الحكام الأصوات الانتخابية، مع السعى المستمر لتغذية الأحقاد بين كل الطبقات.

تفتيت الوحدة العربية:

لم يغفل الاستعمار الغربى واقع الوجود القومى للشعب العربى من المحيط إلى الخليج، وما تشكله الوحدة العربية الشاملة سياسياً واقتصادياً وعسكرياً من أخطار على نفوذه ومصالحه، لذلك وجدنا الاستعمار يعمل منذ أوائل القرن العشرين على مقاومة الوحدة

العربية؛ باعتبار أن تحقيق الوحدة يعتبر قوة للشعب العربى، بالإضافة إلى أن الاستعمار لا يستطيع مواجهة قوى قومية موحدة ، ولكنه يستطيع القضاء على القوى القومية المفتتة.

وإذا رجعنا إلى نتائج مؤتمر لندن عام ١٩٠٧ ، الذى دعا إليه كامبل بترمان وحضرته كل من(بريطانيا ، إيطاليا ، فرنسا ، البرتغال ، أسبانيا بلجيكا ، هولندا) لمناقشة الاحتفاظ بإمبراطورياتها نجدها تتوصل إلى الحقيقة التالية:

أن الخطر الحقيقى الذى يهدد الإمبراطوريات الاستعمارية يكمن فى الشعب الذى يقطن الشواطئ الشرقية والجنوبية للبحر الأبيض المتوسط، لأن لدى هذا الشعب صفاتاً تميزه عن باقى الشعوب؛ حيث تجمعه عوامل قومية واحدة، كما أن له حضارة قديمة استطاعت أن تلعب دوراً كبيراً فى تطور الحضارات الإنسانية، وأن وحدة هذا الشعب فى حركة قومية واحدة تعتبر تهديداً خطيراً لمصالح الإمبراطوريات الاستعمارية، خاصة أن هذا الشعب يسيطر على منطقة حساسة من مناطق العالم (وهى الشرق الأوسط)، الطريق المؤدى إلى المستعمرات فى آسيا ، وكإجراء سريع، قرر المؤتمرون الإتيان بشعب آخر غريب عن المنطقة يفصل عرب المشرق عن عرب المغرب، ويكون قاعدة وأداة للإمبراطوريات الاستعمارية فى تفتيت الوحدة القومية للشعب العربى، وقاعدة استعمارية بجوار قناة السويس كعامل تهديد مستمر لها وللشعب العربى (ما حدث بالفعل عام ١٩٥٦) وكان من نتيجة ذلك التقاء أهداف الاستعمار والصهيونية العالمية، وصدور وعد بلفور فى ٢ نوفمبر ١٩١٧ ، وإقامة إسرائيل فى ١٥ مايو عام ١٩٤٨ ، تنفيذاً لاستراتيجية الاستعمار التى وضعها عام ١٩٠٧.

وإذا رجعنا بالتاريخ إلى نهاية الحرب العالمية الأولى نجد أنه بدأت تتمكن عوامل من الأمة العربية، تعمل فى اتجاهات وتلتقى عند هدف واحد، هو :محو معالم الشخصية العربية ومقوماتها، ثم استعباد الشعب العربى، واستنزاف موارده وخيراته.

أولاً - الاستعمار:

الذى بسط نفوذه وحمايته على الوطن العربى على الوجه التالى:

أ ـ سوريا ولبنان : تحت الانتداب الفرنسى عام ١٩٢٠ تنفيذاً لاتفاقية (سان ريمو).

ب ـ شرق الأردن : حكومة عربية بإمارة عبد الله بن الحسين تحت الانتداب البريطانى.

جـ ـ فلسطين : تحت الانتداب البريطانى.

د ـ العراق : تحت الانتداب البريطانى، وعين فيصل ملكاً لها.

هـ - الخليج والجنوب : سلسلة من المعاهدات مع الأمراء انتهت بالاحتلال.

و - الجزائر : احتلال فرنسى منذ عام ١٨٣٠.

ز - تونـس : احتلال فرنسى منذ عام ١٨٨١.

ح - المغرب: احتلال فرنسى منذ عام ١٩١٢.

ط - ليبيـا : احتلال إيطالى منذ عام ١٩١٣.

ى - مصر : احتلال بريطانى منذ عام ١٨٨٢.

ك - السودان : احتلال بريطانى منذ عام ١٨٩٩.

كما لجأ الاستعمار إلى العمل المستمر لاجتثاث بذور القومية العربية وتذويب شخصيتها عن طريق:

أ - إيجاد كيانات سياسية صغيرة مصطنعة (الأردن - لبنان).

ب - تدعيم هذه الكيانات بإقامة الحواجز الجمركية.

جـ - فرض نظم اقتصادية وقضائية وتعليمية متباينة، تختلف باختلاف المستعمر، لتأكيد وحماية هذه الوحدات السياسية.

د - زرع وإنماء وتعميق النزعات الإقليمية كبديل لفكرة الوحدة العربية، كالفرعونية فى مصر والفينيقية بلبنان.

هـ - تعميق الخلافات الطائفية داخل الوحدات السياسية؛ للقضاء على الوحدة الوطنية.

و - فرض أكثر من نظام سياسى على أقطار الوطن العربى، بين الملكية والجمهورية والإمارة ... الخ.

ز - بث طوائف عنصرية ، وحماية الأقليات؛ بهدف ربط بقاء هذه الأقليات بمصير الاستعمار فى المنطقة.

ح - تغيير ميزان القوى فى الخليج العربى والجنوب المحتل؛ بتمكين عناصر غريبة من الهجرة إلى المنطقتين، مما يعمل على إيجاد إسرائيل جديدة فى كل من الجزءين.

وكان للاستعمار الثقافى (أثره) فى تمييع ركن اللغة العربية بالمغرب والجزائر وتونس ، وصنع طبقة من المثقفين ثقافة غربية.

ثانياً : الرجعيـــة:

وتتمثل فى ركائز الاستعمار من إقطاعيين ورأسمالية وحكام، وهؤلاء جميعاً ترتبط مصالحهم وقدرتهم على البقاء ببقاء الاستعمار فى الوطن العربى.

وقد اتضح للجماهير العربية أن أملهم فى قيام الدولة العربية الواحدة تحت قيادة الشريف حسين، الذين استجابوا لدعوته للتخلص من الاستعمار التركى بدافع من إحساسهم بمضمون الوحدة العربية، التى تستهدف وتضمن تحقيق العدالة الاجتماعية بين المواطنين ، وتبين لهم أن جهودهم وتضحياتهم تحولت إلى أحلام ملكية بتقسيم الوطن العربى، وتنصيب ملوك وأمراء من أبناء الشريف حسين عليه تحت حماية الاستعمار.

كما أن الزعامات التقليدية والتى انحدرت من أصول إقطاعية ورأسمالية من خلال تصدرها للعمل الوطنى ضد الاستعمار استطاعت أن تنتزع لنفسها مصالح ومكاسب شخصية واعتبرت نفسها الوريثة الطبيعية الوحيدة لسلطات الاحتلال.

دور جديد لحركة القومية العربية:

ترتب على ذلك الوضع دخول حركة القومية العربية فى دور جديد وهو دور الكفاح ضد الاستعمار.

فقامت ثورة ١٩١٩ فى مصر، وثورة ١٩٢٠ فى العراق ، وثورة ١٩٢٥ بسوريا ، وثورة ١٩٣٦ فى فلسطين ، وبذلك أصبح النضال من أجل الوحدة خافتاً لا يتعدى تصريحات بعض الساسة العرب.

دور الأحزاب التقليدية:

كان من الطبيعى أن تستند الطبقات التى أوجدها الاستعمار وأعطاها إمكانيات البقاء إلى أحزاب ترفع شعارات وطنية؛ تمتص بها غضب عامة الشعب، فى الوقت الذى تؤمن فيه مصالح الطبقة التى تمثلها، ولذلك نجد موجة تكوين الأحزاب التقليدية تعم الوطن العربى بعد الحرب العالمية الأولى؛ لتستغل عامة الشعب فى منحها الأصوات فى الانتخابات؛ لتضفى الصفة الشرعية لحكم الطبقة المرتبطة والعميلة للاستعمار ، ولذلك وجدنا هذه الأحزاب تأخذ طريق المفاوضات السياسية أسلوباً لها؛ تمييعاً لانتفاضات الشعب العربى وكفاحه فى سبيل استقلاله وحريته الحقيقية؛

لذلك نجد أنه رغم استمرار حركات التحرر المستمرة ضد الاستعمار والرجعية الحاكمة؛

من أجل حصول الشعب العربى على حريته واستقلاله فإن تضارب الاتجاهات الفكرية والسياسية التى عمل الاستعمار على تغذيتها أدى إلى تفتيت الحركة الوطنية وبالتالى الحركة القومية العربية.

وقد انعكس هذا الوضع المتناقض فى ظهور اتجاهات عدة:

أ - الاتجاه الدينى والطائفى:

ومثله : الإخوان المسلمون.

حزب التحريـــــر.

الكتـــائـــــــــب.

النجــــــــــــادة.

عبـــاد الرحمــــن.

ب - الاتجاه الطبقى:

ومثله : الأحـــزاب الشيوعية

جـ - الاتجاه الإقليمى:

ومثله الأحزاب اليمينية فى مختلف أنحاء الوطن العربى ، الوفد، الوطن ... الخ.

موقف الطبقة المثقفة:

تقاذفت الأفكار والمبادئ المختلفة الطبقة المثقفة، ولهذا وجدناها أداة طيعة فى أيدى مختلف الدعوات التى يزخر بها الوطن العربى، ولا تزال نسبة غير بسيطة من هذه الطبقة تعزل نفسها عن الجماهير فى تيه الفكر الشرقى والغربى .. ولا تبدأ تفكيرها من نقطة الإيمان بجماهير شعبها ، كما تضم هذه الطبقة فئة من المغامرين السياسيين ومحترفى السياسة الذين يسعون أساساً للاستيلاء على السلطة ثم الانحراف بالحكم.

وقد انعكس ذلك الوضع على المسرح السياسى العربى فى تيارات مختلفة الاتجاهات نوجزها فيما يلى:

أ - دعوات تقدمية.

ب - دعوات شعوبية وإقليمية.

جـ - دعوات رجعية يمينية.



الفصل الخامس

ثـــــــورة ٢٣ يـــــــولـــــــيـــــــو ١٩٥٢

مؤثرات قيام ثورة يوليو علـــى شعوب الوطن العربى :

ما أن قامت ثورة ٢٣ يوليو حتى أدركت الجماهير العربية - بفطرتها -صدق الدعوة الثورية التى تنبعث من القاهرة ، لذلك وجدنا الشعب العربى يتجه بكل آماله وأنظاره متجاوباً مع دعوة القاهرة للوحدة العربية ، وإن حد من قدراته أنه لا يملك الوسيلة الإيجابية لمقاومة أدوات القهر التى يملكها الحكام الرجعيون من خلال ارتباطهم بالاستعمار، بالإضافة إلى اندفاع جماهير الشعب العربى بتأثير من رغباتهم العاطفية فى الوصول السريع إلى تحقيق الوحدة العربية، وأن تسلم قيادتها لقيادات لم تكن على نفس مستوى ثوريتها، ولم تتفاعل بمواقفها نتيجة الاعتبارات التالية:

أ - الأطماع الفردية وانسياق البعض وراء المصلحة الشخصية والحزبية.

ب - التناقضات المحلية الناجمة عن الخلافات الطائفية والقبلية والمذهبية، وتغذيتها بمعرفة الاستعمار.

جـ - حصر التحرك الوطنى فى إطار حزبى إقليمى، بعيداً عن التفاعل مع بقية أجزاء الوطن العربى، مع قصور فى الفكر المطروح بمعرفة الأحزاب، وتخلفه عن مسايرة المد الثورى العربى.

د ـ الوجود الاستعمارى بقواته المسلحة، واستخدامها لكبت أى تحرك وطنى.

هـ ـ بعثرة الفئات القومية حيث لا يجمع بينها تنظيم واحد.

إلا أن كل هذه العوامل وإن كانت قد أعاقت تحقيق الوحدة إلا أنها أكدت قدرات الشعب العربى ووعيه فى تقييم التيارات السياسية المنحرفة، وشل حركتها، ونبذ فكرة الحزبية، مع المطالبة بتنظيم عربى ثورى واحد، يقود الشعب العربى نحو تحقيق أهدافه فى الحرية والاشتراكية والوحدة.

أثر الثورة المصرية فى الوطن العربى:

لنعرف تأثير الثورة المصرية على الوضع العربى يكفى أن نعقد مقارنة بين الأحوال السياسية والاقتصادية والاجتماعية التى كانت قائمة فى العالم العربى قبل عام ١٩٥٢، والوضع السائد بعد عام ١٩٥٢:

أ ـ كانت بريطانيا تحتل مصر والسودان والعراق والأردن والكويت وإمارات الخليج، وفرنسا تحتل الجزائر ومراكش وتونس وإلى جانب هذا الاحتلال العسكرى كان النفوذ الأمريكى والبريطانى والفرنسى يتقاسم المنطقة العربية بأكملها.

وبعد عام ١٩٥٢ استقلت الدول العربية، ولم يبق من الاحتلال العسكرى أى وجود.

ب ـ كان الوضع الاقتصادى تحت سيطرة الرأسمالية العالمية والإقطاع المحلى، فاستقلت مصر اقتصادياً، وبدأت السير فى طريق الاشتراكية، ومعها العراق وسوريا والجزائر واليمن وبدأت بقية الدول، حتى التى تحكمها رجعيات متأصلة كالسعودية والمغرب، أو تسيطر عليها الرأسمالية كلبنان، فى تنفيذ بعض الإصلاحات الاقتصادية مجاراة للتطور الذى يمر به الوطن العربى وللحد من سخط شعوبها.

جـ ـ بعد أن كانت الجماهير العربية فى معزل عن الحكم، أصبحت فى جميع الدول العربية قوة يعمل لها حساب. وعرفت الطبقة المثقفة المخلصة أهدافها بعد أن حددتها ثورة مصر، وعارضت الأحزاب المصطنعة والوجوه القديمة، ونشأت الفئات القومية فى كل أنحاء الوطن العربى متجاوبة مع القيادة الثورية بالقاهرة بعيداً عن أى تنظيمات حزبية قائمة، وما استجابة الحكام الرجعيين لمؤتمرات القمة إلا انعكاس لقوة الرأى العام العربى.

مخططات الاستعمار وأهدافه:

يبنى الاستعمار الغربى مخططه فى الوطن العربى على أساس تحقيق هدفين:

أ ـ الهدف القريب : وهو عزل الـ ج.ع.م عربياً، وحصر نفوذها داخل حدودها.

ب ـ الهدف البعيد : القضاء على نظام الحكم فى الـ ج.ع.م بوصف القاهرة قاعدة النضال والقيادة الثورية.

وللوصول إلى تحقيق أهدافه نجده يتعاون مع الصهيونية العالمية والرجعية العربية؛ للتحرك فى هذا المجال متخذاً الخطوات التالية:

أ ـ الإبقاء على الخلافات القائمة بين الحكومات العربية مع تغذيتها بصفة مستمرة؛ للاحتفاظ بالكيان الحالى للدول العربية، وإسقاط شعار الوحدة العربية.

ب ـ العمل المستمر لدعم الحكومات العربية الرجعية، ومدها بجميع الإمكانيات للقضاء على الحركات الوطنية المناوئة لها داخلياً، والحد من قدرات الـ ج.ع.م على التحرك خارج حدودها.

جـ ـ تغذية الخلافات الطائفية والعنصرية داخل كل بلد عربى؛ لتجنب الوحدة الوطنية، باعتبارها أولى خطوات التحرك السليم للوحدة العربية.

د ـ التصدى للتيار الاشتراكى العربى بعد الفشل فى التصدى لتيار القومية العربية.

هـ ـ التركيز على الدول العربية المتحررة، وإقامة شتى العراقيل أمامها، والسعى المستمر للدس بينها وبين الـ ج.ع.م كوسيلة لضرب أجنحة الـ ج.ع.م التقدمية فى المنطقة وشل حركتها.

و ـ التغذية المستمرة لكل ما من شأنه عزل المغرب العربى عن المشرق العربى كمرحلة لضرب الـ ج.ع.م.

ز ـ استمرار السيطرة الاقتصادية، واستخدام شركات البترول كسلاح فعال فى المعركة.

ح ـ الحد من إمكانية قيام أى تعاون اقتصادى بين أجزاء الوطن العربى، مع تشجيع تماثل الإنتاج والمنافسة؛ لتعميق تعارض مصالح الأقطار العربية؛ بهدف الوقوف فى وجه قيام التكامل الاقتصادى العربى وبالتالى استمرار ربط الأجزاء المسيطرة عليها اقتصادياً بالاستعمار مباشرة.

ط - دفع الحكم الرجعى للحد من قدرات الجامعة العربية على التحرك وتطويرها كمنظمة عربية تقدمية.

ك - تغذية الحركات السياسية الفاشية؛ لتبنى الشعارات التقدمية لتضليل الرأى العام العربى.

ل - محاولة تغيير ميزان القوى البشرية بتشجيع الهجرة إلى الخليج والجنوب العربيين؛ بغرض زرع إسرائيل جديدة توزع جهود العرب على جبهتين بدلاً من جبهة واحدة.

م - وأخيراً، وليس آخراً، الحفاظ على بناء إسرائيل كقاعدة تهديد مستمر، والعمل لإنجاح مشروعاتها التوسعية، وبالتالى هدم قضية فلسطين باعتبارها مركز الثقل فى تجميع الرأى العام العربى.

موقف المعسكر الشرقى:

أما المعسكـــر الاشتراكى فمنذ الاصطدام المباشر إثر ثورة العراق عام ١٩٥٨ نجده قد عدل من موقفه من القومية العربية، ويسير حالياً فى سياسة تدعيم علاقته بالجمهورية العربية المتحدة، باعتبارها مصدر الاشعاع والقوة الثورية المؤثرة فى المنطقة.

الموقف الدولى:

تبقى كلمة موجزة عن الموقف الدولى؛ نتعرف من خلالها على الظروف التى تحيط بنا آنذاك، والتى تؤثر على إمكانياتنا فى العمل . فالعلاقات بين المعسكرين الغربى والشرقى قد طرأ عليها تغيير واضح بل إن العلاقات فى داخل كل من المعسكرين قد تغيرت كثيراً عن ذى قبل، فالعالم يشهد نوعاً من المهادنة بين الولايات المتحدة والاتحاد السوفيتى، بدأها خروشوف تحت تأثير صراعه مع الصين الشعبية، ولا يزال هذا الموقف قائماً فى ظل الحكم السوفيتى الجديد، وقد شجع هذا الوضع المعسكر الغربى خاصة الولايات المتحدة على تنفيذ سياسة خارجية أكثر صلابة.

ولا تزال الخلافات داخل الكتلة الشرقية قائمة كما كانت، حيث إن سياسة ديجول كانت قد هددت وحدة المعسكر الغربى، وجعلته أكثر ميلاً إلى الكتلة الشرقية، ومجموعة الدول غير المنحازة.

وقد كان للموقف الدولى أثره على مجموعة عدم الانحياز فى تمييع مواقف كثيرة من دولها.

واتخذت الولايات المتحدة من الجمهورية العربية المتحدة سياسة أكثر تشدداً، وهى تحاول التأثير على سياستنا عن طريق ممارسة بعض الضغط الاقتصادى.

أما بريطانيا فإنها لا تزال تفكر بعقليتها الاستعمارية القديمة وتحاول البقاء فى الصورة فى ركاب أمريكا ، كما تمارس نفوذها لدى الحكومات الصديقة لها.

وأخيراً، فإن المشكلات الداخلية للاتحاد السوفيتى والانقسامات داخل الكتلة الشرقية تجعل من الصعب على هذه الكتلة أن تمارس دوراً ذا بال فى المنطقة العربية آنذاك.

أما هيئة الأمم المتحدة فقد انعكس عليها الموقف الدولى آنذاك فقلت فاعليتها وزادت عن ذى قبل المشكلات التى أصبحت تعالج خارجها.

وهكذا حكم علينا الموقف الدولى آنذاك أن نعتمد فى المجال الأول على أنفسنا وقوتنا الذاتية.

الأسس التى تستند إليها سياستنا العربية:

ليس من اليسير رسم خطوط دقيقة لسياستنا العربية فى المرحلة الحالية، أو لسياستنا المستقبلية؛ لأن الاحتفاظ بحرية الحركة يقتضى المرونة فى التخطيط والتنفيذ.

ولكن هناك أسساً تمليها علينا التجارب الماضية، ويفرضها علينا واقع العالم العربى والمؤثرات الداخلية والخارجية التى تتحكم فيه،نوجزها فيما يلى:

١ـ الوجود الاستعمارى بأى صورة مؤثرة فى أى جزء من الوطن العربى يشكل خطراً مستمراً على المد الثورى العربى بشتى صوره.

٢ـ الوحدة العربية ليست مجرد شكل دستورى، وليست مجرد تحالف بين حكومات ، وإنما يجب أن تقوم الوحدة على أساس شعبى منظم، باعتبار أن الشعوب هى صانعة الوحدة وحاميتها.

٣ـ الوحدة الوطنية قاعدة التحرك الوحدوى السليم الذى يحقق وحدة التنظيم المرتبط بوحدة فكر.

٤ـ الاشتراكية هى طريق الوحدة والديمقراطية الحقيقية؛ باعتبار أنه لا ضمان لأى مكاسب قومية فى بلد تسيطر عليه الرجعية المتحالفة مع الإقطاع ورأس المال (نكسة سوريا ـ اليمن).

٥- التقاء الحكومات المتحررة فى العالم العربى لمواجهة تحالف الرجعية يقتضى وحدة الفكر لدى التنظيمات الشعبية التى تساند تلك الحكومات.

٦- تأمين استقلالنا الوطنى وإرساء قواعد الاشتراكية فى جمهورية مصر العربية لن يكتب لها الاستقرار والإدامة ما دامت محاطة بنظم مرتبطة بمصالحها بالاستعمار.

٧- ثقلنا الدولى يرتكز أساساً على قدرتنا على التأثير فى الوطن العربى.

٨- العبرة فى التحرك النضالى هى بالقدرة على اجتذاب الشعوب، وربطها بالقاعدة وليس فى ربط الحكومات.

٩- العمل العربى الثورى هو الطريق الإيجابى الوحيد لتحرير فلسطين، والقضاء على اللعب المخطط للاستعمار فى الوطن العربى.

١٠- تحقيق الوحدة الاشتراكية العربية ليس أمراً سهلاً ويسيراً، بل هو جهاد ونضال ضد قوى جبارة داخل وخارج الوطن العربى.

١١- إن إقامة دولة الوحدة التى يعيش فيها الشعب العربى فى مجتمع تتفاعل فيه القوى العربية الروحية والبشرية والمادية تفاعلاً روحياً - يفجر إمكانيات الفرد العربى لخير أمته فى مجتمع تسوده الاشتراكية بجناحيها زالكفاية والعدلز .. لا شك أن هذا الوضع سيذيب النزعات المحلية، والعصبيات الطائفية، التى خلفتها التجزئة وثبتها الاستعمار لمصلحته.

١٢- أى تقلص وانعزال عن مجال تأثيرنا فى العالم العربى يمثل تمكينا للقوى المناوئة لحصرنا، وبالتالى تحقيق هدفها فى الإطاحة بنظام الحكم الحالى بالجمهورية العربية.

العمل العربى الثورى:

بعد أن وصل النضال العربى إلى الحد الذى تحددت فيه أبعاد المعركة، ووضحت فيه أهداف العمل العربى الثورى الواحد أمل جماهير الشعب العربى، تتجه كل الأنظار إلى الشباب العربى المؤمن الذى تبين الطريق واستفاد من التجربة على الصعيد العربى والإنسانى وعن طريق اتصاله المباشر بثورات الشعوب والاطلاع على تجاربها القيمة.

إن هذا الشباب إذ يشكل عصب النضال ودعامة المستقبل، مطالب بتكريس وعيه وثقافته بل وكل إمكانياته لتحمل مسئوليته التاريخية الحتمية، التى يفرضها عليه دوره النضالى كقوة ثورية خلاقة قادرة على تعبئة قوى الشعب العربى ليتخطى الانطلاق

الحزبى فى أوساط الجماهير الثائرة، ولتجميع طاقاتها وتذويب الخلافات بكل أشكالها، وعزلها عن طريق التنافس المصلحى الحزبى، وإكسابها الفاعلية الايجابية لتصبح قادرة على التصدى لأعداء الشعب العربى والقضاء عليهم . ٧ العمل العربى الثورى الواحد لا يمكن أن يكون ارتجالياً ورد فعل لما تطرحه تطورات الأحداث من تحديات مفاجئة، وإلا فقد نفسه فى زحام تلك الأحداث وتحدياتها الفجائية، وتصبح سلبية الجماهير بفقده بديلاً لإيجابيتها واستعدادها للسير فيه ...لذلك فهو عمل مدروس قوامه الإصرار والالتزام، يتخذ من زمام المبادرة وواقعه الأساسى الحركة الثورية الدائمة التى تلهب كل لبنة من لبنات تنظيمه الثورى الشاب المنبثق من صفوف جماهير شعبنا العربى كقوة طليعية، تقود عملية التطور وتعززها بالوعى والخبرة والكفاءة ، وتستوحى مهامها من المنطلقات الفكرية الأساسية لأهداف الثورة العربية، مؤكدة الالتزام بالمبادئ الثورية التى أصبحت تشكل مجرى أى عمل عربى ثورى صادق، وتبلور أهداف النضال العربى فى الحرية والاشتراكية الواحدة، بعد الإعداد الجيد والدقيق لإقامة الوحدة الاقتصادية، القائمة على بناء السوق العربية المشتركة.

الباب الثانى

إعلان الوحدة المصرية، السورية وموقف عرب المهجر



الفصل الأول

مدى إنعكاس اندماج السلك الدبلوماسى على السياسة الخارجية لدولة الوحدة

ما أن تم الاتفاق بين أعضاء الوفد السورى والوفد المصرى برئاسة الرئيس جمال عبد الناصر على إتمام الوحدة بين الجمهورية المصرية والجمهورية السورية ؛ حتى بدأت الجهات المختصة بوضع الإجراءات الدستورية لاتفاق إتمام الوحدة بين البلدين؛ تمهيداً للتوقيع عليها.

تم إعلان إتمام الوحدة فى أول فبراير ١٩٥٨ ، ووقع عليها كل من الرئيس جمال عبد الناصر رئيس الجمهورية العربية المتحدة ، والسيد شكرى القوتلى رئيس الجمهورية السورية ، وما أن تم إعلان الوحدة حتى باشر جميع المسئولين وضع جميع الإجراءات المطلوبة؛ لوضع اتفاقية الوحدة موضع التنفيذ العاجل والشامل بعد اتخاذ موافقة كل الجهات المختصة طبقاً لمواد الدستور المتفق عليها بين مسئولى القطرين المصرى والسورى ، وما أن بدأت إجراءات إدماج السلكين الدبلوماسيين المصرى والسورى فى إطار وحدة واحدة متماسكة حتى برزت أسئلة عديدة من أعضاء السلك الدبلوماسى السورى، مستفسرين عن وضعهم ووضع أعضاء السلك الدبلوماسى المصرى، وذلك فى الدول التى يوجد بها جاليات عربية بأعداد كبيرة من عرب المهجر الذين أجبرتهم السلطات العثمانية على الهجرة من وطنهم الأم فى سوريا ولبنان وفلسطين فى النصف الأول من

القرن العشرين؛ باحثين عن أوطان جديدة يعيشون فيها مع أسرهم، وعن عمل يقومون به نظير أجر يسد حاجتهم من الغذاء ولوازم العيش، والحياة فى معيشة آدمية كريمة ، واستوطنوا المهجر، متخذين من البرازيل، والأرجنتين، وشيلى، وأوروجواى موطناً جديداً لهم احتضنهم؛ ليمدهم بمطالب المعيشة نظير تقديرهم لموقف هذه الأوطان التى استوطنوها هم وعائلاتهم ومن هاجر بعدهم من أوطانهم الأصلية؛ مستفيدين من تجربة أقاربهم السابقين للهجرة قبلهم، ليسافروا بالسفن عبر البحار وليصلوا إلى موانئ مواطن أقاربهم أو أبناء أوطانهم الأصلية؛ ليشاركوهم نعمة الحياة الإنسانية الكريمة ، وحصلوا جميعاً بحسن خلقهم وجودة عملهم ووفائهم وحبهم وتقديرهم لموطنهم الجديد على ثقة أبناء وسكان ومواطنى دول المهجر هذه، التى لم ترفض لجوءهم إليها بل فتحت أيديها وقلوبها لتستقبلهم بأحسن تحية وإكرام.

ما أن وصل إلى الرئيس عبد الناصر أخبار وتساؤلات أعضاء السلك الدبلوماسى السورى عن وضع المهجر؛ حتى طلبنى لمقابلته فوراً؛ ليسألنى عن موضوع عرب المهجر وتفاصيله ، وما لدى من معلومات عن حقيقة أوضاعهم ؛ وبادرت على الفور بجمع مذكراتى الخاصة بالدراسة التفصيلية لأوضاع المجتمع العربى ، والتناقضات التى عايشها أبناء الأمة العربية منذ وفاة الرسول الكريم سيدنا محمد (صلى الله عليه وسلم) ومن بعده سيدنا أبو بكر، وخليفته عمر بن الخطاب، وتولى الخليفة الثالث عثمان بن عفان الذى اغتيل، ليخلفه سيدنا على بن أبى طالب، وبداية مواجهة الأمة العربية لأولى مراحل الفرقة التى بدأها معاوية بن أبى سفيان، وتتابع العديد من التناقضات التى بدأت بطائفة الشيعة وما تلاها من طائفية ومذاهب دخلت على الأمة العربية الإسلامية من عناصر التخريب على الدين الإسلامى من جميع الأجانب، الذين تفننوا فى نشر العديد من وسائل التفرقة بلا رحمة أو إيمان بخطورة ما أقدموا عليه من تدمير وتخريب وفرقة بين أبناء الأمة العربية ، الأمر الذى قمت بدراسته بكل عمق وتفصيل حتى يومنا ، هذا وأوضحته - بنتائجه الضارة - فى بحثى الذى دونته وشرحته فيما قدمته من بداية كتابى هذا، فى اختصار شديد دون الإفراط فى تناوله بجميع حقائقه وتفاصيله، لحاجته لمجلدات لتغطيته واستيعابه.

ونظراً لأهمية التركيز الكامل على مواطنى الدول الثلاث الرئيسية التى كانت هى الأوطان التى قام بعض مواطنيها بالدور الرئيسى فى القيام بالهجرة الأولى من سوريا ولبنان وفلسطين والأردن ثم هيأوا المكان والجو المناسب فى دول المهجر لاستقبال كل من

قرروا الهجرة إلى موطنهم الجديد مبتعدين عن كل صور الظلم والكبت والحرمان، سواء خلال سيطرة الاستعمار العثمانى فى السنوات الغابرة، أو على يد الاستعمارين الفرنسى والإنجليزى منذ انتهاء الحرب العالمية الأولى بعد اندحار السلطة العثمانية، التى ظلت تتحكم فى مقدرات أبناء ومواطنى الدول الثلاث مرتكزة فى تخطيطها لاستبعاد أبناء سوريا ولبنان وفلسطين عن أرضهم وطردهم خارج أوطانهم، مستندة إلى أن السلطات التركية لا يمكنها معايشة أى أسرة مسلمة لا ترتبط دينياً بالمذهب السنى.

ولم يتردد الاستعماريون الفرنسيون أو البريطانيون فى انتهاج نفس خطة وسياسة الاستعمار العثمانى فى السيطرة على كيان وأوضاع السوريين واللبنانيين والفلسطينيين، وحرمانهم من كل ثرواتهم الزراعية والمعدنية وخيرات بلادهم ، الأمر الذى أجبر أبناء الدول الثلاث على مواصلة الهجرة، بمجرد أن يوفر لهم أقاربهم وأصدقاؤهم الظروف المناسبة لاستقبالهم فى دول المهجر التى قرروا الهجرة إليها.

وسوف أتناول فى الشرح التالى طبيعة الأوضاع والنظام القائم فى كل بلد، ومدى الارتباط بين مواطنى المهجر المقيمين به ووطنهم الأم؛ لتكون الصورة واضحة أمامنا؛ لنضع أسلوب وخطة الارتباط ما بين جميع جاليات المهجر؛ بهدف ربطهم فى إطار من التخطيط السليم المتماشى مع طبيعة تكوينهم؛ للحفاظ عليهم كرسل سلام وأخوة ودعاة دعاية طيبة لثورة ٢٣ يوليو وأهداف سياستها، بما يخدم استقطاب الرأى العام لأبناء ومواطنى دول المهجر لمصلحة سياستنا العربية والخارجية.



الفصل الثانى

لبنان وسوريا وفلسطين وعرب المهجر

لبنان وعرب المهجر:

تطلع بعض مواطنى لبنان - وعلى يد رؤسائها - إلى التفكير فى تغيير مكان عملهم ونشاطهم وجهودهم؛ لتغطية مصاريف والتزامات معيشة أسرهم، ويرجع ذلك إلى إحساسهم بصغر حجم مساحة الأرض اللبنانية، وصعوبة استيعابها لنشاط مواطنيها؛ لذلك كان تفكير اللبنانيين منذ الزمن القديم يدفعهم بصورة طبيعية ومستمرة إلى الهجرة بحثاً عن متنفس جديد، يستوعب بعض مواطنيهم ، وبالفعل تمكنوا من تأسيس بعض المدن على شواطئ شمال أفريقيا مثل قرطاج، بالإضافة إلى إقامة علاقات ثقافية وتجارية مع جميع دول البحر الأبيض، مستفيدين من الإبحار بسفنهم حول أفريقيا، وقد نقلوا إلى بعض الدول الحرف التى كانوا يجيدونها وبالذات السهلة الصنع ، وكثرت الهجرة فى أواخر القرن التاسع عشر وأوائل القرن العشرين لسببين ؛ أولهما : الحصول على مورد مالى لرفع مستوى المعيشة ، وثانيهما : السعى للتحرر من السيطرة العثمانية الأجنبية، وللبنان حالياً أكثر من مليونى لبنانى فى دول المهجر . ويتمتع هذا العدد الكبير من مهاجرى لبنان بمراكز مرموقة فى جميع الأنشطة، سواء فى السياسة والإدارة والصحافة، وفى شئون الصناعة والتجارة والزراعة، بالإضافة إلى المهن الحرة.

وكنتيجة طبيعية لهذا الموقف لجأت السلطات اللبنانية بدورها مع جاليات المغتربين إلى إنشاء وزارة خاصة للاهتمام بشئونهم، وسميت بوزارة الخارجية واللبنانيين المغتربين،

حيث ظلت القاعدة المهمة للسياسة اللبنانية تجاه المغتربين هدفها الأساسى يتركز فى الإبقاء على الروابط التى تصلهم بالوطن الأم، والاحتفاظ بهم رسل محبة وسلام فى العالم؛ لخدمة قضايا لبنان مع التأكيد المستمر للإبقاء عليهم مواطنين صالحين فى البلاد التى يقيمون فيها.

وتدعيماً لاهتمام الحكومة اللبنانية بربط المغتربين بلبنان فى مختلف دول المهجر، لربط تلك الدول المضيفة، أقاموا الجامعة اللبنانية فى العالم؛ لربط لبنان الموطن بلبنان المغترب، مستعينين بقدرات المغتربين المالية لمعاونة وزارة الخارجية اللبنانية فى تحمل مصاريف إنشاء وتسيير تلك الجامعة؛ ليتم جمع شمل المغتربين اللبنانيين فى منظمة واحدة، تعمل على توثيق علاقاتهم بالوطن الأم، وعلى تقوية أواصر التعارف والتعاون فيما بينهم.

وقامت تلك الجامعة كمؤسسة أهلية مستقلة يشرف عليها مجلس إدارة منتخب ويديرها أمين عام يرأس الدوائر التنفيذية بها ، كما تأسست لها فروع فى مختلف ديار المهجر؛ لتدعو إلى اجتماعات دورية تعقد فى لبنان وفى مراكز تجمع المغتربين؛ بأمل أداء واجبها كجهاز فعال لتنسيق الاتصال والتعاون بين المغتربين وبين لبنان.

وقد قمت ببيان جميع الطوائف والمذاهب، وأماكن نشاطها وأتباعها، موزعة على دول الوطن العربى.

سوريا وعرب المهجر:

بدأت المنطقة التى تم التعارف على تسميتها بسوريا بعدما تم إعلان استقلالها بعد الحرب العالمية الأولى، وإزاحة الاستعمار العثمانى بعيداً عن أرضها، وحل محله الاستعمار الفرنسى مستفيداً بكل ما جمعه مندوبوه عن الأسلوب الكامل لسيطرة الاستعمار التركى وتفاصيل إدارة شئون سكان مستعمرتيهما الجديدتين فيما سمى بسوريا ولبنان، وترك سيطرة المستعمر البريطانى على فلسطين التى وضعوها تحت الانتداب البريطانى ، إلا أن الأوضاع على أرض سوريا كانت لا تختلف كثيراً فى تكوين مجتمعها عن أوضاع المجتمع اللبنانى، من حيث تعدد أنواع الطائفية على أرضها المتميزة بتعدد نوعية التكوين الطبيعى لأراضيها ما بين المناطق الجبلية والسهول الزراعية والأرض الصحراوية، وأماكن ارتباط تلك الأراضى بالحدود الطبيعية ما بين حياة البحر الأبيض والبحيرات والأنهار والصحراء الجرداء.



صورة لبعض المهاجرين الأوائل من سوريا ولبنان

ومما لا شك فيه أن طبيعة انتشار أبناء الشعب السورى على الساحة السورية، واختيار كل طائفة من سكان سوريا للأرض المناسبة لأسلوب معيشة أسرها، وتمكينهم من ممارسة تعاليم ومفردات عقائدهم على الوجه الذى يتماشى وتعاليم مؤسس الطائفة أو صاحب المذهب الذى دانوا له بالطاعة، وموقع أرض سوريا وطبيعة انتمائها الأصلى منذ القدم البعيد للارتباط بالنظام الأسرى القديم بطابعه القبلى، والذى يسيطر على الفرد ليكون خاضعاً وملتزماً بأوامر شيخ القبيلة، والاستخدام المستمر لكل الغزاة الذين غزوا بلاد الشام - الأرض السورية واللبنانية والفلسطينية - يبين لنا مدى المؤثرات الغريبة والواردة مع الغزاة من تقاليد وأفكار وعادات ولغات وأديان، لا تتفق وتعاليم الدين الإسلامى الحنيف.

على سبيل المثال غزو الصليبيين لأرض الشام، وما قاموا به من أعمال باطلة، وتصرفات مضللة، وانتهاك لحرمات مقدساتنا، واستغلالهم لكل ما لدينا من خيرات.

موقف الاستعمار العثمانى:

ما أن فرض الاستعمار العثمانى سيطرته على دول المشرق العربى حتى أقام من بعض مسئوليه حكاماً على كل منطقة من مناطق الساحة العربية، الشاملة لكل من بلاد

الشام والعراق وأرض الحجاز والإمارات واليمن ومصر، مدعماً كل حاكم منهم بقوة تركية عسكرية؛ ليتخذها أداة فى إجبار جميع سكان تلك المناطق للخضوع الكلى لأوامره وتعليماته فى منطقة نفوذه، ودفع كل ما يفرض عليهم من ضرائب، بكل طاعة وبلا اعتراض.

ونظراً لأن الدولة العثمانية كانت تخضع لمذهب السنة المحمدية؛ لم تتردد فى انتهاج أسلوب ز التنكيل اللاواعى ز بباقى المذاهب الأخرى بأنواعها المختلفة، وذهبت بهم القسوة وجبروت الاضطهاد إلى أن يمارسوا أسلوب الضغط على أبناء تلك المذاهب؛ للهجرة خارج البلاد، وتزويدهم بجوازات سفر تركية؛ ليستخدموها فى الرحيل إلى دول أمريكا الجنوبية؛ ليقيموا فيها كمهاجرين أتراك ، حيث كان يطلق عليهم مواطنو البرازيل وشيلى والأرجنتين التركوز. (TORCOS)

وقد دلت الدراسة المستفيضة لتوزيع الطوائف السورية على أراضى الدولة على أن كل سكان ومواطنى إقليم حلب بشمال سوريا من أتباع مذهب السنة، ولما كان هذا الإقليم هو الإقليم المجاور لتركيا؛ وضحت أسباب ذلك إلى جمع شمل أبناء ومواطنى سوريا الحلبيين بأبناء ومواطنى تركيا، وتم العديد من الارتباط الأسرى بين العديد من العائلات، وأصبحت العلاقة بين أسر الجوار محل تقدير واعتبار؛ ولذلك لم يمارس مسئولو الاحتلال العثمانى لسوريا أى ضغوط على الأسر الحلبية، وبالتالى أشار العديد ممن استفسرت منهم عن وضع أبناء حلب إلى الدور الذى لعبه الجوار بين أسر جانبى الحدود، وما عكسه من تهيئة جميع جوانب المعاملة الطيبة، التى نالها أبناء الأسر الحلبية من جيرانهم وأصهارهم من الأسر التركية، وبالتالى وضوح قلة نسبة المهاجرين الحلبيين فى المهجر؛ لاستمتاعهم بحق الحياة الإنسانية الكريمة على أرض وطنهم وحصولهم على جميع متطلبات حياتهم بعيداً عن أى اضطهاد.

فلسطين وعرب المهجر:

يشكل أبناء فلسطين القسم الجنوبى من إجمالى عدد سكان إقليم بلاد الشام، والتى تربط حدود بلاد الشام بالحدود المصرية شمال شرق شبه جزيرة سيناء، مسار الرسل والأنبياء ما بين الجزيرة العربية وحدود دولة الفرس والروم.

ونظراً لموقع دول الشام على الساحل الشرقى للبحر الأبيض المتوسط وتحكم هذا الموقع فى جميع طرق الاتصال ما بين دول القارة الأوروبية والقارة الآسيوية ، بالإضافة

إلى وقوع بيت المقدس موطن المقدسات المسيحية والإسلامية على أرض فلسطين مما أدى إلى تطلع جميع حكام الدول المسيحية وكذلك الإسلامية فى القرون الوسطى إلى تجهيز العديد من الجيوش للسيطرة على هذه الأرض المقدسة ، وهى العوامل نفسها التى أدت مع مطلع القرن العشرين إلى اهتمام الاستعمار الغربى بالسعى لضمان مصالحهم فى المستعمرات الموجودة فى آسيا ؛ خاصة فى ظل الوجود القومى للشعب العربى، والذى تم النظر إليه كخطر يهدد نفوذ ومصالح الاستعمار - فقد أدى هذا الوضع إلى قرار الدول الاستعمارية جلب شعب آخر غريب عن المنطقة؛ لفصل المشرق عن المغرب، بما يفتت الوحدة القومية للشعب العربى ، وارتبطت هذه القوى بالصهيونية العالمية ، وأصدرت بريطانيا ز وعد بلفورز فى ٢ نوفمبر ١٩١٧ ، الذى مهد لإقامة دولة إسرائيل فى ١٧ مايو ١٩٤٨ ، مع العمل على استنزاف موارد وخيرات الوطن العربى.

ولا يفوتنى هنا أن أسجل الدور الوطنى الكبير الذى مارسته جميع القوى الفلسطينية منذ بدأت مؤامرات اليهود المقيمين على أرض فلسطين، من استقبال العديد من العناصر اليهودية التى بدأت فى الوصول إلى فلسطين كلاجئين، أو أفراد من أسر يهودية مقيمة بفلسطين الذين قدموا إليها من أوروبا وروسيا، والتى لجأت إلى طردهم وإجبارهم على مغادرة محل إقامتهم؛ مما اضطرهم إلى استئذان السلطات البريطانية لتمنحهم حق الحضور للمعيشة على الأرض الفلسطينية، ولم يمض وقت طويل حتى وضح التآمر البريطانى اليهودى أمام الوطنيين الفلسطينيين بكل صوره.

وهنا باشرت السلطة الفلسطينية المقهورة جمع الشباب المناضل وتهيئتهم، للتدريب على استخدام السلاح، خاصة بعد ما تبين لهم أن غالبية من حضروا للإقامة من اليهود سواء من دول شرق أوروبا أو من روسيا معظمهم من الشباب، الذى لا تتعدى سنهم الثلاثين عاماً، وأنهم يقيمون فى معسكرات بنيت على أنها مستعمرات سكنية، ويتم التمرين والتدريب للجديد من الوافدين بهذه المعسكرات من اليهود.

وفى أوائل الثلاثينيات كانت السلطات الوطنية من أسرة الحسينى قد قامت بالعديد من الاتصالات بكل القوى الوطنية فى الدول العربية؛ لتضعهم فى الصورة الكاملة لما تقوم به السلطات البريطانية ، واليهود المقيمون بفلسطين .والعدد الضخم من الشباب المقاتل اليهودى الوافد من أوروبا الشرقية والغربية، والذين باشروا - بالاتفاق مع المسئول البريطانى - الكثير من الصراعات الشخصية فى مواجهة الفلسطينيين، وخاصة ألاعيبهم فى تملك العديد من العقارات، التى ادعوا شراءها من الأسر الفلسطينية، وكذلك المبانى

المستعملة كمتاجر . ومع تطور الصراعات اليهودية إلى استخدام الأسلحة النارية فقد دفع ذلك المواطنون الفلسطينيون إلى الاستعانة ببعض الوطنيين من سوريا والأردن، واستخدام السلاح فى معارك مستمرة للتصدى للعصابات اليهودية التى اشتبكت مع القوات الوطنية الفلسطينية والعربية فى معارك متتالية، مما أدى إلى سقوط العديد من القتلى من الطرفين . ومع نجاح القوات الفلسطينية فى تحقيق النصر فى بعض المعارك، تدخلت القوات البريطانية المتولية لشئون الانتداب البريطانى على فلسطين لتكبيد الفلسطينيين خسائر كثيرة.

وإزاء تحمل الجانب الفلسطينى لعدد كبير من القتلى الشباب والرجال والنساء، اضطر الكثير من رؤساء الأسر الفلسطينية إلى الهجرة خارج أرض فلسطين، وقد لجأ البعض إلى بعض الأراضى العربية، والأغلبية إلى دولة شيلى بأمريكا اللاتينية، وكونوا بها جالية وصل تعدادها إلى نحو مليون ونصف مليون نسمة، وقد لاقت الترحاب من مواطنى شيلى.

الفصل الثالث

الرئيس عبد الناصر يتخذ قراره الابتدائى

الاطلاع على الدراسة المتوافرة:

بادر الرئيس عبد الناصر حين قابلته ومعى جميع الدراسات التفصيلية التى كنت قد قمت بإعدادها، بعد إتمامى لعملية الاستطلاع الميدانى الذى وافق على قيامى بها طوال عام ١٩٥٤ ، وقبل وضع الخطة التفصيلية للقيام بالاستجابة الفورية لدعم نضال المواطنين الأحرار، والذى سجلت أحداثه بالكامل فى كتب التسجيل التاريخى للدور النضالى لثورة ٢٣ يوليو ١٩٥٢ ، بقيادة الرئيس جمال عبد الناصر - بطلب ترك كل الدراسات له ليطلع عليها شخصياً ، حيث دار الحديث فى العديد من النقاط ، خاصة حول المبررات التى أدت إلى هجرة العديد من الأسر السورية واللبنانية والفلسطينية من أوطانهم من بداية القرن العشرين، ليتضاعف عدد من غادروا وطنهم الأصلى وأقاموا فى أوطان الهجرة الجديدة لهم بعيداً عن الأرض العربية، والحلول الممكنة لمعالجتها ، وقد أوضحت للرئيس عبد الناصر فى مختصر دقيق الأسباب الرئيسية التى دفعتهم لمغادرة أوطانهم، مؤكداً أسلوب المعاملة الفظة التى اتبعها الاستعمار العثمانى المرتبط بالمذهب السنى الذى يدين به، واضطهاده لجميع الطوائف والمذاهب الأخرى العديدة الانتشار على الساحة العربية بين المسلمين أو المسيحيين من الأسر العربية التى تستوطن إقليم الشام وباقى أقطار الوطن العربى، مما اضطرهم إلى مغادرة ديارهم وأرض بلادهم التى نشأوا بها، والرحيل السريع للمهجر الجديد؛ للإقامة على أرض جديدة توفر لهم الحياة الإنسانية الكريمة.

وما أن هزم الاستعمار التركى فى الحرب العالمية الأولى حتى باشرت القوى الاستعمارية البريطانية والفرنسية انتهاجها الخطة والأسلوب العثمانى نفسه فى استبعاد جميع الأسر الوطنية المضادة للاستعمار، والمقاتلة فى سبيل الإطاحة بالمصالح الاستعمارية.

وشرحت للرئيس عبد الناصر أن مواجهة تعدد أتباع مختلف الطوائف والمذاهب الدينية واتساع انتشارها على ساحة الوطن العربى تجعلنا نعيد النظر فى استقطاب شباب مختلف الطوائف والمذاهب السليمة الاتجاه فى الالتزام بتعاليم الرسالات السماوية والبعيدة عن كل سبل الانحراف، الذى لجأ إليه مؤسسو تلك المذاهب؛ ليحققوا من ورائها مكاسب شخصية أو تطلعات دنيوية زائلة، مع تركيزنا - وبصفة مستمرة - على ربط الأغلبية السليمة الاتجاه من المواطنين الأحرار بالمفاهيم الصحيحة والإيمان بكل ما تعنيه القومية العربية من قيم.

وقد عقب الرئيس عبد الناصر :أعتقد أن الوضع الحالى - على ضوء شرحك الموجز للأسباب والتناقضات التى عمت الأرض العربية فى العهد القديم وحتى وقتنا هذا - أصبح ليس ذا خطورة كبيرة، خاصة بعد إتمام الوحدة بيننا وبين سوريا، إلا أننى أتساءل حالياً عن الظروف الكاملة لمعيشة كل الأسر العربية الموجودة فى المهجر، فنحن نسمع كلاماً عنهم من آخرين، إما أقارب لهم أو بلدياتهم لكن ليس لدينا تقرير كامل وتفسير واضح مفصل عن طبيعة المعيشة، وأعتقد أن لجوء السفراء السوريين للتساؤل عن الوضع بالنسبة لهم أصبح فى محله، خاصة من لم يعمل منهم سفيراً فى دول المهجر ، وأعتقد أن أسلم حل وأسلم طريق هو أن تقوم أنت بالسفر إلى بلاد المهجر، وتجتمع بسفرائنا الموجودين فى هذه الدول وبنفس رؤساء الجاليات السورية واللبنانية والفلسطينية المهاجرة، وتتعرف منهم وبألسنتهم على طبيعة الأوضاع التى يعيشون فيها، وطبيعة العلاقة التى تربطهم بسلطات الحكم فى تلك الدول ، وهل يجدون من هؤلاء الحكام وموظفيهم العون والرضا، أم يمارسون أى ضغوط عليهم، تتعبهم وتورطهم فى مشكلات مستمرة ، وهدفنا سيكون على الدوام دعمهم فى مهجرهم، وربطهم بوطنهم الأصلى ربطاً عميقاً، يمكنهم من الإحساس المستمر بأنهم رغم معيشتهم فى الخارج، إلا أنهم ما زالوا على ارتباط وثيق بوطنهم الأم وبأهلهم وبأصدقائهم وبأحداث هذه الأوطان.

وكلامى هذا يتطلب أن تعد نفسك ، ولكن قبل كل شىء أنت حالياً مسئول عن الساحة العربية كلها، ومشكلات الجزائر والمغرب مستمرة ، والمشرق العربى مشكلاته ما زالت قائمة، ولذلك سأعطيك فرصة ستة أشهر تعد فيها خطة كاملة لمساعديك ومن يعملون

معك؛ ليقوموا بتحمل المسئولية كاملة بحيث لا يؤثر غيابك عنهم فى الإخلال بقدرتنا على دعم ومساندة ثوارنا على الساحة العربية، وعلى اتساعها بلا توقف وربنا يوفقنا.

وبعد أن استوعبت المطلوب كما أوضحه لى الرئيس عبد الناصر أكدت له أن سفرى إلى دول المهجر عملية جديدة بالنسبة لى، لكن أنا فى تصورى أنها ستكون باعتبارى مندوب سيادتك من القاهرة لزيارة الجاليات العربية فى المهجر أكبر معونة ومساندة كبرى لى، وإذا كان لسيادتك أى طلبات أخرى، أو بعد قراءة الدراسة المقدمة لحضرتك أى تساؤل، سأكون جاهزاً لأوضحها، وأعتقد ان الاستفسار الذى أثاره رجال السلك الدبلوماسى السورى سيفكر فيه رجال السلك الدبلوماسى المصرى، باعتبار أنهم سيواجهون فيه رعايا لسفارتهم جديدة، وأنا كما فهمت من المناقشة مع بعض السفراء المصريين فى وزارة الخارجية وجدتهم يعتبرون أن العملية لن تكون فيها مشقة، وبالعكس قيام الوحدة سيسهل من مهمتهم كثيراً إذا ما عينوا فى دول المهجر.

وهنا ابتسم الرئيس عبد الناصر، وقال لى: «لا تأخذ حلولاً من السفراء المصريين؛ لأن كل واحد سيفكر بأسلوب مختلف عن تفكير السوريين، وأنا فكرت كويس فى الموضوع وكنت سأقول لك، وأقولها لك، سأعين كل السفراء من دول المهجر من السلك الدبلوماسى السورى، ويعاونهم مستشار من السلك الدبلوماسى المصرى، أما فيما يتعلق بالسكرتارية من ثالث إلى أول فليس هناك مشكلة، بل سيتم تدريبهم، ويسيرون فى الإطار السليم، وأعتقد أن الوقت المناسب لسفرك سيكون فى شهر يونيه ١٩٥٩، حتى يكون الجو مناسباً لإقامتك هناك، بالإضافة إلى أن هناك مهمة ستسبق هذه المهمة سأكلفك بها وهى الاتصال بعناصر إسلامية فى أمريكا الشمالية، وسأبلغك بها فى حينها وقبل سفرك».

الرئيس جمال يحدد موعد وتفاصيل مهمة السفر :

بعد مضى ثلاثة أشهر طلبنى الرئيس جمال للقائه مرة ثانية بمنزله، وكان ذلك فى أوائل شهر سبتمبر عام ١٩٥٨، وما أن التقيت به حتى بادرنى بقوله: انه أتم خلال فترة الأشهر الثلاثة الماضية تكليف وزير الخارجية بتوزيع اللواءات من السوريين الذين تم نقلهم إلى السلك الدبلوماسى بوزارة الخارجية - وعلى ضوء حديثنا السابق - حيث تم تعيين المذكورين بعد لشغل منصب السفراء فى الدول التى سوف أسافر إليها من دول أمريكا اللاتينية:

١ـ السفير /توفيق شاتيلا ليكون سفيراً لدى جمهورية شيلى.

٢ـ السفير /إبراهيم الأسطوانى سفيراً لدى جمهورية الأرجنتين.

٣ـ السفير /جمال الفرا سفيراً لدى جمهورية البرازيل.

كما طلب من وزير الخارجية كذلك تعيين مستشارين للسفارات الثلاث من السلك الدبلوماسى المصرى:

١ـ تكليف السكرتير الأول لسفارة الجمهورية العربية المتحدة بالأرجنتين مؤقتاً، لحين تعيين مستشار مصرى جديد بها.

٢ـ المستشار /محمد على لسفارة الجمهورية العربية المتحدة بالبرازيل.

٣ـ السيد /إبراهيم عبد الحميد سكرتير أول بسفارة الجمهورية العربية المتحدة بشيلى.

كما تكرم السيد الرئيس بإخطارى بباقى السفراء الذين سوف أمر عليهم بالدول التى هاجرت إليها جاليات عربية:

- سفارة ج.ع.م بدولة المكسيك، وتولى السفارة بها السفير /محمد إبراهيم كامل.
- سفارة ج.ع.م بدولة بنما، وتولى سفارتها السفير /محمد التابعى محمد.

كما أشار الرئيس عبد الناصر إلى وجود بعض الضباط العسكريين من زملائنا القدامى، ويعملون كملحقين عسكريين وهم : العقيد أركان حرب /محمد أبو اليسر الأنصارى ملحقاً عسكرياً بالأرجنتين ، أما باقى السفارات فلم يتم تعيين ملحقين بها حينذاك.
كما أخبرنى الرئيس أنه حدد موعد سفرى فى النصف الثانى من شهر يونيه عام ١٩٥٩ ، نظراً لأنه سيكلفنى بإتمام مهمة جديدة لأقوم بها خلال سفرى وقبل انتقالى إلى مهمتى بأمريكا الجنوبية، وسيستدعينى قبل سفرى لوضعى فى الصورة الكاملة لطبيعة وموضوع مهمتى فى أمريكا الشمالية، لإتمامها قبل انتقالى إلى المكسيك فى بداية رحلتى جنوباً ، ولما سألته عما إن كنت سأصطحب معى أى زميل خلال رحلتى بأمريكا الشمالية، رد على قائلاً : (أنت دايماً تسأل علشان تعرف تفاصيل المهمة ونوعها مقدماً) فأسرعت بإيضاح أنى لا أقصد استيضاح أى شئ مقدماً، ولكنى أردت أن أعرف إن كان هناك زميل لى؛ لأعده ليساعدنى بكفاءة فى إتمام المهمة على الوجه المطلوب، وهنا ابتسم الرئيس قائلاً : «المهم إنك تأخذ كل دراساتك التى تركتها لاطلاعى عليها فقد أتممت قراءتها ، وأعتقد أننا سائرون فى الطريق الصحيح للوصول إلى أحسن الحلول؛ لوضع الأمور فى نصابها، وتحقيق هدفنا الأساسى كما شرحته لك فى حديثنا السابق».

وحين استأذنته فى العودة إلى عملى، طلب منى الرئيس محاولة الاتصال ببعض الأخوة السوريين الموجودين بالقاهرة، وبالذات الذين نقلوا إلى وزارة الخارجية وتعينوا للعمل بالوزارة، للحصول منهم على أى معلومات عن الشخصيات الرئيسية والقيادية من الجاليات العربية، سواء أكانت سورية أو لبنانية أو فلسطينية، لأننى أعتقد أن كثيراً من إخواننا السوريين لهم أقارب وأصدقاء بالمهجر ، وأثناء وجودى بسوريا مؤخراً وبعد تعيين السيد /نور الدين كحالة نائباً لرئيس الجمهورية للإقليم السورى، حدثنى كثيراً عن عرب المهجر وبالذات السوريون الأصل، مشيراً إلى أن ابن عمه أحد الذين هاجروا مبكراً إلى الأرجنتين، ووفقه الله وأصبح حالياً من أثرياء الجالية العربية السورية بالأرجنتين ، ويمثل حالياً رئيس الجالية السورية بـ (بيونس أيرس) وأظن أن هذه الشخصية ستفيدك كثيراً فى الإلمام بكل خبايا ومشكلات ومزايا عرب المهجر فى الأرجنتين.

وانتقل الرئيس جمال فى حديثه معى ليتناول الوضع بالنسبة للمهاجرين اللبنانيين، وتناول أثر الهجرة اللبنانية على وضع لبنان الحالى، وسألنى عن مدى تأثير الأحزاب اللبنانية المستوطنة على أرض لبنان حالياً ، وإن كان هناك أى انعكاس لأى أثر على حركة هذه الأحزاب ومدى تأثيرها وردود فعلها على نظرتهم لعرب المهجر من اللبنانيين، وهل أثار أى فرد من المسئولين اللبنانيين أو رؤساء الأحزاب مثل هذه الموضوعات معى خلال اتصالى بهم ، وبينت للسيد الرئيس أن الأخوة اللبنانيين - وبالذات أعضاء ورؤساء الأحزاب -تجنبوا الإشارة لموضوع عرب المهجر وإثارته معى ، الأمر الذى تصورت معه أنهم يحاولون استبعاد مسئولى ج.ع.م عن التدخل فى هذا الموضوع، تفادياً لحرج موقفهم معنا ، وتفادى ممارستنا لأى نشاط ينعكس تأثيره على علاقة الجالية اللبنانية فى المهجر بالأوضاع بلبنان، خاصة أن معظم ما سمعته عن عرب المهجر يؤكد أنهم بعيدون كل البعد عن التورط فى أى مسائل طائفية أو حزبية أو عنصرية تورطهم فى استفسارات ومشكلات مع مواطنى بلاد المهجر ومسئوليها، بما يحرمهم من المعاملة الطيبة الحسنة التى يلاقونها من حكام ومواطنى بلاد المهجر ، وكما فهمت من إخواننا السوريين أنهم يراعون باستمرار مشاعر الأخوة اللبنانيين، ويحرصون على اتخاذ أسلوب المحبة والصداقة والأخوة مساراً مستمراً لعلاقتهم بهم جميعاً، وهى المعاملة نفسها التى ينتهجها اللبنانيون والسوريون والفلسطينيون بمواطنى بلاد مهجرهم.

الاستعداد للسفر :

ما أن أنهى الرئيس جمال عبد الناصر إخطارى - بما أشار إليه سابقاً - حتى استأذنت

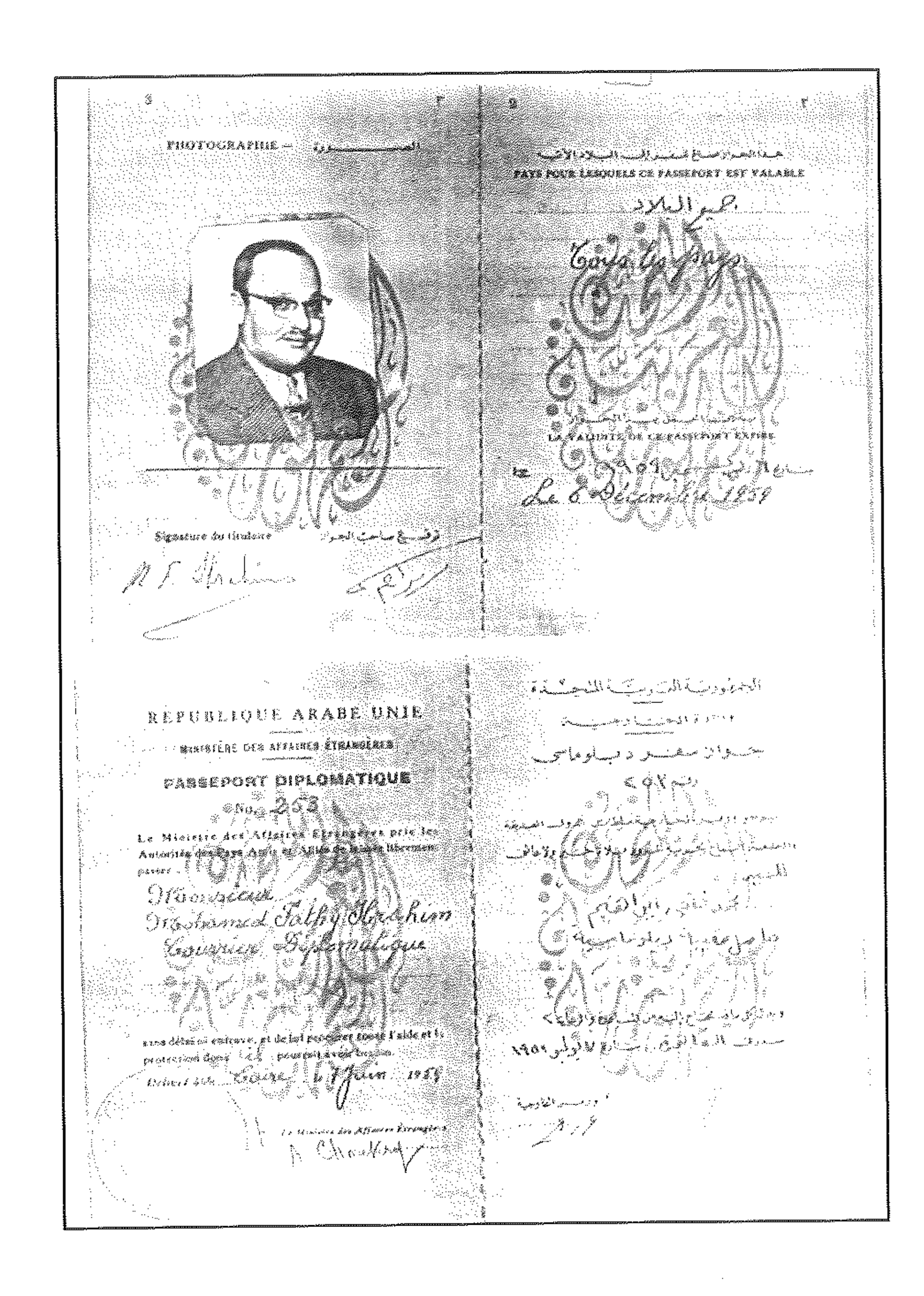
وعدت إلى مكتبى، وبدأت على الفور إعداد خطة العمل فى المسئوليات الموكلة إلىّ على ساحة الوطن العربى بأكمله ، الأمر الذى اتخذ منى ثلاثة أيام لإعداده وتوزيع تفاصيل الخطة على الورق قبل أن أستدعى الأخوة الزملاء المساعدين لى فى العمل.

وطلبت جميع المساعدين، وعقدت أول اجتماع بهم لشرح الظروف الكاملة لأسلوب العمل أثناء تغيبى فى مهمة رسمية تستدعى غيابى عن القاهرة لمدة من شهر إلى ثلاثة أشهر، خاصة أن طبيعة عملنا فى دعم مختلف جبهات النضال على ساحة الوطن العربى أمر صعب ويحتاج إلى التركيز المستمر لمتابعتنا، وأقصد متابعة كل المشرفين على مسيرة العمل بصفة مستمرة؛ حتى لا يتعطل اتخاذ أى إجراء ينعكس بالضرر على خطة العمل ، وبالتالى مصلحة العمل وسمعتنا كجهاز مناضل قادر على تسيير حركة النضال بلا توقف أو قصور، يعكس نفسه بأضعاف أضعاف التصور المطلوب للنجاح.

ونظراً لطبيعة عملى وتوزيع مسئوليتى على اتساع الساحة العربية، لم يكن مرجعى للمساعدين ومناقشة خطة العمل خلال غيابى أمراً جديداً، فكثيراً ما تغيبت بسفرى لمباشرة حركة النضال بصفة مستمرة من حين لآخر؛ لضمان تأكدى من سلامة وصحة حركة النضال فى مسارها الطبيعى.

واتخذ شرحى وتوزيعى للمسئوليات على المساعدين لى فى العمل طيلة اليوم، لقيام كل فرد بتوجيه العديد من الأسئلة والاستفسارات المحتاج إليها، ليستوعب مسئولياتها بتفاصيلها الكاملة؛ حتى لا تحدث أى أخطاء فى أسلوب ومنهج العمل.

وبالرغم من أن توزيعى لخطة العمل خلال تغيبى تم قبل موعد السفر المحدد بشهرين، إلا أننى آثرت أن أنهج هذا الأسلوب تماشياً مع أسلوبنا المستمر فى تدريب جميع العاملين معى على إتقان جميع خطوات التحرك فى أداء مهام المسئولية الملقاة على عاتقهم؛ لاستيعابها الاستيعاب الدقيق، بما يتيح للجميع الفرصة لمراجعة أسلوب العمل بالطريقة التى تضمن سيطرة كل مسئول على جوانب عمله بلا تردد.


PHOTOGRAPHIE — الصورة

Signature du titulaire — توقيع صاحب الجواز

PAYS POUR LESQUELS CE PASSEPORT EST VALABLE

جميع البلاد

Tous pays

LA VALIDITE DE CE PASSEPORT EXPIRE

Le 6 Décembre 1959

REPUBLIQUE ARABE UNIE

MINISTÈRE DES AFFAIRES ÉTRANGÈRES

PASSEPORT DIPLOMATIQUE

No. 253

Le Ministre des Affaires Etrangères prie les Autorités des Pays Amis et Alliés de laisser librement passer

Monsieur

Mohamed Fathy Ibrahim

Courrier Diplomatique

sans délai ni entrave, et de lui prêter toute l'aide et la protection dont il pourrait avoir besoin.

Délivré à le Caire le 7 Juin 1959

Le Ministre des Affaires Etrangères

الجمهورية العربية المتحدة

وزارة الخارجية

جواز سفر دبلوماسي

رقم ٢٥٣

محمد فتحي إبراهيم

حامل حقيبة دبلوماسية

وفى منتصف شهر مايو عام ١٩٥٩ ، بادرت باستخراج جواز سفر دبلوماسى باسم محمد فتحى إبراهيم فقط بصفة حامل حقيبة دبلوماسية وصالح لجميع الدول ، وترجع الصورة التى صدر بها جواز السفر لطبيعة اهتمامنا باستخراج جواز السفر باسم بعيد عن الاسم الأصلى؛ لتمويه طبيعة المهمة الموكلة لصاحب جواز السفر واستبعاد أى قدرة على متابعته بمعرفة جهاز مخابرات العدو ، كما أن تحديد وظيفة حامل حقيبة دبلوماسية يعتبر غطاء أميناً جداً ومفيداً فى التحرك السليم الآمن دون تدخل أى جهة فى عرقلة أى تحرك يعيق تحقيق الهدف من المهمة، بالإضافة إلى أن حامل الحقيبة الدبلوماسية غير قابل للتفتيش شخصياً وأى حقيبة يحملها بمعرفة أى سلطة أو أى جهة يصل إليها فى تنقلاته.

ونظراً لطول المسافات التى سيتم قطعها فى سفرياتى إلى جميع دول المهجر بعد إتمامى لمهمة أمريكا الشمالية؛ استبدلت الكمية اللازمة الضرورية من الدولارات الأمريكية ومن عملة دول أمريكا الجنوبية، مع استخراج تذكرة سفر على الخطوط الجوية الأمريكية، صالحة للتنقل ما بين القاهرة وأمريكا الشمالية بجميع ولاياتها .والمكسيك ثم دول الغرب لأمريكا اللاتينية، ثم التوجه إلى شيلى فالأرجنتين فأوروجواى فالبرازيل فأسبانيا، وأخيراً، سويسرا فالقاهرة.

مهمة الشمال الأمريكى:

استدعانى الرئيس عبد الناصر للقائه قبل موعد السفر بيومين فى منتصف يونيو عام ١٩٥٩ ، وبدأ فى تلقينى تفاصيل المهمة الخاصة بالاجتماع المزمع إتمامى له مع رئيس الجالية الموزعة على أكثر من مدينة فى ولايات الغرب الأمريكى، وركز الرئيس على ضرورة التكتم والاحتفاظ بسرية كل ما يتعلق بشأن هذا الاجتماع، بعيداً عن أى شخصية سواء من موظفى سفارتنا أو العاملين بها، مع تأمين كل تحركاتى قبل وبعد إتمام الاجتماع برئيس الجالية المؤمن بديننا الإسلامى والمتابع لكل نشاط تقوم به ثورة ٢٣ يوليو، سواء فى محيطها العربى أو الدائرة الإسلامية، ودعم جميع حركات التحرر للشعوب العربية لا يتم إلغاؤها مادام هدفها الرئيسى هو تحقيق الحرية الكاملة.

وتم شرح الطبيعة التفصيلية لما هو مطلوب منى لأنقله إلى رئيس الجالية، وبيان وإيضاح أسلوب النقاش المطلوب ممارسته معهم، والتأكد من تفهمهم لأهداف التفاصيل التى سأوضحها بالشرح الدقيق والهادئ؛ لتكون الصورة كاملة أمام الرئيس عبد الناصر .وما أن اطمأن الرئيس عبد الناصر إلى قدرتى على أداء مهمتى فى نقل الرسالة بتفاصيلها وتفهمى الكامل لكيفية إدارة النقاش وعناصر إدارته ومجالات طرحه بالصورة الصحيحة المقنعة، حتى وجهنى إلى الجزء التالى من المهمة، الذى يشمل ما هو مطلوب فى

رسالتهم الجديدة للرئيس عبد الناصر، مركزاً على:

أ - الوفد المنتظر وصوله ؛ كم عدده واختصاص كل منهم.

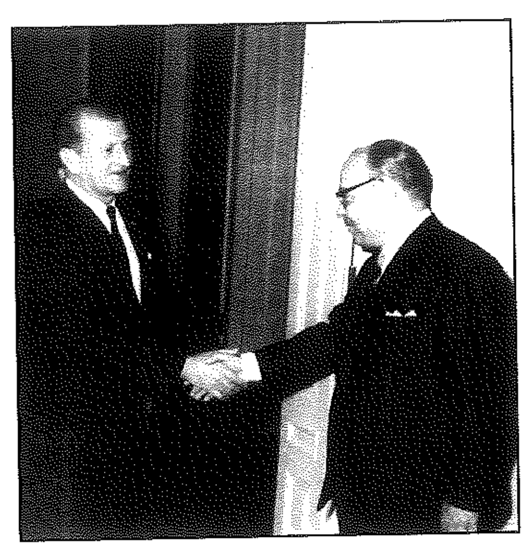
ب - الفترة المطلوب إقامتهم فيها بالقاهرة، مع تحميلى برسالة توضح نوعية الإعداد المطلوب لكل نوعية من الوافدين للقاهرة.

جـ - من المنتظر أن يتجدد وصول مندوب عنا على فترات متتالية، بفاصل ثلاثة أشهر، لضمان قيام المندوب بحمل رسائل منا وإلينا.

د - الجزر المحيطة بأواسط بلادكم يوجد بها كثير من إخوانكم فى الدين والأصل، ونحن وهم على اتصال بنا وعلى مستوى عال من الكفاءة فى الدفاع واللغة والتنظيم والإقناع بالمنطق والقدرة الثقافية، فهل لديكم اتصال بهم، أو ترغبون فى زيارتهم بمعرفتكم أو زيارتهم لكم.

وقبل أن يختتم الرئيس كلامه أبلغنى أن السيد عمر شرف - القنصل بمدينة نيويورك -سيكون فى معاونتك فى مهمتك هذه، ولديه تعليمات كاملة لتسهيل عملية اتصالك بمندوب رئيس الجالية بشيكاغو أو سان فرانسيسكو.

واختتم الرئيس عبد الناصر تلقينه لى بكل ما يتعلق بمهمتى فى أمريكا الشمالية بكامل تفاصيلها، وطلب منى ألا احتفظ بأى مستندات أو أوراق تخص هذه المهمة فى الذهاب أو العودة داعياً الله لى بالتوفيق.



لقاء السيد فتحى الديب بمندوب شركة الطيران اللبنانية

بسان فرانسيسكو السيد/ حميد مازون



الباب الثالث

بداية السفر لإنهاء هدف المهمتين

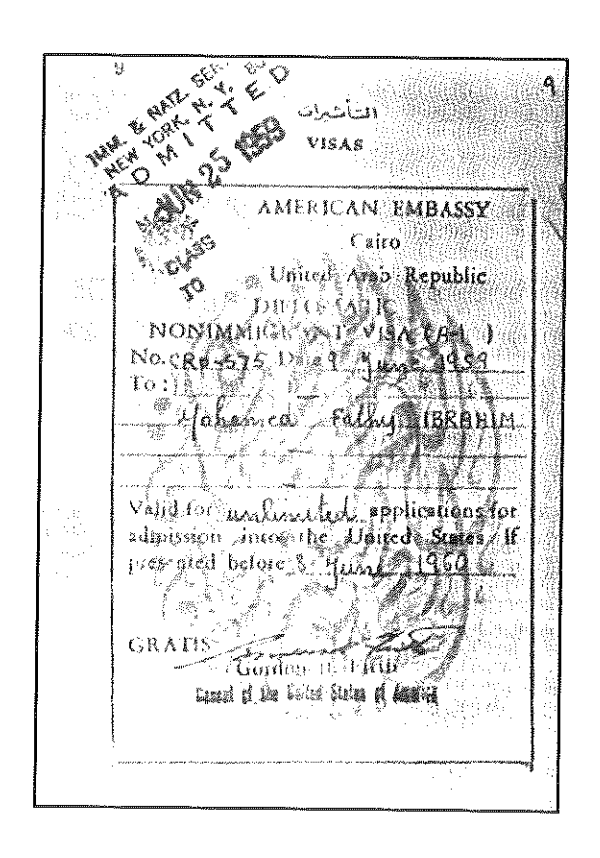


الفصل الأول

السفر للمهمة الأولى

أتممت جميع إجراءات سفرى يوم ٢٤ يونيو ١٩٥٩، بما فيها تحديد ميعاد سفرى إلى نيويورك يوم ٢٥ يونيو ١٩٥٩، وحجزت تذكرة السفر لليوم نفسه، وغادرت القاهرة- بعون الله - على T.W.A إلى نيويورك، لأصلها مساء اليوم نفسه، ووجدت الأخ عمر شرف قنصل ج.ع.م بنيويورك فى انتظارى، وعاوننى فى التوجه إلى الفندق الذى يقع بمنتصف المدينة؛ لتسهيل مهمة تحركاتى، وتم الاتفاق فيما بيننا على اللقاء صباح يوم ٢٦ يونيو بمبنى القنصلية.

بعد نوم عميق؛ نتيجة مجهود السفر الطويل بالطائرة، استيقظت صباحاً متمتعاً بنشاط طيب؛ لأبدأ العمل، وتوجهت إلى مبنى القنصلية الساعة التاسعة؛ لألتقى بالأخ عمر شرف، وطبقاً لتفاهمنا السابق بالأمس فرغ نفسه تماماً من كل الأعمال لنجلس بمفردنا، وبمناقشة أسلوب تحركاتى طبقاً لتعليمات المهمة الأولى تفاهمنا كلية على ضوء ما فهمته من عدم وجود مندوب رئيس الجالية بنيويورك، ووجوده حالياً بمدينة شيكاغو، وأنه أبلغه أننى على وصول قريب؛ ولذلك حدد له رقم التليفون الخاص به بشيكاغو، وبمجرد الاتصال به سيعلمه بعنوان إقامته؛ لنتوجه نحن أنا والأخ عمر إلى شيكاغو بالطائرة لمقابلته؛ والاتفاق على المرحلة التالية من المهمة.


٩

التأشيرات

VISAS

IMM. & NATZ. SER.
NEW YORK, N. Y.
ADMITTED
JUN 25 1959
CLASS
TO

AMERICAN EMBASSY
Cairo
United Arab Republic
NONIMMIGRANT VISA
No. 575 Date 9 June 1959
To:
Mohamed Fathy IBRAHIM

Valid for unlimited applications for admission into the United States if presented before 8 June 1960

GRATIS

Consul of the United States of America

تم اتصال الأخ عمر بالمندوب مباشرة، وأخبره بوصولى، وتم الاتفاق فوراً على اللقاء بشيكاغو فى الليلة نفسها بعد حجز تذاكر الطائرة مباشرة؛ لنكون فى الموعد قبل مساء اليوم نفسه.

وبناء على هذا الاتفاق غادرنا مكتب القنصلية بعد قيام الأخ عمر بعمل ترتيبات السفر، وتم حجز تذاكر السفر بالتليفون ليكون السفر فى الساعة الثانية من بعد ظهر اليوم نفسه، وغادرنا المكتب لنمر على مطعم للغداء وللصدف الغريبة أن نجد مندوب الجامعة العربية بالمطعم نفسه، وهو يعرفنى جيداً إلا أنه يعرف أن لى أفراداً كثيرين من عائلتى يقيمون فى أمريكا، منهم الدارسون والأساتذة، وبسرعة تمكنت من الترحيب به وإقناعه بأننى فى طريقى لمقابلة ابن عمى الدكتور فى جامعة شيكاغو، ثم غادرنا المطعم وتوجهنا بالطائرة إلى شيكاغو.

تفادياً لعدم الظهور معا، كنا قد طلبنا من المندوب رئيس الجالية أن ينتظر في منزله، وسنمر عليه؛ حتى لا نكشف علاقتنا به، وهبطنا في مطار شيكاغو، واستأجرنا) تاكسي (لينقلنا إلى منزل مندوب رئيس الجالية، ووصلنا في الموعد المحدد، وتم التعارف وجلسنا جلسة طويلة انحصرت كلها في الشرح والتفاهم على أسلوب التحرك إلى مقابلة السيد رئيس الجالية المطلوب لعدم وجوده في شيكاغو، واضطراري إلى السفر بمفردي إليه في سان فرانسيسكو في اليوم التالي، علماً بأن المندوب أبلغ رئيس الجالية بوصولي إلى شيكاغو وأنه سيقوم بإيضاح أسلوب الاتصال الكامل بجميع مراحله في سان فرانسيسكو، ومن المفضل ألا ينتظره أحد في المطار من طرفهم؛ حفاظاً على سرية المهمة، علماً بقدرات السيد مندوب الرئيس جمال على القيام بأي مهمة في أي مكان وبأي وسيلة.

بعد أن أوضحت جميع تفاصيل التحرك لإتمام المهمة، تناقشت مع الأخ عمر شرف في قيامي في صباح اليوم التالي بالطائرة لأعبر أمريكا إلى سان فرانسيسكو، مبيناً له أنه لا حاجة إذن لبقائه أكثر من صباح غد في شيكاغو، طالما أنه لن يسافر معي إلى سان فرانسيسكو، وبعد أن تفاهمنا مع مندوب رئيس الجالية، ودعناه لحجز تذكرتي للغرب، وقد فهمت من الأخ عمر أن لديه تذكرة العودة إلى نيويورك، وغادرنا منزله إلى مكتب الطيران للقيام باللازم، وبعد أن حجزت محل السفر على التذكرة وعلى الطائرة الـ T.W.Aالتي أتيت بها من القاهرة ، ثم أتممت حجز غرفة لي في الفندق؛ لقضاء هذه الليلة في شيكاغو ومغادرة عمر إلى نيويورك ، أمضيت الليلة في الفندق مستفيداً بانفرادي هذه الليلة؛ لأستعيد تفاصيل مهمة سفري، ودراسة التحرك في مدينة سان فرانسيسكو على خريطة التحرك على أرض المدينة بالسيارة وغيرها من وسائل المواصلات.

سافرت صباح يوم ٢٧ يونيو من شيكاغو متوجهاً إلى سان فرانسيسكو بالطائرة، لأصلها بعد ظهر اليوم نفسه، واستقللت (تاكسي) لأصل إلى الميدان القريب من محل إقامة رئيس الجالية المحدد لي على الخريطة، وبالفعل كما شرح لي مندوب رئيس الجالية وجدت بالميدان فندقاً ممتازاً واصطحبت حقيبتي وحجزت مكاناً بنفس الفندق، ثم غادرت الفندق بعد الغداء المتأخر لأتحرك على قدمي متبعاً الأسهم المحددة لي على خريطة التحرك، لأجد شخصاً منتظراً على باب عمارة سكنية بعد أن رآني أقترب منه تقدم مني وأسمعني كلمة السر التي أخذتها وأخذت ردها من مندوب رئيس الجالية، فضحك واصطحبني وانتقلنا إلى الشارع المجاور، ليقف أمام منزل آخر ويدق الجرس، فيخرج من المنزل شخص آخر ويتبادلان كلمة سر، ويرد عليه فيخرج المندوب الجديد ليصحبني محل المندوب

السابق الذى صحبنى سابقاً، وصحبنى المندوب الجديد إلى الشارع التالى، ويكرر نفس العملية، إلا أن المندوب الثالث اصطحبنى داخل المنزل، وسألنى باللغة الإنجليزية هل أنت السيد محمد فتحى إبراهيم وأخبرته بنعم ، فانسحب المندوب الذى أحضرنى ثم دخلت مع المندوب الذى سألنى إلى صالون المنزل، وهو مؤسس بأثاث فاخر وأجلسنى فيه، وبعد خمس دقائق حضر من داخل المنزل الشيخ الكبير السيد محمد رئيس الجالية، واستقبلنى استقبال المؤمن بالله والرسول، مؤكداً أن الله فى عوننا طالما بقينا فى عون العبد.

وجلس إلى جوارى، وخرج من اصطحبنى وبقيت أنا ورئيس الجالية منفردين؛ ليدور بيننا حديث طويل، سيأتى إيضاحه بالتفصيل فى الكتاب الذى سيصدر فى حينه، ويضم تقريرى الكامل عن كل ما تم فى هذه المهمة الأولى، التى أوكل إلى إتمامها الرئيس جمال عبد الناصر، ولأعود بتفاصيل الرد والإجابة على كل ما طُلب منى استيضاحه والاستفسار عن تفاصيله.

الفصل الثانى

المغتربون العرب بأمريكا

بعد إتمامى لمهمتى الأولى التى اختتمتها بلقاء رئيس الجالية المطلوب، والتى استغرقت أربعة أيام لأتمها على الوجه الأكمل، بدأت الاتصال بالمغتربين اللبنانيين، حيث لجأ إلى أمريكا - وبالذات إلى الجزء الغربى من أمريكا الشمالية بولاية سان فرانسيسكو والجزر القريبة منها بالمحيط الهادى -العديد من أبناء الجاليات العربية، إلا أن معظمهم كان من الإخوة اللبنانيين المسيحيين.

وباستفساراتى الكثيرة خلال رحلات استكشافى للأوضاع السكانية بلبنان، حصلت على كثير من المعلومات التى أوضحت لى أن مرجع هذا اللجوء اللبنانى إلى أمريكا يعود إلى سببين رئيسيين:

الأول : حب التجارة كمورد رئيسى لمواجهة تكاليف المعيشة، بالإضافة إلى طبيعة المجتمع الأمريكى فى الثلاثينيات، خاصة بعد الأزمة الاقتصادية التى عانت منها الولايات المتحدة، التى أدت إلى فتح الطريق أمام كل من له خبرة فى التعامل التجارى بأن يلجأ إلى الجزر المذكورة أمثال : هونولولو وغيرها، ثم يتم الانتقال من هذه الجزر إلى ولاية سان فرانسيسكو وباقى الولايات، كلما سنحت الظروف بذلك.

الثانى : موقف الاستعمار العثمانى ولجوؤه إلى دعم جميع الأسر التى يحتضنها المذهب السنى من المسلمين، واعتماده فى سيطرته الاستعمارية على الأسر الثرية من أهل السنة اللبنانيين، مما دفع باقى أبناء أو مواطنى منطقة لبنان - والتى عرفت فى الزمن القديم ببلاد الشام - إلى الرحيل من أرض لبنان، مستفيدين بثقافتهم الأجنبية من

الاستعمار الفرنسى والبريطانى المحتل لبلاد الشام بعد الحرب العالمية الأولى اعتباراً من عام ١٩٢٠، الأمر الذى دفع كثيراً من الأسر المسيحية وبعض الأسر الإسلامية لأن يرحلوا بعيداً عن سيطرة الاستعمار العثمانى، ثم الاستعماريين الفرنسى والبريطانى المستخدمين لأسلوب السيطرة والكبت والقهر والظلم لأبناء بلاد الشام الأصليين .وهنا لا يمكننا أن نتجاهل أن أسلوب معيشة أهل الشام الأوائل وخاصة خلال حكم الاستعمار العثمانى، ثم العيش فى إطار النظام القبلى، جعل المستعمر يحتضن الأسر القوية الثرية على حساب الضعيفة المُستغلّة، وكلها فى خدمة مصالح الاستعمار أياً كان.



مغتربون من لبنان يرحبون بضيف مصر
السيد / فتحى الديب

دلت المعلومات المتوافرة عند استفهامى عن أوضاع الأخوة المغتربين من لبنان ، وأماكن تمركزهم الرئيسية ، ونوعية النشاط الذى يقومون به، وذلك من بعض رواد المغتربين الذين اتصلت بهم، على أن الأعداد لا تماثل الكثير من الجاليات الأخرى المغتربة والمقيمة على أرض الولايات المتحدة، كالجالية الصينية، إلا أن الأسر ليست بأعداد قليلة كما تصور البعض، نظراً لأنهم موزعون ومنتشرون على أماكن متعددة، لا يقيمون فى منطقة واحدة، واقتنعت بذلك حينما قمت بنفسى بزيارة عاجلة لجميع المناطق المقيم بها الأسر اللبنانية، واكتشفت أنها ليست بالكمية القليلة؛ نظراً لأن انتشارها مرتبط بطبيعة الصناعة والعمل الذى يقومون به... على سبيل المثال يقوم معظمهم بصناعة الفطائر والحلويات الشرقية وبيعها بمحلات خاصة بهم، ويقيمون بنفس المنطقة، الأمر الذى يخفى تعدادهم الحقيقى مع بقية المغتربين، والبعض الآخر يمارس صناعة كثير من لوازم المنازل للأسر، أو يعملون فى الصناعات الفنية المختلفة بعيداً عن أماكن إقامة غالبية المغتربين فى سان فرانسيسكو ، بالإضافة إلى ممارسة عدد كبير من المغتربين مهن التجارة المختلفة على أرض الجزر القريبة من سان فرانسيسكو، ويقيمون بها هم وأسرهم مثل جزر هونولولو وغيرها.

لا شك أن احتكاكى المباشر بعدد ليس بالقليل من هؤلاء المغتربين - سواء التجار منهم أو أصحاب المحلات الخاصة - كان له وقع طيب فى نفوسهم، وجعلهم يكاشفوننى بكثير من أوضاعهم، وموقف السلطات الأمريكية منهم، وحاجتهم إلى اهتمام السلطات اللبنانية بالذات؛ للاطمئنان على أوضاعهم، وإقامة قنصلية قريبة منهم ترعى شئونهم وتعينهم فى مواجهة جميع المشكلات التى تعترضهم؛ حتى تتهيأ لهم الفرصة ليعيشوا فى أمان واطمئنان يساعدهم على ممارسة حقهم فى الحياة الحرة الكريمة على أرض أمريكا، واستعدادهم جميعاً إلى المساهمة مع السلطات اللبنانية فى تحمل مصاريف إقامة هذه القنصلية.

حين عرفت عناوين بعض الشخصيات السورية الأصل ؛ المغتربة والمقيمة وتعمل بولاية سان فرانسيسكو، لم أقصر فى زيارتهم فى أماكن عملهم؛ لإرشادهم متطوعاً لاعتبار القنصلية المصرية - التى أصبحت تأخذ اسم قنصلية الجمهورية العربية المتحدة، يلجأ إليها أى شخص سورى للقيام بحل أى مشكلة تواجهه أو للحصول

على أي ترخيص أو أي مساعدة - لاعتبارها قنصليته المسئولة عن رعايته في الخارج أياً كان وضعه في الخارج، وطلبت ممن أبلغتهم بهذا أن ينقلوه لمن لم أتمكن من لقائه، باعتباري ممثل ج.ع.م لتنفيذ هذه المهمة.

وقد أمضيت لإتمام هذه المهمة الخاصة بالمغتربين بأمريكا نحو ثلاثة أيام، وبعد أن اطمأننت على كل ما أردت الإلمام به مما يخص المغتربين السوريين واللبنانيين، ولمست حقيقة أوضاعهم، قررت الاستعداد للسفر مباشرة إلى المكسيك صباح يوم ٤ يوليو ١٩٥٩.

الفصل الثالث

السفر إلى المكسيك وموقف المهاجرين

توجهت إلى مطار سان فرانسيسكو صباح يوم ٤ يوليو؛ لأستقل الطائرة إلى عاصمة المكسيك ، وتشاء الصدف الطيبة أن تجلس بجوارى بالطائرة شخصية وقورة مكسيكية من رجال الأعمال المهذبين، ويجيد التحدث باللغة الإنجليزية إلى جانب لغة بلده ، الأمر الذى أفادنى وأسعدنى كثيراً، لاستفادتى من تبادل الحديث معه؛ ليزودنى بالقدر الكبير من المعلومات، التى أفادتنى فى الإلمام بكل ما يتعلق بالشعب المكسيكى وحياته ومشكلاته وتطلعات أبنائه إلى المستقبل والعيش فى طمأنينة وراحة وسعادة.

وما أن غادرت الطائرة مطار سان فرانسيسكو حتى بدأ رفيقى فى السفر توضيح الكثير من المواقف الجارحة لنفوسهم، واتخاذ الولايات المتحدة الأمريكية للعديد من المواقف التى تصيبهم بجراح دامية مريرة لا سبيل إلى اندمالها، مشيراً بإصبعه على الولايات المتاخمة لهم، والتى انتزعوها من بلدهم العزيزة المكسيك بعد حرب طويلة دموية من تكساس شرقاً إلى كاليفورنيا غرباً؛ تلك الولايات الزاخرة بالثروات الخيالية، والتى قامت على أرضها بعد انتزاعها منهم الصناعات الضخمة البترولية والتعدينية والسياحية ذات الأرباح الوفيرة، وإنشاء المدن الكبرى مثل : سان انطونيو ، البازو ، سنتافى، لاس فيجاس

، رينو ، سان ديجو ، سان فرانسيسكو، تلك المدن التى ما زالت تحتفظ بأسمائها الإسبانية الأصيلة ، تلك الولايات التى تعج بالأيدى العاملة المكسيكية الأصل والتى تعيش فى اضطهاد مستمر تحت وطأة قيود من تفرقة عنصرية، وذلك كله على أيدى أصحاب الأعمال والمصانع أو ملاك الإقطاعيات الشاسعة للإنتاج الزراعى أو لتربية الماشية .هؤلاء الإقطاعيون الذين يستغلون تلك الأيدى العاملة التى تحصل على أجور رخيصة جداً، مع حرمانهم كأيد عاملة من أى رعاية صحية أو تأمينات ولا يعترف لهم قانون بحقهم كنقابات عمال، فى الوقت الذى يعرضهم لعقوبات صارمة، أو ترحيلهم إذا ما ارتفعت أصواتهم بالاحتجاج على سوء المعاملة.

الوضع السياسى للمكسيك:

صاغ دستور المكسيك أعضاء المؤتمر النيابى التأسيسى ؛ الأمر الذى يتيح لرئيس مجلس القضاء الأعلى التصدى متحدياً أى رئيس جمهورية أو رئيس وزرائه فى محاولة انتهاك أى نص من نصوصه.

وأهمية هذا الدستور فى أنه استهدف أساساً تصفية الإقطاع، ليتيح آفاق الحياة الإنسانية الكريمة لكل أبناء الشعب، وقد عارضت الكنيسة المكسيكية هذا الدستور، وهى أقوى القوى الإقطاعية حينذاك، وتؤازرها جميع الطبقات الرجعية المستغلة ومجموع الأرستقراطية العسكرية التى شنت حرب السنوات الثلاث - حرباً مريرة قاسية - بطول البلاد وعرضها، حيث لاقت الكثير من المتاعب إثر تدخلات الولايات المتحدة، التى استولت على ٤٠ %من أراضى المكسيك حينذاك . الأمر الذى كان يدفع ز لودى بخوارزز رئيس الجمهورية فى حالة إذا ما انتصرت القوى الشعبية وفتحت العاصمة له أبوابها ليدخلها القائد الفاتح المظفر دخول الفاتحين.

بهذا الشرح المبسط أوضح لى جارى رفيق الطائرة صورة خالية من أى مبالغة أو تطويل، فى تناول موضوعات لا تهم المسافر العابر للمكسيك فى طريقه إلى قارة أمريكا الجنوبية، الأمر الذى تفاداه صديق السفر بكل اهتمام، مُقابلاً منى بالشكر والتقدير؛ لما زودنى به ابن المكسيك رجل الأعمال، الذى تعود من خلال كثرة سفرياته وتنقلاته فى إدارة شئونه التجارية طوال حياته - وكما فهمت منه - أنه كثيراً ما قام بتقديم المعلومات المطلوبة لمن يطلب منه ذلك من رفقائه فى السفر من دول العالم الذين يسعد بلقائهم.

وانتقل رفيقى فى السفر ليسألنى عن عمرى، فرددت عليه فوراً أننى فى السابعة

والثلاثين، فعاجلني على الفور بالقول :أنك لاشك تعجبت من سؤالي عن عمرك، وبصراحة تامة سؤالي كان لرغبتي في إيضاح تأثير طبيعة الأحوال المناخية بالمكسيك على صحة زوارها، نظراً لأن العاصمة تقع على هضبة تعلو سطح البحر زهاء ٢٥٠٠ متر؛ الأمر الذي يؤثر على كثير من ضيوف المكسيك، لتأثير الارتفاع على ضغط الدورة الدموية، وانطلق يفسر لي الوضع الطبي على النحو التالي :المعروف طبياً أن الأشد إرهاقاً للبدن، المخل لتنسيق أداء وظائفه العضوية هو السفر الطويل في طائرات السرعة الكبيرة) النفاثة (التي تطوي خطوط الطول الجغرافية طياً، فيتعرض المرء لتنقلات فورية، بين بلاد اختلفت فيها المواقيت أشد الاختلاف ، كما أن هناك ارتباطاً وثيقاً بين انتظام الوظائف العضوية، وبالتالي حيوية الجسم البشري، وبين الظروف المعيشية التي تحتويه، ومن ثم هناك نمط دقيق مطرد يتكيف بالتنسيق مع توالي فترات الصحو والراحة أو النوم، ومع ساعات تناول الطعام ودورة جهاز الهضم والأوقات التي ينشط خلالها الذهن أو الجسد، فيضطلع بما عليه أن يواجه أو أن يعالج من مهام، وهناك نظام دقيق من إفرازات غددية وعصارات تضخ بها بعض الخلايا الوظيفية، فتتناسق حيوية الجسد إلى وتيرة من الصعود والهبوط، أو ما بين الانخفاض والارتفاع أو التوقف؛ ليعين المرء على شحن طاقاته، فيعاود التصدي لمقتضيات الحياة في حركتها سواء أكانت ذهنية أو جسمانية.



دعوة السفير / محمد إبراهيم كامل للسيد / فتحي الديب واستضافته
لرئيس الجالية المصرية بالمكسيك السيد / وحيد المصري وحرمه

وفى وقتنا الحالى الانتقال سفراً بالطائرة النفاثة فى انطلاقها الجامح عبر القارات دائماً ما يؤدى إلى اضطراب الوظائف العضوية للجسم اضطراباً عنيفاً، حتى يتخيل المرء أحياناً أنه قد أصيب بخلل مزمن خطير، وخاصة إذا كان قد تخطى الأربعين عاماً.

واختتم الرفيق المسافر نصائحه بقوله :إن سؤاله لى عن عمرى كان بهدف شرح هذا الموقف وتفسيره لى طبياً؛ حتى لا انزعج فوق هضبة العاصمة المرتفعة زنيو مكسيكوز. وعلاج هذا الموقف ليس صعباً، بل هو بسيط، ومعظم فنادق العاصمة لديهم أطباء علاج طبيعى؛ لمواجهة مثل هذه الحالات، مع دعائه لى بعدم التعرض لأى مشكلة من هذا النوع خلال وجودى بالمكسيك.

وصلت الطائرة إلى مطار المكسيك حوالى الرابعة بعد ظهر اليوم نفسه، لأجد الأخ السفير /محمد إبراهيم كامل فى انتظارى، وودعت رفيق سفرى داعياً إياه لزيارتى بالقاهرة، وإخطارى تليفونياً على رقم التليفون الذى أعطيته له.

وتفرغت إلى الحديث مع الأخ السفير /محمد إبراهيم كامل، الذى تربطنى به صداقة قوية منذ قيام ثورة يوليو، وتوليه منصب مدير مكتب الأخ العزيز الصاغ صلاح سالم، عضو مجلس قيادة الثورة ووزير الإرشاد القومى، وكان الصديق محمد كامل رفيق سفرى ، وز الصاغ ز صلاح فى كل سفرياتنا الرسمية؛ للالتقاء بمسئولى الحكومات العربية، وبالذات بالمشرق العربى، تلك اللقاءات التى سجلتها بتفاصيلها فى كتابى (عبد الناصر وتحرير المشرق العربى).

وتوجهنا مباشرة إلى فندق زالبرادو» ، الذى تم حجز غرفة لى به، وبعد ايداعى حقيبة سفرى بالغرفة جلست والأخ السفير /محمد كامل بكافتيريا الفندق؛ لأوضح له تفاصيل مهمتى فى سفرى إلى الدول التى استضافت عرب المهجر، والهدف الرئيسى من الالتقاء برواد جميع المهاجرين، بداية بالأخوة السوريين بعد إتمام الوحدة بين مصر وسوريا، وكذلك الأسر اللبنانية والفلسطينية، مركزاً على الدراسة الدقيقة ؛ لطبيعة أوضاعهم وأسلوب مواجهتهم لأعباء المعيشة ، ومدى ترابطهم مع سلطات الدول المقيمين بها، ونوعية المعاملة التى يلاقونها من مواطنى دول المهجر.

وقد نقلت للزميل محمد كامل خلاصة المعلومات التى زودنى بها رفيق سفرى على الطائرة من سان فرانسيسكو السيد ز فرسكو بلاريا ز التاجر المكسيكى؛ للتأكد من مدى صحة هذه المعلومات الذى تطوع بكل الكرم ليساعدنى فى الإلمام بها؛ للاستفادة منها حسب احتياجى خلال إقامتى بالمكسيك.

وما أن انتهيت من سرد الحديث، حتى وجدت الأخ محمد كامل وقد بدت على وجهه علامات السرور، ليؤكد أن كل ما بلغنى بلسان هذا الرجل صحيح.

واستطرد السفير /محمد كامل فى كلامه؛ ليخبرنى بأن طبيعة الأوضاع المعيشية لأبناء الشعب المكسيكى تنقسم إلى طبقتين:

أ - الطبقة الأولى : وتضم غالبية الإقطاعيين من ملاك الأراضى والعقارات وكبار تجار الجملة من الأسر الثرية، ومعيشتهم على مستوى عال من البذخ والمظهرية، وهؤلاء فى مجموعهم لا يتعدى ٥٪ من سكان ومواطنى دولة المكسيك.

ب - الطبقة الثانية : وتضم ٥٪ من سكان دولة المكسيك التى تعيش على القليل جداً من أجور العمالة الضعيفة فى قيمتها، والتى تكاد تتحمل مصاريف أبناء الشعب المحتاجين إلى الكثير من مطالب الحياة الكريمة، فى إطار الحاجة الملحة للحياة الإنسانية.

ونتيجة طبيعية لهذا الفقر المدقع؛ لا تتحمل أرض المكسيك استيعاب أى غريب أو محتاج لمطالب المعيشة أكثر من مواطنيها الذين لم يغادروا أرض المكسيك مع من هاجروا إلى الولايات المتحدة؛ بحثاً عن لقمة العيش ومصاريف الحياة الضئيلة التى يحصلون عليها من مقاولى العمال، الذين يقومون بتصدير العمالة المكسيكية بأرخص الأجور.

وبصفة عامة لا توجد أى جالية مصرية بالمكسيك، سوى أسرة واحدة ربها السيد/ وحيد المصرى وزوجته ، وهو يعمل فى التجارة ما بين المكسيك ومصر، من تصدير واستيراد للبضائع، عن طريق البواخر ما بين المكسيك والإسكندرية.

وبخصوص الجاليات العربية، فلا يوجد أى عربى على أرض المكسيك، سوى موظفى السفارات العربية فقط.

امتدت جلستنا حتى الساعة الثامنة مساءً، حيث طلب منى الأخ السفير /محمد كامل بول دعوته على الغداء فى الغد مع حرمه وشقيقته والأخ المصرى وحيد وزوجته نحو ساعة الواحدة ظهراً ، وبعد قبولى لهذه الضيافة الكريمة أخطرنى الأخ السفير بأنه

وفى وقتنا الحالى الانتقال سفراً بالطائرة النفاثة فئ انطلاقها الجامح عبر القارات دائماً ما يؤدى إلى اضطراب الوظائف العضوية للجسم اضطراباً عنيفاً، حتى يتخيل المرء أحياناً أنه قد أصيب بخلل مزمن خطير، وخاصة إذا كان قد تخطى الأربعين عاماً.

واختتم الرفيق المسافر نصائحه بقوله :إن سؤاله لى عن عمرى كان بهدف شرح هذا الموقف وتفسيره لى طبياً؛ حتى لا انزعج فوق هضبة العاصمة المرتفعة زنيو مكسيكوز. وعلاج هذا الموقف ليس صعباً، بل هو بسيط، ومعظم فنادق العاصمة لديهم أطباء علاج طبيعى؛ لمواجهة مثل هذه الحالات، مع دعائه لى بعدم التعرض لأى مشكلة من هذا النوع خلال وجودى بالمكسيك.

وصلت الطائرة إلى مطار المكسيك حوالى الرابعة بعد ظهر اليوم نفسه، لأجد الأخ السفير /محمد إبراهيم كامل فى انتظارى، وودعت رفيق سفرى داعياً إياه لزيارتى بالقاهرة، وإخطارى تليفونياً على رقم التليفون الذى أعطيته له.

وتفرغت إلى الحديث مع الأخ السفير /محمد إبراهيم كامل، الذى تربطنى به صداقة قوية منذ قيام ثورة يوليو، وتوليه منصب مدير مكتب الأخ العزيز الصاغ صلاح سالم، عضو مجلس قيادة الثورة ووزير الإرشاد القومى، وكان الصديق محمد كامل رفيق سفرى ، وز الصاغ ز صلاح فى كل سفرياتنا الرسمية؛ للالتقاء بمسئولى الحكومات العربية، وبالذات بالمشرق العربى، تلك اللقاءات التى سجلتها بتفاصيلها فى كتابى (عبد الناصر وتحرير المشرق العربى).

وتوجهنا مباشرة إلى فندق زالبرادو» ، الذى تم حجز غرفة لى به، وبعد ايداعى حقيبة سفرى بالغرفة جلست والأخ السفير /محمد كامل بكافتيريا الفندق؛ لأوضح له تفاصيل مهمتى فى سفرى إلى الدول التى استضافت عرب المهجر، والهدف الرئيسى من الالتقاء برواد جميع المهاجرين، بداية بالأخوة السوريين بعد إتمام الوحدة بين مصر وسوريا، وكذلك الأسر اللبنانية والفلسطينية، مركزاً على الدراسة الدقيقة ؛ لطبيعة أوضاعهم وأسلوب مواجهتهم لأعباء المعيشة ، ومدى ترابطهم مع سلطات الدول المقيمين بها، ونوعية المعاملة التى يلاقونها من مواطنى دول المهجر.

وقد نقلت للزميل محمد كامل خلاصة المعلومات التى زودنى بها رفيق سفرى على الطائرة من سان فرانسيسكو السيد ز فرسكو بلاريا ز التاجر المكسيكى؛ للتأكد من مدى صحة هذه المعلومات الذى تطوع بكل الكرم ليساعدنى فى الإلمام بها؛ للاستفادة منها حسب احتياجى خلال إقامتى بالمكسيك.

وما أن انتهيت من سرد الحديث، حتى وجدت الأخ محمد كامل وقد بدت على وجهه علامات السرور، ليؤكد أن كل ما بلغنى بلسان هذا الرجل صحيح.

واستطرد السفير /محمد كامل فى كلامه؛ ليخبرنى بأن طبيعة الأوضاع المعيشية لأبناء الشعب المكسيكى تنقسم إلى طبقتين:

أ - الطبقة الأولى : وتضم غالبية الإقطاعيين من ملاك الأراضى والعقارات وكبار تجار الجملة من الأسر الثرية، ومعيشتهم على مستوى عال من البذخ والمظهرية، وهؤلاء فى مجموعهم لا يتعدى ٥ ٪ من سكان ومواطنى دولة المكسيك.

ب - الطبقة الثانية : وتضم ٥ ٪ من سكان دولة المكسيك التى تعيش على القليل جداً من أجور العمالة الضعيفة فى قيمتها، والتى تكاد تتحمل مصاريف أبناء الشعب المحتاجين إلى الكثير من مطالب الحياة الكريمة، فى إطار الحاجة الملحة للحياة الإنسانية.

ونتيجة طبيعية لهذا الفقر المدقع؛ لا تتحمل أرض المكسيك استيعاب أى غريب أو محتاج لمطالب المعيشة أكثر من مواطنيها الذين لم يغادروا أرض المكسيك مع من هاجروا إلى الولايات المتحدة؛ بحثاً عن لقمة العيش ومصاريف الحياة الضئيلة التى يحصلون عليها من مقاولى العمال، الذين يقومون بتصدير العمالة المكسيكية بأرخص الأجور.

وبصفة عامة لا توجد أى جالية مصرية بالمكسيك، سوى أسرة واحدة ربها السيد/ وحيد المصرى وزوجته ، وهو يعمل فى التجارة ما بين المكسيك ومصر، من تصدير واستيراد للبضائع، عن طريق البواخر ما بين المكسيك والإسكندرية.

وبخصوص الجاليات العربية، فلا يوجد أى عربى على أرض المكسيك، سوى موظفى السفارات العربية فقط.

امتدت جلستنا حتى الساعة الثامنة مساءً، حيث طلب منى الأخ السفير /محمد كامل قبول دعوته على الغداء فى الغد مع حرمه وشقيقته والأخ المصرى وحيد وزوجته نحو الساعة الواحدة ظهراً ، وبعد قبولى لهذه الضيافة الكريمة أخطرنى الأخ السفير بأنه

سيرسل سائقه صباح الغد بالسيارة لاصطحابى إلى مبنى السفارة؛ للقاء موظفيها لاستكمال مطالب مهمتى، ولتقديم جميع احتياجاتى من السفارة ، وما أن استأذن فى الانصراف وقمت لتوديعه حتى وجدت نفسى غير قادر على التحرك أو السير؛ لإصابتى بشد عضلى، وعلى الفور تحرك الأخ السفير بالاتصال باستقبال الفندق وطلب طبيب العلاج الطبيعى فوراً ، وحضر طبيب العلاج الطبيعى ومعه مساعده؛ ليباشر مهمته العلاجية، وطلب منى الطبيب القيام للتحرك على طول بهو الفندق ذهاباً وعودة عدة مرات، حتى عدت إلى طبيعة سيرى على القدمين سيراً طبيعياً، وأخبرنى الطبيب بأن ما حدث أمر عادى وغير خطير، ومرجعه إلى وجود ارتفاع نحو ثلاثة آلاف متر من سطح البحر بعد سفر طويل ظللت جالساً بالطائرة النفاثة فى مقعدى دون حركة ؛ الأمر الذى كان له تأثيره الفعال على الدورة الدموية بشكل غير طبيعى على الساقين والقدمين، بالإضافة إلى أنك قادم من بلدك الذى تعيش حياتك به بما لا يزيد ارتفاعك بأكثر من ٢٠ إلى ٥٠ متر، فوق سطح البحر . والمهم، مطلوب منك تعداد القيام من الجلوس والسير لمدة عشر دقائق كل ساعة زمنية، وبعد استيقاظك من النوم صباحاً، لتليين الساقين والقدمين مما يسمح لك بالتحرك على ارتفاعنا هنا بسهولة وبلا متاعب .وشكرت الطبيب وسلمته نفقات علاجه، وبعد اطمئنان الأخ السفير محمد كامل علىَّ غادر الفندق؛ ليذهب لمنزله للراحة مواعداً إياى على لقاء الغد.

استيقظت فى الصباح الباكر، وارتديت ملابسى، وهبطت إلى حديقة الفندق؛ لأمارس نشاط الصباح سيراً على الأقدام كتعليمات الطبيب، أمضيت نصف ساعة فى السير حتى أحسست براحة نفسية مع مرونة كاملة فى السير؛ الأمر الذى طمأننى على حالتى الصحية، وعدت إلى الفندق؛ لأتناول إفطارى وشاى الصباح، واسترعى انتباهى خلال مسيرتى من وإلى الفندق وخلال عبورى منطقة سكنية متوسطة المستوى - وقوف كثير من الباعة المكسيكيين بطريق جانبى من الشارع على هيئة سوق محلية لعرض المأكولات الطازجة على المشاة؛ لاستخدامها فى إفطارهم، الأمر الذى أثار فضولى، لأعيد سيرى فى المنطقة نفسها مرة أخرى؛ بهدف التعرف على حقيقة أوضاع سكان تلك المناطق البعيدة عن مناطق سكنى الإقطاعيين من أثرياء المكسيك . اتضح لى أن غالبية الباعة الناصبين لموائدهم وبضائعهم لم يراعوا تغطية البضائع؛ تفادياً لحمايتها من التلوث ، واكتفيت بما حصلت عليه من حقائق توضح صعوبة الحياة التى يعايشها سكان المدينة من متوسطى الحال وصغار الموظفين، الحاصلين على أجور بسيطة، تكاد تكفيهم للحصول على أقل قدر من احتياجاتهم من مأكل ومشرب.

وعدت سيراً إلى الفندق سعيداً؛ لعدم شعورى بأى آلام مما كنت أحس بها قبل أزمة الأمس ومعاودتى الحياة اليومية فى راحة واطمئنان، وفى التاسعة والنصف صباحاً وصل سائق سيارة السفير؛ ليصطحبنى إلى السفارة مستفيداً بطول مسيرة السيارة للمرور فى العديد من شوارع العاصمة وقطع مساكن الإقطاعيين، المعروفة لدى المكسيكيين بأنها منطقة سكن العظماء من علية القوم، ووصلت إلى السفارة؛ لألتقى بالأخ السفير محمد إبراهيم كامل وبعض موظفى السفارة، ولأمر بناء على دعوة السفير على مبنى السفارة للاضطلاع على نظام المبنى وتوزيع العمل داخلها، ثم اجتمعت أنا والأخ محمد بمكتبه؛ لمناقشة الأوضاع العامة فى المكسيك من وجهة نظره الشخصية، ونوعية ما حققته سفارتنا من علاقات مع السلطات المكسيكية، ثم انتقل الأخ محمد كامل إلى توجيه العديد من الاستفسارات عن الأوضاع فى القاهرة، والاستفسار عن الأحداث التى تمت داخل الجمهورية المتحدة، ومدى التعاون القائم حالياً بين إخواننا المصريين والأخوة السوريين فى جميع مجالات العمل منذ إعلان إتمام الوحدة؛ وذلك بهدف تمكينه من الإجابة أو الرد على أى أسئلة توجه إليه، سواء من أعضاء السلك الدبلوماسى الأجانب، أو السلطات المكسيكية، من داخل وزارة الخارجية المكسيكية أو أى جهة أخرى تستعلم عن أى أسئلة عن الأوضاع فى الجمهورية العربية المتحدة.

وقد استغرقت هذه الاستفسارات نحو ساعتين ونصف الساعة كى أجيب عليها بتفصيل كامل ودقيق، تمكن الأخ السفير من الإجابة السليمة الواقعية الصادقة، لتغطية كل ما يطلب منه من استيضاحات.



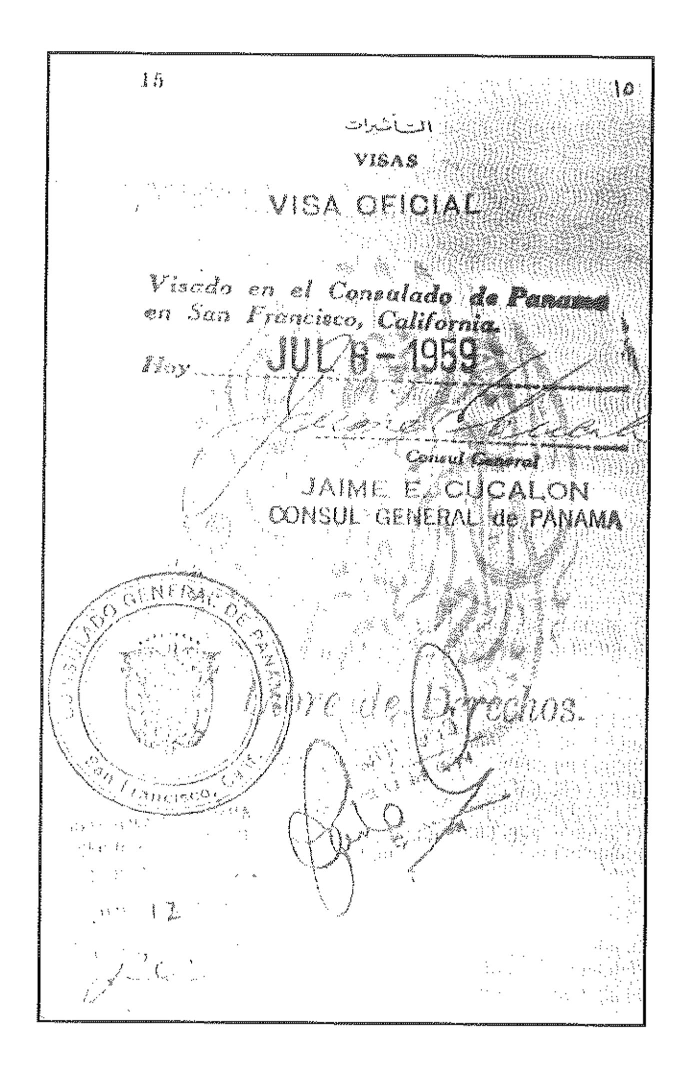
الفصل الرابع

استكمال المرور السريع على المكسيك والسفر إلى بنما Panama

تلبية لدعوة الأخ السفير للغداء؛ توجهت أنا وهو إلى المطعم الذى اختاره بمعرفته، لنصل إليه فى الساعة الواحدة والنصف ظهراً، لنجد السيدة حرمه وشقيقته ورئيس الجالية المصرية السيد وحيد المصرى وزوجته بانتظارنا . وتم التعارف بينى وبينهم جميعاً، وتناولنا طعام الغداء . وقد أثيرت العديد من الموضوعات المطلوب استيضاحها من جميع الأطراف، سواء بالنسبة للوضع العام للجمهورية العربية المتحدة على مسرحى القاهرة ودمشق السياسى والاجتماعى، وانعكاس إقامة الوحدة بين مصر وسوريا على الوضع الاقتصادى على البلدين من جميع النواحى، وما حققته الوحدة من مزايا ومتاعب إن وجدت ، وقد استغرق ذلك نحو ثلاث ساعات تقريباً، ليعود كل منا إلى مكان إقامته، وقمت بتوديعهم جميعاً لقرارى السفر صباح الغد المبكر بالطائرة إلى ز بنما ز شاكراً لهم حسن الضيافة، وتمنياتى الطيبة لهم جميعاً بالصحة والسعادة.

أصرَّ الأخ السفير /محمد إبراهيم كامل على ضرورة حضوره لتوديعى بالمطار، واكتفيت بمرور سائقه بالسيارة علىّ بالفندق لتوصيلى إلى المطار فى الساعة السادسة صباح

الغد، واتفقنا على ذلك بلا داعى لتحملهم أى متاعب، لأن طائرتى ستقوم بمباشرة طيرانها فى السابعة صباحاً.


15 ١٥
التأشيرات
VISAS
VISA OFICIAL
Visado en el Consulado de Panama
en San Francisco, California.
Hoy JUL 6 - 1959
Consul General
JAIME E. CUCALON
CONSUL GENERAL de PANAMA
CONSULADO GENERAL DE PANAMA
San Francisco, Calif.
Libre de Derechos.

استيقظت صباح يوم ٦ يوليو ١٩٥٩ وغادرت الفندق مستقلاً سيارة الأخ السفير/ محمد إبراهيم كامل إلى مطار العاصمة، لأصله فى الساعة السادسة صباحاً، ولأتمم إجراءات سفرى على الطائرة المغادرة إلى ز بنما ز فى السابعة صباحاً، بعد أن اتصلت تليفونياً بالأخ السفير /محمد التابعى سفير ج.ع.م بـ ز بنما ز لأُعلمه بسفرى إليه على الطائرة التى تصل مطار ز بنما ز فى الساعة الثانية عشرة ظهر اليوم نفسه ٦ يوليو، طالباً منه حجز غرفة خاصة بى بفندق العاصمة القريب من مبنى السفارة المصرية،

وتكليف سكرتير السفارة باستقبالى بالمطار واصطحابى إلى الفندق الذى سيختاره لى.

واستقللت الطائرة التى غادرت المطار فى السابعة صباحاً فى طريقها إلى ز بنما ز وما أن سألت مضيفة الطائرة عن موعد وصولها إلى ز بنما ز حتى وجدتها تحضر لى خريطة صغيرة توزع على ركاب الطائرة؛ لتوضح خط سير الطائرة، والدول التى ستمر عليها، وفى أى منها ستهبط لإنزال الركاب المتوجهين إليها، ثم معاودة الطيران فى اتجاه عاصمة الدولة التى ستهبط بها، وكان خط السير المبين على الخريطة يتضمن السير على النحو التالى : بدءاً بجواتيمالا ، هندوراس ، فسلفادور، ونيكاراجوا، فكوستاريكا، وتنتهى بالهبوط فى (بنما).

وأكدت لى المضيفة أن الطائرة عادة ما تأخذ نحو خمس ساعات فى طيرانها العادى من ز المكسيك إلى بنما ولذلك فمن المنتظر أن تصل إلى مطار ز بنما ز نحو الساعة الثانية عشرة ظهراً ما لم تطرأ بعض التأخيرات فى قيامها وهبوطها على عواصم الدول الصغيرة التى سنمر عليها.

ورغم دقة طيارى الطائرة التى حملتنا فى سفرنا إلى ز بنما ز إلا أننا وصلنا متأخرين ساعتين كاملتين، لنهبط فى ز بنما ز فى الساعة الثانية بعد الظهر، ليستقبلنى سكرتير السفارة بالمطار، ويصطحبنى إلى الفندق، لأترك حقيبتى بالغرفة الخاصة بى بعد شكرى لسكرتير السفارة ومطالبته بإبلاغ السيد السفير /محمد التابعى بأننى سأقوم بالاتصال به فى المساء؛ للاتفاق على موعد الالتقاء به فى صباح اليوم التالى، لاضطرارى إلى الراحة بالفندق مساء اليوم؛ لإحساسى ببعض الإجهاد لطول السفر بالطائرة.

الفصل الخامس

الاستفادة بمعلومات السفارة عن أوضاع « بنما »

ما أن استيقظت صباح يوم ٧ يوليو فى السابعة صباحاً حتى بادرت بتناول فطورى، الذى أحضره سفرجى المطعم إلى غرفتى، ومن ثم غيرت ملابسى الصيفية الخفيفة مكتفياً بالقميص والبنطلون، لأن وقوع (بنما) على خط الاستواء جعلنى أحس بحرارة الجو منذ شروق الشمس ، وغادرت الفندق لاستطلاع الموقف المحيط بالفندق الذى يطل من جانبه الشمالى الشرقى على ميناء ز بنما ز وجزء من قناة ز بنما ز وساعدنى سيرى الصباحى هذا على الإلمام بالصورة العامة للمنطقة التى يقع بها الفندق، بالإضافة إلى تنشيط حركتى، وممارسة رياضة السير المفيدة فى الصباح الباكر.

وعدت إلى الفندق فى الثامنة والنصف لأتصل بالأخ السفير /محمد التابعى، وأتفق معه على لقائى به بمبنى السفارة فى الساعة العاشرة صباحاً مع استخدامى لتاكسى ليوصلنى للسفارة.

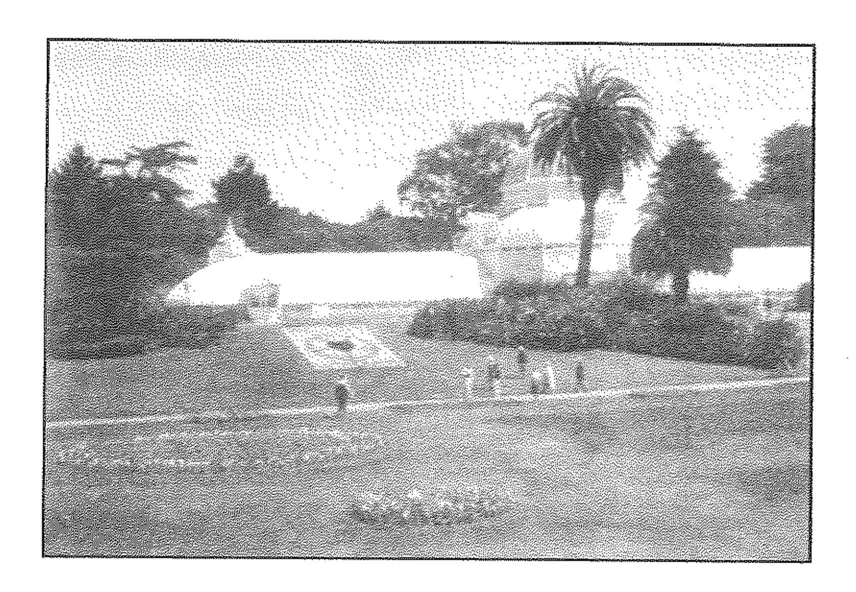
وفى العاشرة وصلت إلى السفارة والتقيت بالأخ محمد التابعى زميل حياتى العسكرية الأولى، ليتم لقاؤنا بشكل كان موضع اهتمام موظفى السفارة، وحين لاحظ الأخ السفير استعجابى للمنظر الذى وجدت عليه أعضاء السفارة من المكسيكيين والمصريين أخبرنى

بألا أتعجب من الموقف؛ لأنهم لم يروا لقاءً حاراً بين مصرى ومصرى إخوان إلا معك. وقمت بتحية الجميع وجلسنا بمكتب السفير، حيث بدأت حديثى معه بشرح كل ما يتعلق بمهمتى من ناحية أهدافها وتفاصيل التعليمات الصادرة لى من الرئيس عبد الناصر، وبالذات فيما يتعلق بالجاليات العربية، التى هاجرت إلى دول أمريكا الجنوبية مطالباً إياه بأن يزودنى بما لديه من معلومات تفصيلية عن الشخصيات العربية الموجودة فى زبنما»، وطبيعة ونوعية أعمالهم ، وأسلوب معيشتهم الحالى، وهل يقابلون من السلطات البنمية بمعاملة طيبة أم لا ؟



النادى الرئيسى ببنما

ثم انتقلت إلى وضع الجالية اليهودية، التى تبرز معلومات علمت بها من اهتماماتى ومن دراساتى السابقة عن وضع اليهود فى ألمانيا فى عهد النازى ، وموقف هتلر منهم، وهو عكس ما أذاعه اليهود من أنهم حرقوا وسجنوا وعذبوا ، الأمر الذى لم يحدث منه أى شىء حقيقى، بل كان أكاذيب فى أكاذيب ، وحقيقة الموضوع كما فهمته من أصدقاء لى ألمان ، وفرنسيين وسويسريين، تؤكد أنه ما أن وصل هتلر إلى الحكم حتى فتح لهم أبواب الهجرة إلى خارج ألمانيا؛ ليتخلص من مؤامراتهم وألاعيبهم المعروفة لدى جميع الأوروبيين والألمان بالذات، ونتيجة لموقف هتلر ومساعديه هاجر إلى دول أمريكا اللاتينية ما لا يقل عن مليون ونصف المليون يهودى، وزعوا أنفسهم على دول أمريكا اللاتينية ذات القدرة المالية والمتوافر لديها العديد من الخامات والمعادن التى يلجأ اليهود إلى التجارة بها.



أرض ملاعب الجولف بالنادى الرئيسى ببنما

وحسب ما لدى من معلومات، أن الجالية اليهودية فى ز بنما ز يصل تعدادها إلى ٢٥ ألف يهودى، يعملون بالتجارة وعلى اتصال بمختلف أنحاء العالم . وكلى أمل أن أحصل من سفارتكم على كل ما يفيدنا فى الإلمام بجميع أنشطة الجاليات اليهودية بـ ز بنما ز وأى ارتباط لعلاقتهم التجارية بأى دول أخرى فى أمريكا اللاتينية، أو بأى دول فى الشرق الأوسط، ومدى ارتباط يهود أمريكا اللاتينية بيهود إسرائيل ونشاطاتهم المختلفة

.وبدأ السيد السفير /محمد التابعى قوله بأن جميع الإجابات على الأسئلة التى طرحتها كانت فى مخيلتى منذ أن عرفت بوصولك . ومما لاشك فيه أن الإجابة عليها أمر يهمنا جميعاً، ونود أن نزودكم بها حتى تتمكن حكومة ثورة 23 يوليو وأجهزة الثورة الرئيسية بدورها من إتمام واجبها المقدس فى الإطاحة بكل من يحاول الإساءة أو الضرر بالشعب المصرى ورفيقه السورى، سواء فى حياة أبنائهم أو قدرتهم على مواجهة أى عدو يحاول أن يمس حريتنا وحياة أبنائنا واستقلال بلادنا بأى ضرر.

واستطرد ليزودنى بالمعلومات التالية:

أولاً : وضع الجالية العربية:

الجالية العربية فى ز بنما ز بدأت بمجموعة وصلت إلى نحو (٥٠٠٠)خمسة آلاف نسمة، خليط من السوريين واللبنانيين فقط، إلا أن الجالية اللبنانية كان تعدادها ذا الأغلبية دائماً؛ ومرجع ذلك إلى أن بداية هجرة اللبنانيين كانت مبكرة أكثر من السوريين، بالإضافة إلى أن معظمهم كان يمارس التجارة بجميع أشكالها ونوعياتها، مستفيداً من الأنواع والأصناف التى كانوا يمارسون التجارة فيها خلال وجودهم على أرض لبنان ، أما السوريون فقد لجأوا إلى زبنماز باعتبارها مجالاً جديداً للعمل خلال فترة بناء قناة ز بنما ز وما احتاجته من فنيين فى الحفر، واستخدام الآلات الميكانيكية وقيادة السيارات اللورى لنقل الأتربة والصخور من موقع القناة إلى الأماكن المحدد استخدامها كحواجز لحماية القناة من الجوانب.

إلا أن إحساس اليهود الذين هاجروا مبكراً من ألمانيا إلى بنما - وكثير منهم على دراية بالنواحى الهندسية واحتياجاتها من العمالة القائمة بالحفر وإقامة السدود، وفتح المجارى، وإعداد الجوانب الحديدية - دفع اليهود إلى إثارة العديد من المشكلات مع الجاليات العربية؛ بهدف رئيسى واحد وهو إجبارهم على مغادرة ز بنما ز +لينفردوا بالسيطرة على أرزاق ومكاسب العاملين فى إنشاء قناة ز بنما ز التى أخذت سنوات ليتم إتمام حفرها وإعدادها؛ لمرور السفن بالأحجام والحمولات المناسبة ما بين المحيط الأطلسى والمحيط الهندى؛ ولتحقيق ما سعت إليه الولايات المتحدة من إنشاء هذه القناة أسوة بقناة السويس، التى ربطت ما بين قارات آسيا وأوروبا وأفريقيا.

وبالنسبة لطبيعة معاملة السلطات البنمية للجالية العربية، أكد السفير /محمد التابعى أن المعاملة التى يواجهها أبناء الجالية العربية من السلطات البنمية ممتازة، ومرجعها

بالدرجة الأولى إلى طبيعة الأخلاق الطيبة والسمحة التى يتسم بها أسلوب تعامل أبناء الجالية العربية لجميع سكان دولة ز بنما ز سواء كانوا بنميين أو مغتربين من أى بلد كان على أرض (بنما) مثل : الصينيين وغيرهم ممن لجأوا للعمل بـ (بنما) .



السكرتير الثانى/ عدنان عماد الدين بسفارة ج.ع.م
ببنما يقدم تقريره للسيد/ فتحى الديب

ثم انتقل الأخ التابعى إلى شرح نوعية التجارة الرئيسية التى يمارسها جميع العاملين بها على أرض «بنما» سواء كان ا «عرب أو يهود» أو غيرهم حيث تتركز فى:

أ - استيراد الملابس الجاهزة لكل فئات المجتمع، الغالى والرخيص من الصين وكل ما يلزم المنزل من احتياجات.

ب - الصناعات : صناعة الأخشاب والآلات الميكانيكية، أساساً من الولايات المتحدة الأمريكية، أما احتياجات الحياة العامة الأخرى الصغيرة والصناعات الخفيفة فكانوا يستوردونها من أى بلد قادر على تصنيعها، سواء كانت فى أمريكا اللاتينية أو أوروبا ... إلخ.

ثانياً : التزامات قناة «بنما»:

ما أن تمت عملية إعداد قناة (بنما) للاستخدام السليم والآمن لجميع سفن التجارة والسفن الحربية، حتى أصبحت القناة تمثل عنصراً رئيسياً يتحكم فى مسيرة حياة أبناء الشعب البنمي ومن يقيمون معهم من العاملين بالقناة أو بالتجارة، وما يعنيه ذلك من أن الحياة على أرض ز بنما ز تغيرت تغيراً كلياً عن أى دولة من دول الجوار لـ ز بنما ز التى لا تتوافر بها قناة أخرى، حيث يعتمدون اعتماداً كلياً على الزراعة والصناعة الخفيفة ليس إلا أمثال : كوستاريكا ، هندوراس ... الخ.

ثالثاً : الشخصيات المؤثرة فى حياة الشعب البنمى:

نظراً لانخفاض عدد الجاليات العربية فى (بنما) كما أوردت فى كلامى السابق؛ نتيجة لإثارة اليهود للعديد من المشكلات والقضايا المختلفة ضد الجالية العربية، بهدف إثارة نفوس مواطنى (بنما) ضد العرب الذى كان لـه آثاره فى رحيل العديد من الشخصيات العربية ذات الثقل المالى والأدبى والسياسى إلى دول أخرى ، فقد أصبح للمقيمين حالياً فى ز بنما ز تأثيرهم المتوقف على طبيعة الحياة بالنسبة لهم، وتأثيرهم فى مجال حياة البنميين بالذات، وعدم اكتراث المسئولين البنميين بما يثيره اليهود من مشكلات ضد العرب، وإهمالهم لموقف اليهود المتلاعب بمصالح الآخرين لمصلحة حساباتهم الخاصة.

أما الجالية اليهودية الموجودة حالياً فلها تأثير كبير فى المجال السياسى، حينما تحدث انتخابات للحكام أو المجلس الوطنى أو مجالس المدن لما يقدمونه من أموال رشوة لمصلحة رؤساء المراكز التى يتم الانتخاب لمصلحتها؛ حتى يضمنوا وصول المؤيدين لهم للحكم،

بما يخدم مصالحهم الشخصية .ومن المدهش أن اليهود كما اعترفوا لنا بأنهم حينما تقام انتخابات لمصلحة حاكم فإنهم يقدمون الرشوة لكلا المتنافسين بدون علم أى من الطرفين؛ وبذلك يضمنوا أن كل من يصل للحكم يصبح نصيراً لهم.



السفير محمد التابعي سفير ج.ع.م ببنما

سألت السيد السفير عما إذا كان له أى علاقة بالشخصيات البنمية المسئولة داخل جهاز إدارة قناة «بنما » وتفادياً لسؤاله عن السبب؛ استكملت كلامي :أود وبأى طريقة أن اجتمع برئيس نقابة العمال العاملين فى قناة زبنما» ، بالإضافة إلى الشخص البنمي المسئول عن إدارة قناة ز بنما ز بصفته كما هو معروف لدىّ أن المدير الحالى هو أمريكى ومساعد المدير بنمي، فإذا أمكن لى أن ألتقى بنائب المدير البنمي .سيكون فرصة ممتازة لأتفاهم معه في كثير من الأمور المهمة لنا ولـ ز بنما ز ولحسن الحظ أجابنى الأخ التابعى بأن العلاقة طيبة بمن طلبت لقاءه، وهنا أضفت إلى قولى إننى يهمنى أن يتم لقائى بالمدير العام الأمريكى للقناة شخصياً بصورة علنية، حتى يعتبر أى اكتشاف لأى علاقة بى بنائب المدير أو رئيس النقابة أنه استمرار لعلاقات عادية مع المسئولين عن القناة، فلا يشك فى اتصالاتى أحد إذا اكتشف أمر هذه اللقاءات.

وبناء عليه طلبت من الأخ التابعي محاولة تحديد موعد لي بداية مع مدير القناة، لكن ليس قبل يومين من اليوم ٧ يوليو ، وإذا أمكن تحديد الموعد مع نائب الرئيس البنمي ورئيس نقابة العمال، أحدهما قبل الظهر وثانيهما بعد الظهر، بعد لقاء المدير الأمريكي بيوم كامل ، وسأخطرك بما سأقوم به بعد إتمام اللقاءات جميعاً.

وأوقفنا الحديث عند هذا الحد؛ لوصولنا للساعة الثانية بعد الظهر حتى يمكننا تناول طعام الغداء الذى أصر الأخ السفير على أن يتم في مطعم ممتاز، يرى القناة من قريب على الجانب الأيمن منها.

وما أن أتممنا تناول وجبة الغداء حتى اقترح على السفير التوجه إلى النادى الذى يضم الشخصيات المهمة من المسئولين بالسلطات البنمية، بالإضافة إلى رجال السلك الدبلوماسي الممثلين لبلادهم بدولة (بنما).

إلا أننى طلبت منه تأجيل هذه الزيارة إلى المساء؛ حتى يكون الجو قد تحسن، وكما فهمت من مسئولي الفندق أن الجو يتحسن كثيراً فى المساء، وغالباً ما تغادر الأسر المقيمة بالعاصمة مساكنها؛ للاستمتاع بجو النوادى المختلف فى المساء؛ نظراً لإقامة جميع النوادى على الأراضى المشجرة والمزروعة بجميع الزهور والورود الاستوائية، التى تكسب أرض النوادى المفتوحة العديد من المزايا الطيبة.

وتبعاً لهذا الاتفاق استقللنا سيارته، وأوصلني للفندق على وعد للمرور على فى السابعة مساءً؛ لقضاء سهرتنا بالنادى ، مشيراً إلى أننا سوف نلتقي بالعديد من الشخصيات المهمة وستكون فرصة ممتازة للتعرف على كثير من الشخصيات البنمية والأجنبية من المسئولين العاملين على أرض ز بنما ز .وشكرته وودعته على أمل اللقاء فى المساء، وفى غرفتى حولت جميع ما حصلت عليه من معلومات بالشفرة إلى ورقة مدون بها الخلاصة المطلوبة.

سهرة المساء بالنادى:

ما أن التقينا فى المساء حتى توجهنا إلى النادى، الذى كان قد جمع العديد من الأسر المقيمة بالعاصمة (بنما) يستمتعون بنسيم ليلها، وعبير زهورها، وهفهفة أوراق أشجارها، الملبية لأمواج المحيطين الأطلسى والهادى، ثم دخلنا إلى حديقة النادى الطويلة والعريضة المزركشة بنماذج متعددة من كراسى الجلسة المريحة ، وموائدها النظيفة اللامعة المعبرة عن الرغبة الأكيدة فى استضافة كل زوارها، والجالسين حول إطارها، معبرين عن سعادة

مجلسهم وهدوء أعصابهم.

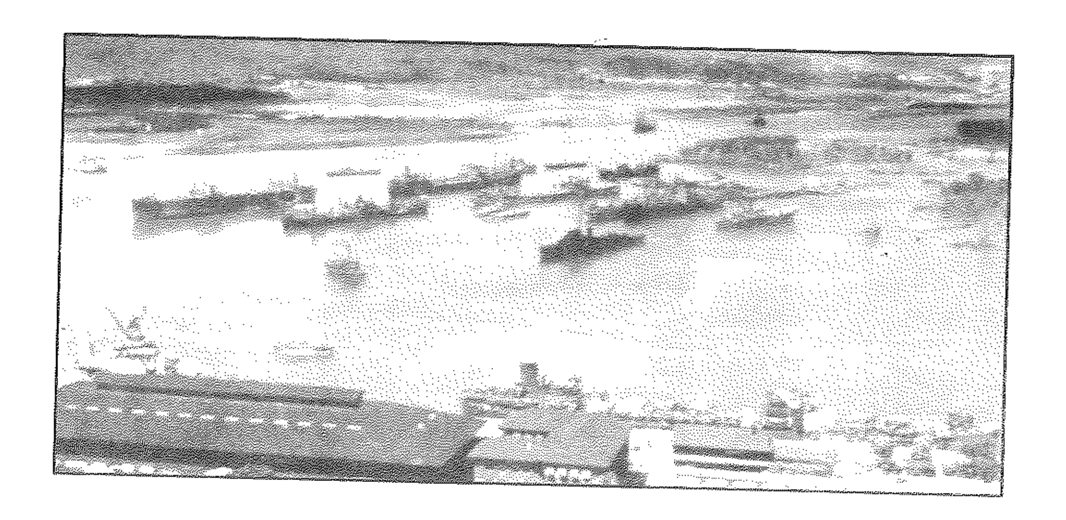
وانعكست سعادة كل الحاضرين على نفسى، وملأت قلبى بالسعادة والهدوء، ووجدتنى أنساق مع زميلى وأخى السفير /محمد التابعى فى حديث طويل هادئ مريح، معبر عن الأمل الكبير الذى ينتظره عقلى وتفكيرى؛ لأحقق الهدف الكبير الذى أرنو إلى تحقيقه لمصلحة مصر وسوريا وثورة مصر والجالية العربية المهاجرة إلى دول أمريكا اللاتينية: شيلى ، الأرجنتين ، أوروجواى ، والبرازيل.



السيد / فتحى الديب

وفوجئت فى الساعة الثامنة مساءً بالأخ السفير /محمد التابعى ينبهنى بصورة مثيرة عاجلة بقوله : إن المدير الأمريكى لشركة قناة (بنما) دخل فوراً إلى حديقة النادى، وقام بالسلام على بعض السفراء الموجودين بقرب مدخل الحديقة، وأنه لا شك سيمر علينا لمصافحته لمعرفته الجيدة به، وسينتهز هذه الفرصة؛ ليقدمنى إليه باعتبارى أحد مستشارى وزارة الخارجية المصرية، وستكون مناسبة لإثارته رغبتى فى لقائه بمكتبه؛ للإلمام بكثير من المعلومات عن قناة بنما، لأنى قائم بتقديم رسالة دكتوراه عن قناة ز بنما ز وستناقش قريباً، فوافقت على هذا الرأى، ولم يمض سوى خمس دقائق حتى وجدت المدير الأمريكى أمامنا، وقام بمصافحة السفير /محمد التابعى، ثم اتجه ناحيتى، وقد بدا عليه الاهتمام لما يقوله عنى الأخ السفير، وفوراً قام بمصافحتى؛ ليبلغنى بأنه سيسعده لقائى بمكتبه فى

الغد الساعة الحادية عشرة صباحاً، وسيكون على استعداد للإجابة عن جميع ما أطلبه من معلومات، وتبادلنا أسماءنا للتعارف وتأكيد اللقاء في الموعد المحدد ، وكان يدعى (صمويل هنرى SAMUEL HENRY) وتم كذلك تعارفى عن طريق الأخ السفير /محمد التابعي بالعديد من سفراء الدول المختلفة لدى ز بنما ز بالإضافة إلى بعض الشخصيات البنمية الذين يتولون مناصب مهمة فى إطار السلطة البنمية فى مختلف الاختصاصات والمهن المختلفة . ثم تناولنا العشاء فى الساعة التاسعة والنصف، وغادرنا النادى فى الحادية عشرة مساءً؛ ليوصلنى السفير إلى الفندق، على أن يرسل لى سيارته لتوصلنى إلى مكتب المدير العام الأمريكى لشركة زبنماز فى الحادية عشرة صباح الغد ٨ يوليو.



ميناء بنما

البدء في ممارسة النشاط المطلوب بـ «بنما»:

ما أن استيقظت صباح يوم ٨ يوليو حتى تناولت إفطارى فى غرفتى، ووضعت ملابسى الخفيفة؛ لإتمام رياضتى الصباحية والسير على قدمى بجوار مجرى القناة فى هواء الصباح الرطب المنعش لمدة ساعة، ثم عدت إلى الفندق؛ لأبدل ملابسى تمهيداً للتوجه إلى مقر مدير عام القناة الأمريكى واستقللت سيارة السفير؛ لأصل إلى مكتب مستر ز صمويل هنرى ز فى الحادية عشرة بالضبط.

واستقبلنى استقبالاً طيباً، وأبدى استعداده لتقديم أى خدمات، فانطلقت فى حديثى

معه عن رسالة الدكتوراه، موضحاً الجهد الكبير الذى قمت به لإعداد هذه الرسالة، وانتهزت فرصة سفرى إلى أمريكا اللاتينية فى مهمة تفتيشية على سفارات الجمهورية العربية المتحدة؛ لأمر على ز بنما ز متمنياً أن أحصل على احتياجات بحث الرسالة المطلوب منى استكماله، وحولت الحديث إلى عدة استفسارات على النحو التالى:

أ - طول القناة وعرضها، وإذا كان هناك اختلاف فى العرض وأماكن هذا الاختلاف، ومدى تأثير ذلك على عبور السفن المارة بالقناة.

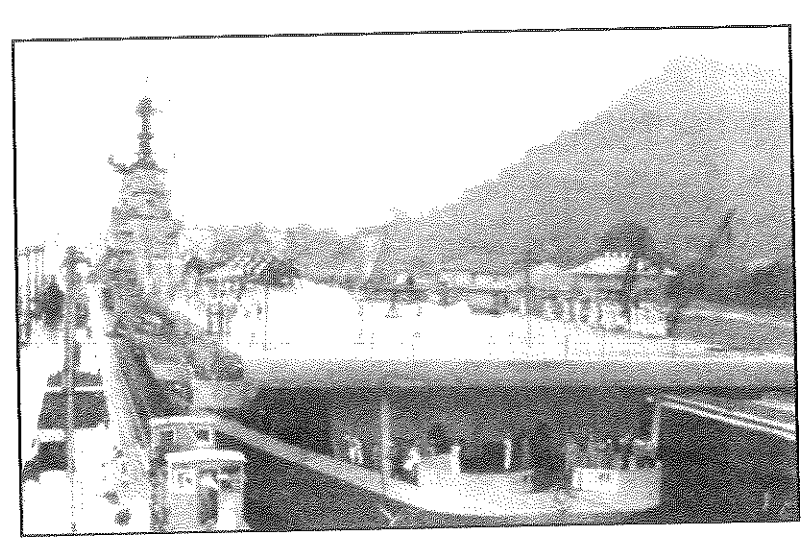
ب - عمق القناة فى جميع المستويات بالأماكن المرتفعة، ومتوسطة الارتفاع والمستوى بسطح ماء المحيط.

جـ - مناطق حجز السفن المارة فى مختلف مناطق الحجز التابعة للارتفاعات والانخفاضات، وتأثيرها على زمن عبور السفينة.

د - نوعية السفن التى يمكن أن تعبر القناة بلا مصاعب، وبالذات السفن الحربية والتجارية، وأحجام السفن غير الممكن عبورها، وعمق الغاطس، ووزن حمولة السفينة بالكامل.

هـ - أسلوب تطهير القناة، وبالذات بالنسبة للأحواض التى يتم ملؤها وتفريغها تبعاً لظروف المرور، وهل تتم نظافتها وتطهيرها فى مرحلة واحدة، أم تتم على مراحل ؟.

و - مجموع مصاريف استخدام القناة من الوقود فى عبور كل سفينة من البداية إلى النهاية.



حاملة طائرات تعبر قناة بنما

وتم الاتفاق بيني وبين المدير الأمريكي للحصول على الإجابة التفصيلية لكل استفساراتي السابقة في بحر يومين، وسيخطر السفير التابعي بمجرد تجهيز المطلوب، وهنا قدمت الشكر واستأذنت في المغادرة، وخرجت نحو الساعة الثانية عشرة؛ لألتقي بالأخ التابعي بمبنى السفارة، لأجده في انتظاري وكله قلق؛ خوفاً أن أكون أخطأت في حديثي مع المدير الأمريكي، واكتشف حقيقتي وتم القبض علي، وكان ردي مختصراً في جملة واحدة :ز لو كنت ذلك الرجل الذي تتصوره ما كلفني الرئيس عبد الناصر بأن أقطع هذا المشوار الطويل لأضعه في مأزق بلا مبررز وتركته وغادرت السفارة إلى الفندق؛ لتناول طعام الغداء.

اتصل بي بالفندق مساء اليوم نفسه السفير /محمد التابعي؛ ليخبرني بأنه التقى بالمصادفة مع نائب المدير العام البنمي الجنسية وتحدث معه كثيراً عن علاقة مصر بـ (بنما) وانتقل بالتدريج في حديثه معه إلى إثارة السبب نفسه الخاص بالدكتوراه عن قناة بنما، التي يستعد لتقديم دراسته عنها، وفوجئ به يطلب منه مساعدته للالتقاء بي؛ لرغبته في التفاهم معي في كثير من المعلومات التي تخص قناة السويس، ونظام إدارتها، وأسلوب رؤسائها، في تطوير قدراتها على استيعاب مختلف أنواع وأحمال السفن العسكرية والمدنية وزيادة الكمية التي تعبرها في طريقها بين أوروبا وأفريقيا وآسيا ، وتمهيداً لهذا اللقاء اقترح عليه الأخ التابعي أن يتم اللقاء في النادي الخاص بهم، وليكن ذلك في أي وقت مساءً، وسيقوم بالحضور معي لمقابلته في النادي؛ لإتمام التعارف، والمعاونة في تحقيق مطالبه كاملة، وتم تحديد الموعد ليكون يوم ٩ يوليو الساعة الثامنة مساءً ، ووافقت مبدياً سروري لأن الله سبحانه وتعالى منذ وصلت إلى بنما في معاونتي وتسهيل مهمتي، بأسلوب بعيد عن كل الشكوك وما إليها من مشكلات جنبنا الله إياها.

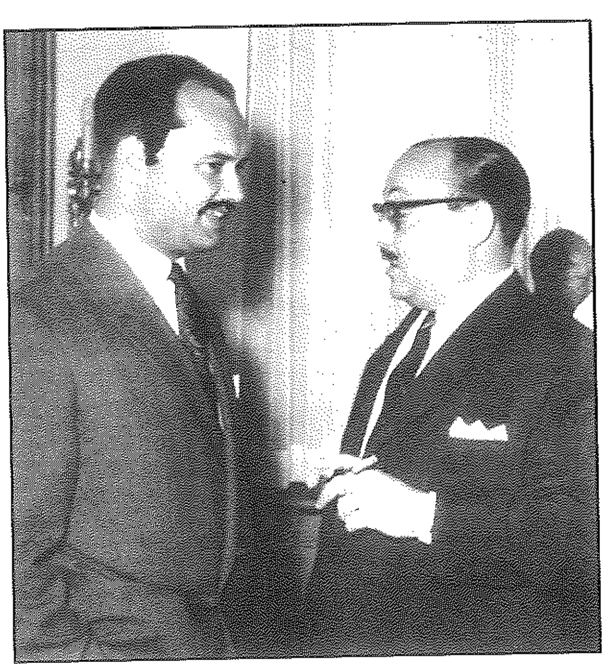
تفادياً لتحمل الأخ السفير وعدم إجهاده بتحركاتي؛ طلبت منه إيصالي إلى سوق (بنما) التجارية وتركي هناك؛ لأقوم باستعراض كامل لأوضاع (بنما) التجارية ، وأسلوب إتمام التعامل التجاري بها، وبالذات مدى تغلغل الجالية اليهودية فيها ، وإلى أي وضع وصلت سيطرتها على التجارة البنمية.

بعد أن وصلنا بالسيارة إلى أول الشارع التجاري استأذنت منه وتركت السيارة؛ ليعود هو لعمله، وأكملت سيري على الأقدام، متنقلاً بين مختلف المحال التجارية، محاولاً فتح أحاديث كثيرة مع أصحاب المحال مستفيداً من لغتي الإنجليزية ، وإلمامي البسيط باللغة الأسبانية، لأضع تجار السوق في الاطمئنان، والتصور أنني أحد الزوار الجدد لـ (بنما)

والباحث عن سوق جديدة له بـ ز بنما ز إلا أننى لاحظت من كثرة أسئلة التجار اليهود أنهم يشكون فى جنسيتى ، ويرجع ذلك إلى كثرة نظرتهم فى وجهى، ومحاولتهم أثناء الحديث أن ينطقوا بكلمة باللغة العربية؛ لإيقاعى فى كمين ولكنى لم أمكنهم من ذلك.

ولكن وضح لى بشكل متكامل أن الجالية اليهودية المهتمة بالشئون التجارية والعاملين بالسوق التجارية على درجة كبيرة من الذكاء والقدرة فى ممارسة عملهم التجارى، بما يؤهلهم للسيطرة وتحقيق الأرباح بسهولة، بما يعود عليهم بتحقيق رأس مال وضحت آثاره على محال تجارتهم وزيهم ، وطريقة تعاملهم مع المتعاملين معهم، بالإضافة إلى أن أغلب المحال القائمة بالتجارة يملكها يهود، فى الوقت الذى لا يمتلك فيه أهل ومواطنو ز بنما ز سوى المحال البسيطة، ويتاجرون فى بضائع رخيصة السعر؛ مما يجعلهم يعيشون عيشة متوسطة الحال

وبعد أن أتممت أخذ الصورة العامة والتفصيلية لوضع وحالة السوق التجارية عُدت إلى الفندق للراحة، مكتفياً بما حصلت عليه من معلومات؛ لأعيد تشفيرها، وأضعها مع سوابقها من المذكرات المشفرة.



لقاء السيد/ فتحى الديب بجوان اسكاروس

نائب مدير قناة بنما بنادى بنما للعائلات

لقاء المسئول البنمي عن القناة ورئيس نقابة العمال البنمي:

إزاء ما تحقق لي من تحديد موعد لقاء نائب المدير البنمي ليكون في مساء يوم ٩ يوليو نفسه، فضلت أن أمضي صباح اليوم بطوله في القيام بالمرور على قناة (بنما) سيراً على الأقدام؛ محاولاً أخذ بعض صورها بكاميرتي الخاصة لتشمل :نوعية السفن العابرة ، وأحجامها ، والاضطلاع على أسلوب وطريقة عبورها للقناة ، والإلمام بأسلوب ونظام عمل العاملين بها من أبناء (بنما) وعما إذا كان هناك نوعيات أخرى تعاونهم . قمت بالسير على جانب القناة بأسلوب هادئ، متطلعاً إلى فهم طبيعة الوضع العام للقناة، وما يحيط بها من أراض محاولاً الاقتراب إلى أقرب مكان من مجرى القناة نفسه، الأمر الذي ساعدني كثيراً من خلال حديثي مع بعض الشخصيات العاملة بالقناة، والموجودة على جانب القناة الذي أسير بجواره، لأجد أن معظمهم من مواطني (بنما) مع وجود عناصر كثيرة أمريكية منتشرة في مختلف الأعمال الخاصة بالقناة، خاصة فيما يتعلق بالعمل الفني للماكينات .وقد التقطت صوراً لمركب عسكري حامل طائرات خفيفة ، وأخرى لحفار في وسط القناة في طريقه إلى الجانب الغربي، وحينما سألت عن نوعيته أخبرني أحد ضباط الحفار عن وجهته إلى فنزويلا للعمل هناك . كما أخذت صوراً لكثير من السفن التجارية التي لاحظت أنها مجمعة في ميناء (بنما). في انتظار مرور السفينة العسكرية والحفار؛ لأن لهما الأسبقية في المرور .واكتفيت بهذا القدر من المعرفة المهمة لأعود بعدها مباشرة إلى الفندق ظهراً في الساعة الواحدة، لأجد رسالة من السفير/ التابعي يخبرني فيها أن رئيس نقابة عمال القناة المدعو (بنيتو ماديرو) التقى به واتفقا على تحديد موعد لقائي برئيس النقابة يوم ١٠ يوليو في الصباح، وذلك لأنه كان موجوداً في مبنى سفارتنا؛ للحصول على فيزا لابن عمه المسافر إلى القاهرة في طريقه لمهمة شخصية.

واتصلت تليفونياً بالسفير لأخطره بوصول الرسالة، وتفهمي لمضمونها كاملاً، وانتظاري للقائه في السابعة والنصف ليلاً؛ للتوجه إلى النادي حسب الميعاد.

وفي الموعد المحدد مساءً اصطحبني السفير إلى النادي حسب الاتفاق، لنصل في الساعة الثامنة، لنجد السيد نائب المدير البنمي في انتظارنا، وتم التعارف بيني وبينه على يد الأخ السفير، وجلسنا لنتبادل حديثاً عاماً في البداية، ثم تطرق بنا الحديث لأسئلة عن أسلوب إدارتهم للقناة ، وعما إذا كان هناك تنوع لأسلوب المعاملة ما بين الجنسيات المختلفة، والمقصود بهذا أن من يعمل من الأمريكيين له أسلوب خاص في التعامل فنياً

ومالياً وأدبياً، مخالف لما يقابل به أبناء (بنما) بالإضافة إلى الجهة المسئولة للرجوع إليها فى مواجهة توقف العمل نتيجة لعيوب فنية أو إدارية أو سياسية.

وما أن أثرت هذا السؤال حتى وجدت الأخ البنمى يقترب منى بمقعده قائلاً :إنه كان فى أشد الحاجة إلى أن يستمع إلى أسئلة وأجوبة تتناول هذا الموضوع من زمن بعيد؛ لما كان يحدث من مشكلات واضطرابات فى العمل وصدام مستمر ما بين الأمريكيين والبنميين فى مواجهة التصرف السليم والمؤدى إلى استفادة شعب(بنما) بقناته أولاً وأخيراً .وجاءت الفرصة لتفتح أمام عينى أبواب النقاش الوطنى المعبر عن مصلحة الشعوب فى خيرات بلادها ، وما حباهم الله سبحانه وتعالى من كنوز، لم يستفيدوا بها كلية ليعيشوا الحياة الحرة الكريمة ؛ نتيجة ابتزاز المستعمر الهابط من جهنم؛ ليحتل الأرض الطيبة؛ وليسلبها ويتمتع بخيراتها . وبادرت على الفور بشرح حال مصر حينما استعمرنا الإنجليز والفرنسيون لإنشاء قناة السويس لتربط البحر الأبيض المتوسط بالبحر الأحمر؛ لفتح طريق الاتصال ما بين أوروبا وآسيا وأفريقيا لتمر تجارة العالم وسفنها بلا أى مشكلات فى أقصر وقت؛ وليقوم هذا الإنشاء الكامل بأيدى المصريين وبعلم وقدرة وأموال المصريين وليموت آلاف المصريين على أرض القناة ؛ حتى تم إنشاؤها - دون أن يتحملوا كعادة الاستعمار فى كل مكان - أقل القليل من المال، ومن ثم يفرضون إرادتهم على القناة؛ ليديروها ويحكموا السيطرة عليها بالمرشدين الذين أصروا على إحضارهم من بلدانهم الاستعمارية؛ حتى تكون السيطرة كاملة فنياً وإدارياً وسياسياً ومالياً.

ما أن وصلت فى حديثى إلى هذه النقطة، حتى اقترب منى الأخ (جوان اسكاروس) ليسألنى هل أنا مستعد للإجابة عن سؤال سيطرحه على، وكله أمل أن يكون الرد بالإيجاب المطلوب ليس له شخصياً، بل للشعب البنمى كاملاً؟ وحين سمع منى الرد: (نعم بكل سرور وسيكون ردى صريحاً أخوياً بلا تردد ز جاء سؤاله كما يلى بأسلوب رقيق مهذب بأدب كامل :ماذا كانت خطة رئيس ثورة مصر الرئيس جمال عبد الناصر حينما فكر فى تأميم قناة السويس ؟ وما الخطة العامة التى بدأ بها؟ ومتى تحولت إلى خطوات عمل اتخذها فى مسيرة الإجراءات التى قمتم بها فى تأميم قنال السويس؟ وتمكنتم فى الوقت نفسه من إبعاد (مبتسماً) أو بمعنى أصح طرد جميع المسئولين الإنجليز والفرنسيين الذين كانوا يتحكمون فى إدارة القناة؛ لتصبح قناة مصر أصلاً وحالياً ومستقبلاً؟ وركز على سؤاله التالى مستفسراً عما إذا كنا قد استعنا بفنيين مهندسين أو مرشدين أو أى مهن أخرى من خارج مصر؛ حتى تتم سيطرتكم بالسرعة

الكبيرة التى علمنا إنكم وصلتم إليها فى جميع مجالات إدارة القناة فى زمن قياسى، وأنا أعتقد إنكم قمتم بتجهيز خطة السيطرة على القناة بشكل تفصيلى، ولم تتركوا للاستعمار أى فرصة ليعوق عملكم.

جاء ردى فورياً، مؤكداً أننى سأجيبه بكل تفاصيل ما هو مطلوب؛ ويشمل جميع الإجراءات الحقيقية التى تمت، وتوقيتات التحضير لها ، ومراحل تنفيذها:

أ - بادر قائد ثورة يوليو بعد أن فجر الثورة واستقرت الأوضاع على جميع أنحاء وأجهزة الدولة - بمطالبة إدارة القناة باستبدال مهندسى إدارة القناة ببعض المهندسين المصريين الممتازين؛ ليحلوا محلهم.

ب - وبعد أن تمركز المهندسون المصريون فى مواقع سيطرتهم على مجالات عملهم فى إداراتهم الفنية تم تعيين مسئولين للعمل فى مختلف إدارات القناة؛ ليتدربوا على العمل الموكل إليهم مع القائمين على إدارة جميع أنشطة وحركة العمل بالقناة؛ بحجة قرب انتهاء احتكار القناة لمصلحة فرنسا وإنجلترا.

جـ - تعيين عدد مناسب من المرشدين تم سحبهم من ضباط البحرية المصرية ذوى الخبرة الكاملة؛ ليحكموا رقابتهم وسيطرتهم على تشغيل جميع أجهزة قناة السويس.

د - إدخال عدد لا بأس به من الفنيين والاخصائيين من السلاح البحرى؛ ليتولى الإشراف على الأجهزة الفنية بالقناة.

وتم كل ذلك، لتصل قدرة حكومة الثورة المصرية إلى إحكام إدارة أجهزة شركة قناة السويس، والسيطرة التامة عليها، بمجرد تحديد الموعد المناسب للإطاحة بإدارة قناة السويس الأجنبية :الفرنسية، البريطانية، بلا أى مقاومة وبسرعة كاملة، وليتم إحكام السيطرة الفورية على القناة.

بدت السعادة والسرور على وجه السيد (جوان اسكاروس) - نائب المدير اليمنى- وانعكس ذلك فى حديثه معى، مبدياً سعادته الكاملة وتقديره لكل ما أوضحت له من تفاصيل تأميم (قناة السويس) وأبدى إعجابه بالأسلوب المنسق المنضبط، القائم على التدبير الدقيق ، والتخطيط الممتاز، الذى انتهجه الرئيس عبد الناصر، ونجاحه فى الإطاحة بالمستعمرين الذين فرضوا أنفسهم على مصر وقناة مصر ليسلبوا ثرواتها ، وعاد ليسألنى

عن إمكانية استعانتهم بفنيين من المهندسين العاملين من المصريين - وإن كان -فلن يكون العدد كبيراً لأن وضعهم يمكنهم حالياً من إدارة جميع وسائل مرور السفن فى أحواض القناة بدون أى معوقات لتوافر الخبرة ، وتعدد الممارسين لهذه العملية من مواطنيهم البنميين.

وجدت نفسى مضطراً لأن أستفسر منه ، إذ ان مضمون حديثه الأخير يؤكد أن نيتهم تتجه إلى القيام بالسيطرة على القناة ، وإبعاد أى سيطرة أجنبية لمصلحة(بنما) وشعبها، وجاء رده مؤكداً أنه وجميع العاملين بالقناة من فنيين، ومهندسين ، وجميع أعضاء نقابات العمال ، مصرون على تحرير قناة (بنما) لمصلحة شعبهم ، بالإضافة إلى أن الأسلوب الذى تتبعه السلطات الأمريكية فى سيطرتهم على القناة مالياً ، وأدبياً ، وسياسياً فوق قدرتنا على تحملهم - كله استبداد وكبت لحريتنا وحقنا فى الحياة الكريمة، وأبدى رجاؤه لى أن احتفظ بكل ما أثاره معى فى سرية كاملة، بعيداً عن علم ومعرفة أى شخصية أجنبية أو أمريكية بالتحديد، مع أملى بالنيابة عن شعب (بنما)أن تنقل هذه الصورة، ونياتنا المستقبلية بالنسبة لقناة بنما إلى الرئيس عبد الناصر؛ لثقتنا به، وأملنا فى أن نحصل على تأييده لنا، حينما يكلل الله مسعانا بالنجاح.

استفسرت منه عما إذا كان قد تفاهم مع رئيس نقابة عمال القناة فى هذا الشأن ، وهل سيطلع على اتصالنا معاً . فرد أنه يفضل أن أراه ويستمع منى إلى إجاباتى له شخصياً بالأسلوب نفسه الذى عاملته هو به شخصياً، علماً بأنهم مصممون على ممارسة البداية للتمهيد لتنفيذ أملهم الكبير قريباً جداً، فتمنيت لهم التوفيق ووعدته بلقاء رئيس النقابة فى أقرب وقت، طالباً منه إخبار سفيرنا حينما يحين الموعد وبالله التوفيق.

تم لقائى بالسيد (بنيتو ماديرو) - رئيس نقابة عمال القناة - فى الموعد المحدد بمبنى سفارتنا بـ (بنما) وقمت - بحمد الله وتوفيقه - بوضعه فى الصورة الكاملة لما وصل إلى علم ومعرفة (جوان اسكاروس) - نائب المدير العام البنمى - وذلك بعد أن أبلغنى فور لقائنا بالسفارة وتعرفه علىَّ بأنه قد ألم بكل ما أبلغت به المهندس (جوان اسكاروس) وهو سعيد بالتعارف، وبما حصل عليه من معلومات، ودعانى والسيد السفير لزيارة تهمه ، وأعضاء النقابة بمنزله الموجود خارج العاصمة، بما لا يبعد عن عشرة كيلو مترات يوم ١٢ يوليو وتناول طعام الغداء معهم ، ولنتعرف على أعضاء نقابة عمال القناة المعاونين له، وقبلنا الدعوة وتمت فى موعدها، وفوجئنا عند الوصول إلى منزله فى ريف (بنما)

بوجود (جوان اسكاروس) - نائب المدير العام - ليتم اجتماعنا بهم جميعاً، وأتممنا اجتماعنا الذى استغرق طوال اليوم بأكمله لنتبادل الكثير من الأحاديث والمناقشات التى تمس طبيعة ومشكلات العمل فى قناة ز بنما ز ومختلف الآراء حول مفاتيح حلها. وانتهى الاجتماع فى السادسة مساءً، لأعود مع السيد السفير إلى الفندق، وأباشر على الفور حجز مكان سفرى على الطائرة المغادرة يوم ١٣ يوليو إلى «بيرو»، ومنها إلى «سنتياجو» دى شيلى ، وودعت السفير بعد حجز المكان تليفونياً لأغادر بنما صباحاً على الطائرة فى الساعة الثامنة.

الباب الرابع

اللقاء الأول وعرب المهجر «شيلي»



الفصل الأول

استطلاع موقف عرب المهجر بـ « بيرو »

كان من الطبيعي أن أمر في طيراني من «بنما» (PANAMA) على بيرو في طريقي إلى سنتياجو؛ لذا أخطرت سفارتنا بـ « بيرو» قبل سفري برغبتي في لقاء مندوب من السفارة للاستفسار منه عما إذا كانت هناك جالية من عرب المهجر تقيم في دولة بيرو، وتعيش بصفة مستمرة على أرضها.

غادرت الطائرة بمجرد هبوطها في مطار «ليما» يوم ١٣ يوليو؛ لألتقي بمندوب السفارة، الذي وجدته في انتظاري؛ ليخطرني بأنه قام بحجز مكان لي بالفندق المناسب في «ليما» لمدة ليلة واحدة، إلا إذا كان لي رغبة في الإقامة أطول من ذلك، فيقوم فوراً بمد الحجز للأيام المطلوبة.

وبعد أن أتممت إجراءاتي الجمركية غادرت المطار بصحبة مندوب السفارة، ليصحبني في سيارته إلى الفندق المحدد.

وخلال مسيرتنا بالسيارة طلبت منه الإجابة على ما استفسرت عنه في التليفون من «بنما»، عن موقف الجالية العربية الموجودة بـ «بيرو». فأخبرني فوراً بأن طبيعة الأوضاع في «بيرو» ونظام المعيشة لا يتوافق مع متطلبات عرب المهجر للإقامة المستديمة ، وممارسة جميع أنواع التجارة أو الفنون المحتاجة لخبرات فنية عالية، بما يسمح لهم بالبقاء المستمر والعمل بأي نوع من أنواع المهن المطلوبة والمناسبة لخبراتهم وقدراتهم التعليمية والثقافية والفنية.

وحسب الواقع الموجود حالياً لا يتعدى عدد الإخوة العرب المغتربين أو المهاجرين سوى خمسين أسرة فى المجموع، أو معظمهم يفضل الإقامة فى أى دولة من دول أمريكا اللاتينية التى ترتبط إقامته بها بنوعية التجارة التى يمارسها، أو مساهمة هذه الدولة فى تمكينه من تبادل النشاط التجارى بسهولة ويسر فى أنواع الخامات المتوافرة لتسويقها فى أى مكان من العالم، إذا كان لهذه النوعية اهتمام عالمى كبير فى استيرادها والتعامل فى مشتقاتها، كالبترول مثلاً، لتوافره فى فنزويلا ، ثم أضاف أنه هو وسيادة السفير، وأعضاء السفارة لم يواجهوا أى مواقف تغير فى الصورة التى طرحها لى حتى الآن . وعليه قررت المبيت ليلة واحدة بـ «بيرو» مع محاولة الاتصال بأى مجموعة ممكنة من عرب المهجر الموجودين؛ لاستكشاف أى نيات خاصة بهم حتى لا أغادربلا معلومات كافية عن حياتهم

أمضيت الوقت بعد ظهر وصولى فى المرور على منطقة النشاط التجارى فى العاصمة «ليما» ومررت على السفارة؛ للتحية تم قمت بحجز تذكرة السفر صباح اليوم التالى ١٤ يوليو إلى سنتياجو من مكتب شركة الطيران ، وحاولت التعرف على أماكن سكن أسر الجالية المصرية بـ«ليما» العاصمة دون أن أوفق؛ لعدم وجود أى معلومات لدى السفارة عن أماكن سكن مختلف أعضاء الجالية ، وعليه أمضيت بقية الليلة حتى صباح اليوم التالى لأتجه إلى المطار لأستقل الطائرة إلى سنتياجو فى الثامنة والنصف صباحاً.

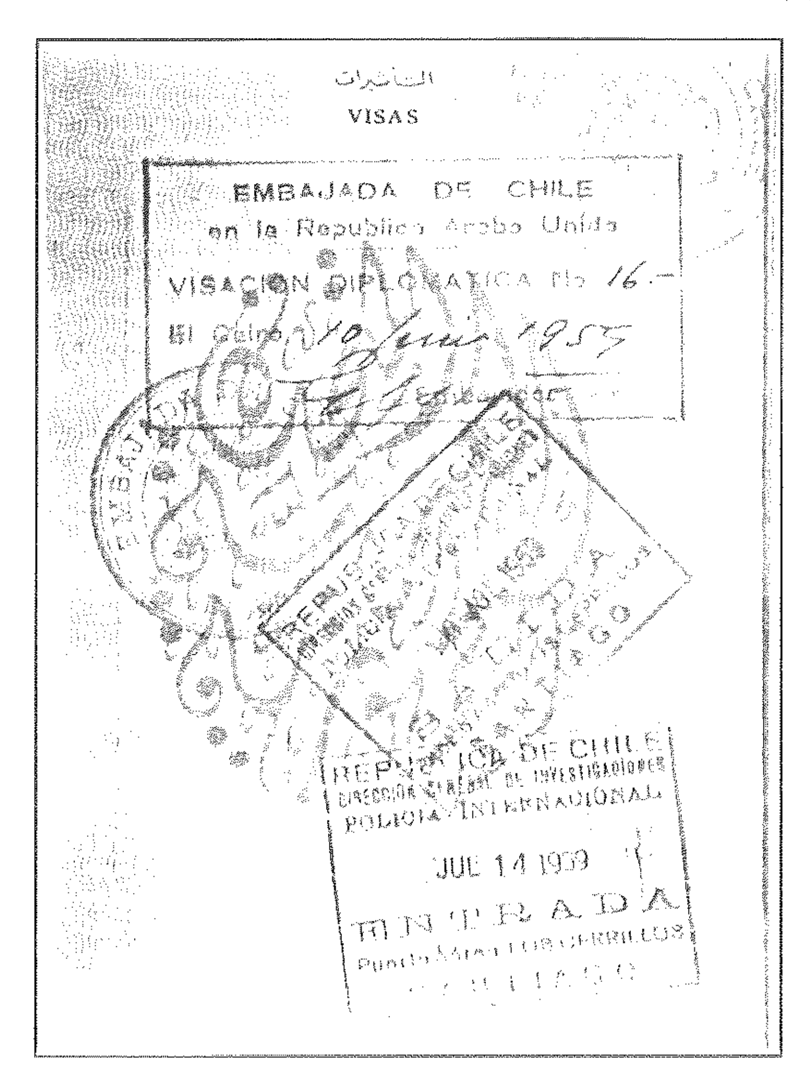
* * *

الفصل الثاني

الطيران إلي سنتياجو

ما أن وصلت إلى سنتياجو حتى وجدت السكرتير /إبراهيم عبد الحميد أمامى، وهو سكرتير السفارة ليستقبلنى ، الأمر الذى أسعدنى كثيراً؛ لأنه كان المندوب المستديم فى أسبانيا المرافق لى فى جميع مهماتى الخاصة بتهريب السلاح إلى المكافحين الجزائريين فى ولاية وهران الغربية، حيث كنت أباشر جميع عملياتى من مدريد وبرشلونة .وأبلغنى أن السيد السفير توفيق شاتيلا - السورى الجنسية - يتأسف كثيراً لأنه اضطر إلى السفر إلى سوريا أمس لشئون عائلية اضطرته للسفر عاجلاً إلى دمشق، وسألته- كعادتى - هل أنت - كعادتك - على علم بأحوال الإخوة المهاجرين العرب المقيمين فى شيلى وكل ما يتعلق بشئونهم؟ فأجابنى فوراً: وبلا تردد طبعاً يا أفندم أنا فى الصورة كاملة، وعلى اتصال بهم جميعاً؛ نظراً لأن السيد السفير كلفنى بتولى كل احتياجاتهم، وحل أى مشكلات تواجههم فوراً .ثم قال لى أحب أوضح أن الغالبية العظمى من عرب المهجر عندنا فى شيلى فلسطينيون وطنيون قوميون ناصريون، ومن أنشط الجاليات التى اندمجت مع الشعب الشيلى فى حياتهم وأعمالهم ومعيشتهم، الأمر الذى كان له آثاره الطيبة والممتازة فى نفوس سلطات دولة شيلى الاشتراكية، المرتبطة بجميع احتياجات النظام الاشتراكى، من فهم دقيق وانتهاج لأسلوب واع بالمتطلبات الاشتراكية التى أُخذ بها بثورة ٢٣ يوليو ، وأحب أن أطمئن حضرتك على إننا وصلنا مسبقاً من إدارة الأبحاث

بوزارة الخارجية أن سيادتك فى طريقك إلى أمريكا اللاتينية؛ لإتمام الاتصال الكامل بكل الجاليات العربية فى شيلى ، والأرجنتين ، وأوروجواى ، والبرازيل الدول الأربعة التى تعين لها أربعة سفراء من السلك الدبلوماسى السورى بعد إتمام الوحدة مباشرة- بتوجيهات ضم سفارتى سوريا ومصر فى الدول الأربعة المذكورة كل تحت قيادة واحدة سورية يعاونها مستشار مصرى يساند السفير الجديد فى كل صغيرة وكبيرة، بما يخدم تنفيذ جميع مطالب الجاليات العربية المعروفة بعرب المهجر، ثم ذكر أنه تلقى تعليمات ليكون فى خدمة أدائى لمهمتى على الوجه الكامل، مرافقاً مستديماً لتسهيل جميع المصاعب والمطالب إن وجدت.



وصلنا الفندق فى نهاية حديثنا السابق، وتوجهت إلى غرفتى ومعى السكرتير /إبراهيم عبد الحميد؛ لنضع الحقيبة ونتجه إلى المطعم ، وهنا وجدت نفسى فى حالة إحساس ببرد شديد وكان قد أخذنى الحديث فلم أشعر ببرودة الجو إلا فى الفندق، وحينما وصلت خادمة الغرفة وأدارت جهاز التكييف؛ لتدفئة الجو، هنا تذكرت أننى نسيت تماماً أن أحضر معى أى ملابس شتوية، حين شُغلت بسفرى إلى الولايات المتحدة، ونسيت أمريكا اللاتينية ومدار الجدى، ونسيت شدة الحرارة فى مصر، وشدة البرد فى شيلى وتأثير مدار السرطان ومدار الجدى المعكوس، وصدرت منى آه اندهاش، كيف أنسى نفسى فترة انشغالى بمهمتى؟ لأقول له: أنا طبيت يا إبراهيم فى مقلب شديد ، وحينما استفسر منى عن السبب، فتحت حقيبتى لأكشف له ملابسى الصيفية الكاملة بلا أى ملابس شتوية، وسألته ما الحل ؟ ولم يجد فى سؤالى أى مشكلة، ووجدته يبتسم ويقول العملية سهلة، ممكن ننزل والمحلات هنا كلها مليئة بالملابس، ونظرت له قائلاً : انهارده إيه؟ فقال : النهاردة السبت ، قلت : الساعة كام ؟ قال : الساعة الثالثة ، المحلات بتقفل الساعة كام ؟ ، قال : الساعة الثانية ، والأحد مغلقة تماماً ، قلت : ما هو السهل فى نظرك وتقديرك ، فالعملية أصبحت مشكلة ، فأخبرنى بأن هناك محلاً به بلوفرات صوف فقط ، ممكن نجيب لحضرتك بلوفرات تمشى مع لون البدل الصيفى حتى يوم الاثنين الساعة التاسعة صباحاً وأنا سأنزل أحضرها ، وفعلاً ذهب لشراء بلوفرين وأعطيته الثمن ، وقلت له بعد طعام الغداء يمكنك شراء المطلوب ، وبالفعل تناولنا الغداء وصعدت لغرفتى وذهب هو لشراء البلوفرات وعاد إلىّ فى السابعة مساءً متعللاً بتأخيره نتيجة لأن المحل كان مغلقاً بعد الظهر ويفتح فى وقت متأخر ، ولحسن الحظ وجد محلاً آخر لديه المطلوب فاشترى البلوفرين الصوف، وحصلت على هذا الكنز المؤقت حتى يوم الاثنين صباحاً .ورجانى أن أستعمل أحد معطفيه الصوف؛ لاستعماله مؤقتاً حتى يوم الاثنين فوق البدلة الصيفى ؛ ووافقته وإن كنت قد قررت بينى وبين نفسى أن أتفادى الخروج نهائياً، وأن أتناول طعامى فى غرفتى طوال يوم الأحد حتى صباح يوم الاثنين ، وهو ما حدث بالفعل، إلا أن إبراهيم كان فى غاية الاتزان لإصراره على عدم تركى فى الغرفة لمدة يومين، فاصطحبنى فى سيارته واضعاً معطفه على أكتافى ؛ للغداء يوم الأحد فى الخارج؛ ليطوف بى كل مدينة سنتياجو لأتعرف على تفاصيل المدينة.

وخلال أحاديثنا كان يهمنى بالدرجة الأولى أن أستوعب الإجابة على كثير من الاستفسارات التى أبحث عنها فيما يتعلق بالوضع الشامل لموقف الجاليات عرب المهجر، وبالذات بعد ما كان لدى من معلومات عن أن الفلسطينيين ممن هاجروا من أرض فلسطين تحت ضغط الإنجليز واليهود الذين تم استقدامهم على دفعات متتالية للإقامة على أرض فلسطين بعد إعلان وعد بلفور وتدخل الإنجليز - باعتبارهم الدولة التى وُضعت فلسطين تحت انتدابها - بهدف إزاحة أكبر عدد من الجالية الفلسطينية؛ ليرحلوا عن أرض فلسطين إلى دول أمريكا اللاتينية، بعد هزيمة اليهود المنكرة على أيدى المقاتلين العرب برئاسة القائد الحسينى وتدّخل أمريكا بقوتها لكسر شوكة المحاربين العرب ومساندة اليهود؛ مما أرغم كثير من الأسر الفلسطينية على الرحيل بأعداد كبيرة، وفضلوا التجمع الموجود حالياً فى شيلى؛ لتمكنهم من اجتذاب مواطنى شيلى لمناصرتهم فى الحياة على أرض شيلى بيسر ورخاء، وفى إطار من الحياة الكريمة لمصلحة بناء كيانهم الجديد بلا مشكلات، وبالعكس رحب مواطنو شيلى بهم كأخوة، بالإضافة إلى أن جميع الإخوة الفلسطينيين ارتبطوا بسرعة بالنظام الاشتراكى الذى يؤمن به شعب شيلى، عن اقتناع والتزام؛ لما له من آثار مفيدة لبناء دولة تعيش فى كنف نظام مالى قادر على مواجهة الأزمات التى تواجه جميع الدول القاصرة فى تملكها للعديد من الثروات ، وكان من نتيجة موقفهم هذا أنهم تمكنوا من تأميم تجارة معدن النحاس المتوافر فى شيلى .وتشغيل جميع الخامات الخاصة بصناعة الملابس الجاهزة، من قطن وصوف وتيل فى مصانع أعدوها بالتفاهم الكامل مع رجالات البنوك الفلسطينية التى سارت فى مجال استثمارها للأعمال البنكية لبناء المصانع المختصة بتشغيل خامات القطن والصوف والألياف الصناعية لنسجها وتحويلها إلى أقمشة جاهزة لتصنيعها إلى مختلف أنواع الملابس الجاهزة فى تلك المصانع، ومن ثم ترويجها بما يحفظ عليها أكبر قدر من المكاسب لمصلحة أسر الجميع.

دراسة أوضاع الجالية العربية بـ « شيلى» :

بعد إتمام جولتى بصحبة السيد /إبراهيم للاطلاع على الصورة الكاملة لجميع أحياء ومناطق معيشة سكان العاصمة سنتياجو، عرض على الأخ السكرتير /إبراهيم أن نتناول غداءنا بمطعم فلسطينى الطهى، لاتينى الإعداد والتجهيز فى صورة راقية جداً، ويمتلكه أحد أبناء الجالية العربية الفلسطينية الأصل، الذى أنجبته أسرته بعد هجرتهم إلى شيلى وإقامتهم بسنتياجو، ويدعى «هانى عمور» الذى نشأ وتربى ودرس فى مدارس شيلى، وتخرج فى جامعتها، وأصبح من الشخصيات المهمة الذكية والنشيطة القادرة على اكتساب ثقة واحترام حكام شيلى وسياسييها وأقطاب اقتصادها، ثم استطرد إبراهيم ليخبرنى

بأنه ارتبط به بصداقة أخوية مضى عليها عامان، وتبين وتأكد له أنه وأسرته من الفلسطينيين المتحمسين لعروبتهم والأكثر تماسكاً وارتباطاً بمواطنيهم الفلسطينيين، وأقوى التجمعات الفلسطينية شوكة التى تملك القطاع الأكبر من المصارف والمؤسسات المالية الكبرى، والتى تتقد حماساً لعروبتها فلا تسلوها، وبفضل تربية أهله له وضح انتماؤه هو وأسرته الأصيلة للمجموعة القيادية ذات القوة والنفوذ الرئيسى، الذى يكمن فى أنهم عرفوا كيف يُمزجون بين ولائهم لوطنهم الجديد، وبين الأواصر الروحية التى تشدهم إلى الوطن الأم فى الشرق البعيد، فأصبحوا يمثلون النموذج المرموق القادر على اكتساب الثقة والحب والتقدير، ومن ثم حسن المعاملة القائمة على الاقتناع بالشخصية الرزينة المتسمة بالقيم الممتازة والخلق القويم.

وحينما سمع إبراهيم تقديرى لشخصية صديقه «هانى عمور»، وسرورى مما سمعته عنه استطرد فى حديثه؛ ليستأذننى فى استدعائه وتعريفى به؛ ولنتناول ثلاثتنا طعام الغداء بمطعمه، مبدياً سعادته هو أيضاً بإتمام التعارف، الأمر الذى سيتيح لى الفرصة للاستفادة بما لدى «هانى من معلومات وتفاصيل كاملة عن جميع الأنشطة السياسية والاقتصادية والاجتماعية والثقافية، ومن ثم سيقوم بدور مهم جداً فى تمكينى من لقاء كل من أريد لقاءهم، سواء كانوا سياسيين أم اقتصاديين أم أرباب صناعة ، وما أن طلبت منه استدعاء الصديق هانى حتى ذهب وعاد بعد خمس دقائق، والأخ هانى معه ليتم التعارف، وما أن طلبت منه قبول دعوتى ليشاركنا فى تناول الغداء معاً حتى وجدته يرجونى أن استمع إليه، ليسعد نفساً برفيق الرئيس جمال عبد الناصر الزعيم العربى والمتربع فى صدورنا كفلسطينيين قوميين عرب ، وأضاف قائلاً: أرجوك وأكرر رجائى ألا تخيب أملى وأن تقبل دعوتى لك يا رفيق حبيبنا وزعيمنا عبد الناصر؛ لتبارك مطعمى البسيط وتمنحنى هذه الفرصة العظيمة لأفخر وأسعد بضيافتك، التى لن يقتصر تأثيرها السار على شخصى بل ستكون سعادة أسرتى بهذا الشرف العظيم.

وإزاء إحساسى بكرم أسلوب الضيافة الذى قابلنى به السيد «هانى عمور»، ورقى مستواه وتعبيره الفياض المتسم بكل معانى الصدق والقيم الأسرية الرقيقة، شكرته كثيراً على جميل تعبيره؛ وتفادياً لأى تصور خاطئ لعدم قبولى دعوته لتناول الغداء معه قبلت الدعوة، مؤكداً مدى إحساسى بالسرور والتقدير لما لمسته من خلال ما سمعته من إبراهيم ومن شخصية هانى الأخوية الرقيقة والعربية القيم والإيمان العميق بكل ما تعلمناه من ديننا الحنيف من تعاليم وفهم لمعنى الحياة الطاهرة الخلاقة.

وبعد تناولنا غداءنا الشهى - الذى كان للأخ هانى دوره الواضح فى نوعية اختياره للأصناف التى طرحت على مائدة الغداء بأسلوب اتسم بالمستوى المتفوق فى الطهى والإعداد للاستمتاع بنوعية الطعام - قام الأخ إبراهيم بالاستفسار من الصديق هانى عما إذا كان لديه مشاغل بعد ظهر اليوم نفسه، ولما وجد لديه وقت فراغ ، طالبه فوراً - ومن خلال أسلوب الصداقة الذى يربطهما - بأن يُعد نفسه ليصاحبنا بعد الغداء لنتناول الشاى والقهوة فى الكازينو المعروف بموقعه الممتاز وهدوئه ، مستطرداً بأننى سأكون سعيداً إذا ما تمكنت من معرفة رأيه فى كثير من الأوضاع، وأحوال الجالية العربية فى شيلى، وبدون تردد وجدت الأستاذ /هانى يبدى استعداده للإسهام بكل جهده فى تقديم أى خدمة وفى أى وقت؛ لأنه يعلم - وبكل ثقة - أن حضورى من القاهرة إلى سنتياجو لا شك أنه من أجل خير كبير، ومصلحة كل من الجمهورية العربية المتحدة وشيلى.

وما أن تم الغداء حتى قمنا ثلاثتنا بواسطة سيارة السكرتير /إبراهيم؛ ليصطحبنا إلى كازينو حيث الموقع الهادئ والضيافة الممتازة للمترددين عليه، ووصلنا إليه لنجد أعداداً وفيرة من زبائن الكازينو تستمتع بالجو والمنظر المحيط بالكازينو، وقام السيد هانى باختيار موقع مرتفع فى جانب الكازينو، بعيداً عن زحام رواد الكازينو؛ لنجلس فى جلسة راحة وهدوء.

الوضع فى شيلى كما يراه عضو مهم من عرب المهجر :

ما أن استرحنا فى جلستنا الطيبة بكازينو « سان برناردو » المريح حتى بادرنى الصديق الجديد لى «هانى عمور» ؛ ليطرح على السؤال التالى : هل أخطأت التقدير والفهم إذا ذكرت لحضرتك أن الرئيس عبد الناصر أرسلك إلى بلدنا الجديد؛ ليطمئن على أوضاعنا الاجتماعية كمهاجرين عرب استوطنا وطناً جديداً بـ « شيلى » بعد مواجهتنا لمختلف صور الكبت والظلم والإذلال على يد الاستعمار العثمانى بدايةً، ثم الاستعمار البريطانى بعد الحرب العالمية الأولى، وحلوله محل الأتراك تحت ستار وضع الفلسطينيين تحت الانتداب البريطانى، وبعد أن أصدرت بريطانيا وعد بلفور البغيض ومن ثم استجلبوا لفلسطين اليهود المقوتين فى جميع أنحاء العالم؛ ليمكنوهم من طردنا من أرض بلادنا بمساعدة بريطانيا ... ليمكنوا من أتموا إعدادهم وتدريبهم من يهود شرق أوروبا وغربها وأمريكا من احتلال أرضنا المقدسة الطاهرة تدريجياً، حتى تمكنوا - بعد الحرب الضروس التى شنوها على أجيالنا السالفة -من اغتصاب كل أراضينا بكل خداع واغتصاب وسرقة، بمعاونة الإنجليز، إلى أن تقرر إنهاء الانتداب البريطانى على فلسطين؛ لينزلوا العلم

البريطانى ويرفعوا بدلاً منه العلم الإسرائيلى، وليبدأ من حافظ على وجوده ووطنه من الشعب الفلسطينى فى مواجهة صورة مقيتة من الظلم والقهر والعدوان طوال السنوات الخمسين الأخيرة، وليعيش الشعب الفلسطينى مرحلة الضياع الكامل على يد الإجرام الإسرائيلى بكل صوره وأطماعه وعدوانه المستمر بلا توقف حتى وقتنا هذا، حتى أرسل لنا الخالق الرئيس جمال عبد الناصر رجل التحرير والإطاحة بكل صور الاستعمار؛ ليخلص الأمة العربية من كل العناصر المتربصة بشعبها العربى صاحب القومية العربية، وحامى الدين الإسلامى الحنيف، والشعوب التى دانت بالإسلام وبكل رسالات السماء بلا أطماع أو عدوان أو قهر . وهنا أحب أن أشيد بآخر ما وصلنا من انتصارات جمال عبد الناصر، يوم أن أقام الوحدة بين مصر وسوريا فى العام الماضى، وأعلنها فى أول فبراير عام١٩٥٨ ، ذلك التاريخ الذى لا ينسى وحفظناه عن ظهر قلب؛ آملين وداعين الله العلى القدير أن يكلل لجمال عبد الناصر انتصاراته؛ ليجمع شمل الأمة العربية فى دولة عربية واحدة كفيلة بتأديب كل الطامعين فى خيرات وثروات أمتنا العربية المجيدة.

علمت على الفور وبعد سماعى لكل ذلك التحليل الصادق، القائم على عمق الفهم الحقيقى والدراسة الكاملة لتاريخ الوطن العربى والأمة العربية، وتطورات ما واجهته طوال المائة سنة الماضية من أطماع استعمارية واستنزاف لخيراتها، وما عاناه الشعب العربى على اتساع الساحة العربية من المحيط الأطلسى إلى الخليج العربى ، واستطردت فى تعليقى؛ لأُثنى على كل ما طرحه الأخ هانى مهنئاً إياه بعمق دراسته لأوضاع وطنه الأم ، واستيعابه الكامل للتفاصيل، مطالباً إياه بأننى إن كنت حضرت إلى شيلى مندوباً وممثلاً للرئيس جمال عبد الناصر فإن كل أبناء الأخوة عرب المهجر قد ألموا بموقف وطنهم الأم بنفس حقائق ما سمعت، فالوطن العربى بخير والمستقبل القريب كفيل بتحقيق كل ما نطمح ونتطلع إلى تحقيقه من أهداف سامية، خاصة أننى كما فهمت أن الارتباط الأخوى والأسرى الذى يربط الأخوة الفلسطينيين بالسلطات والمواطنين الشيليين على أحسن ما يكون، من الصدق وطيب التعامل المتبادل، وبمعنى أصدق أن الأخوة العرب الفلسطينيين امتزجوا فى ولائهم بوطنهم الجديد شيلى بكل صدق وإيمان وإخلاص، وقد ظهرت نتيجة هذه الصفات فى جميع مجالات النشاط السياسى والاقتصادى والاجتماعى خلال العشرين سنة الأخيرة.

واستطردت فى حديثى؛ لأوضح للصديق هانى أن ما يهمنى هو الدراسة والإلمام بأوضاع شئون ونظام حياة الجالية العربية بتفاصيلها الكاملة، مع التركيز بالدرجة الأولى على انعكاس موقفها على وضعها وسط مواطنى شيلى فى النواحى التالية :

أ ـ مدى التوفيق الذى حققه جميع العاملين من أبناء المهاجرين الفلسطينيين العاملين في مجال التجارة المباشرة أو مفرداتها، سواء أكان في احتياجات المعيشة ، ولوازم الحياة الإنسانية في المأكل والمشرب أو العمل في جميع مستلزمات الصناعة، خاصة أننى قد قرأت فى بعض ما كتب من أبحاث عن موقف المهاجرين بشيلى من نجاحهم في إنشاء جميع المصانع المنتجة لمستلزمات الحياة ، وأن الجالية اليهودية التى هاجرت تحت ضغط هتلر من ألمانيا إلى دول أمريكا اللاتينية تستحوذ على جميع إنتاج المصانع بشيلى، والأرجنتين، والبرازيل؛ لتقوم بترويج بيعها إلى مختلف الأسواق؛ لتحكم سيطرتها على جميع الإنتاج ثم يتم تصديره إلى الأسواق الخارجية واستغلال مكاسبها من تلك التجارة لتمول جميع الأنشطة الصهيونية، وبالذات في إسرائيل ضد العرب.

ب ـ الشئون الاقتصادية ومدى ما حققه الإخوة قادة الاقتصاد العربى بجمهورية شيلى من نجاح وتعاون في مساندة السلطات الشيلية؛ للمحافظ على قدرة الاقتصاد الشيلى فى مواجهة الالتزامات الداخلية والخارجية لشعب شيلى، بما يحقق أهداف السلطات الشيلية المسئولة ويسعد جماهير الشعب الشيلى.

جـ ـ قرأت مؤخراً في دراسة اقتصادية عن شيلى أن لديكم ثلاثة بنوك رئيسية في العاصمة سنتياجو، اثنان منها يملكهما عرب المهجر الفلسطينيون، والبنك الثالث يملكه شخص يهودى بالاشتراك مع بعض اليهود الذين هاجروا من أوروبا وألمانيا إلى شيلى، وكونوا جالية يهودية ليست فى حجم تعداد الجالية المهاجرة إلى الأرجنتين، والتى تضم نصف مليون يعملون في جميع الأنشطة التجارية، وإن كان أغلبهم يدير نوادى القمار وتجارة النساء، كما نشر بالدراسة أن البنك اليهودى بشيلى يركز كل نشاطه فى تمويل الحكومة أو مشترواتها الخارجية والداخلية، بهدف السيطرة على اقتصاد شيلى.

...ـع الثقافى ، وإلى أى حد تحقق لأبناء المهجر العربى ما ينشده أبناؤنا من الجيل الجديد، وتطلعهم إلى الارتفاع بمستواهم الثقافى إلى أفضل ما يتمناه الفرد من رقى وعلو.

هـ ـ تحظى جمهورية شيلى باكتشاف معدن النحاس فى أراضيها ، الأمر الذى يفتح أمام حكوماتها المجال للاستفادة بهذا المعدن في إقامة المصانع المتخصصة؛ لتطوير صناعته من المعدن الخام إلى مختلف نوعيات والتزامات صناعة النحاس، بما

يحقق لشيلى رصيداً من الثروة التى تغطى احتياجات جماهير الشعب الشيلى؛ للتمتع بالحياة الكريمة المنشودة.

وظل الأخ هانى يستمع إلىَّ باهتمام كبير ويقظة واضحة، بعد أن أخرج نوتة صغيرة من جيبه؛ ليدون بها بعض اهتماماته، وما أن توقفت عن طرح كل ما هو مطلوب منه حتى وجدته يزودنى بنوتة صغيرة موضحاً أنه سوف يذكر بعض الأسماء لأفراد ولبنوك ولمصانع وبلاد وحتى لا تغيب عنى الأسماء المنطوقة باللغة الأسبانية وجد أنه من الأفضل أن أدونها بالنوتة.

وقبل أن يبدأ فى الرد على مطالبى بدأ بالتعليق الأول على استفساراتى واستيضاحى لجميع المطالب، قائلاً : إن تسلسل طرحى للموضوع والتركيز الواضح فى استيضاح انعكاس النشاط المذكور على الجالية الفلسطينية فى جميع نواحى المجالات المطلوب الاستفهام عن نشاط جاليتنا فيه ، لا شك أنه يحقق الأهداف السامية التى كلفك الرئيس عبد الناصر أن تستوعبها؛ ليطمئن على وضعنا فى المهجر وحياتنا وما حققناه من نجاح فى اكتساب ثقة مواطنى البلد التى هاجرنا إليها، وبالطبع ستقوم حضرتك بالاستعلام والاستفسار نفسه عن إخواننا السوريين واللبنانيين فى الأرجنتين والبرازيل، وبكل تأكيد لم يقصر الرئيس عبد الناصر فى التفكير والاهتمام - الذى نقدره وسيقدره إخواننا المهاجرون - بجميع دول أمريكا اللاتينية.

وهكذا كشف لنا جميعاً الرئيس عبد الناصر الأب الفاضل ومعدنه الحقيقى وأسلوبه الكريم فى إرسال ممثله الشخصى لدراسة موقفنا وحالنا وأسلوب علاقتنا بمسئولى وجماهير الشعب الذى اخترنا أرضه؛ لنتخذها وطناً جديداً ثانياً لنا ، ومن ثم يكون قد طمأن ما تبقى من أهلنا وأسرنا على أرض الوطن الأم، فيا له من زعيم عظيم، أب كريم، قائد لا يقصر فى رعاية شعبه وإخوانه وجماهيره التى تعزه وتقدره.

وانطلق هانى بداية بالإشارة إلى أننا نعيش حاضرنا الذى يعاصره جميع سكان العالم فى أى مكان على سطح الكرة الأرضية، ويهمنى بداية أن أوضح للأخ محمد فتحى أننى- وبحمد الله وتوفيقه - على علاقة صداقة بالأخوين مديرى البنكين العربيين بسنتياجو، وهما السيد /عدنان الراوى مدير البنك العربى، والسيد /شامل السعدى مدير البنك العربى الثانى ، ونظراً لأهمية لقاء حضرتك بهما فى تقديرى؛ لأنهما لا شك سيغطيان الإجابة على استفسارك عن مهمة ودور البنكين فى خدمة الاقتصاد الشيلى ، إلى جانب

دعم موقف وقدرات الجالية العربية فى مختلف مجالات التحرك الاقتصادى على أرض شيلى وطننا الثانى.

وأعتقد - بل كلى ثقة - أن جلسة حضرتك مع مديرى البنكين معاً ستكون لها أبعادها المهمة المفيدة فى معرفة جميع نشاطات البنك اليهودى، وصاحبه المدعو « شامير شابو » وهو من أصل ألمانى وخبيث جداً، وطبيعى أن دراسة موقف هذا البنك ، ومناقشة نشاطه فى مختلف المجالات وتدخله فى ترويج بيع إنتاج مصنعى البنكين العربيين، سيوصلكم إلى اتخاذ قرار مفيد وإيجابى لمصلحة البنكين، ويرفع من سمعتهما لدى السلطات الشيلية. وما أن سمع موافقتى الفورية على إتمام اللقاء حتى قام ليستخدم تليفون الكازينو فى الاتصال بالمديرين الاثنين، ويحدد معهما موعد اللقاء مساء يوم 16 يوليو بالنادى المشتركين فيه فى الساعة الخامسة ، وذكر أنه سيمر علىَّ هو وإبراهيم لاصطحابى فى الساعة الرابعة والنصف ليتم اللقاء بالمديرين فى النادى.

ثم عاد هانى ليجلس ويستطرد فى حديثه؛ ليخطرنى بأن الحالة الاجتماعية لجميع أسر المهجر - على اختلاف أعمالهم فى أى مجال سياسى أو صناعى أو تجارى أو ثقافى أو اقتصادى، والمتولون مهام وظيفية فى أى مصلحة من مصالح الحكومة - ليتمتعون بحياة كريمة هادئة مستقرة فى يسر بعيداً عن أى أزمات اجتماعية أو مهنية؛ ويرجع كل ذلك إلى ما ذكرته حضرتك فى إطار دراساتك وقراءاتك عن جمهورية شيلى وعرب المهجر بها، وانسجام التعامل بينهم وبين مواطنى شيلى، ونجاحنا كجالية متفهمة لمطالب هجرتها من حسن التعامل، وانتهاج السلامة والمحبة مع مواطنى شيلى والحمد لله.

إلى جانب التفاهم المتبادل بين الأسر المهاجرة من فلسطين مع مواطنى شيلى، ورباطة الجأش، الصفة المميّزة لأبناء الجالية التى تحكمها تقاليد وأعراف الوطن الأم، والارتباط العميق بالقيم الدينية كمسلمين ومسيحيين على السواء.

أما بخصوص ما يتعلق بجميع الأنشطة التجارية لتبادل مختلف الواردات من خارج شيلى ، والصادرات من شيلى إلى الدول المجاورة أو المرتبطة بعلاقات تجارية وتستورد معدن النحاس أو مصنوعاته، فيقوم بعض الأخوة من أبناء الجالية الفلسطينية بتولى عملية الاستيراد والتصدير بصفة مستديمة، ما لم تؤمم بعيداً عن التعامل التجارى الخاص، ليكون فى إطار الاتفاقيات الحكومية .وهنا لا أنكر أن البنك اليهودى يلعب دوراً فى استغلال بعض الأنشطة فى هذا المجال بتأييد ودفع من جانب الحكومة الأمريكية لمصلحة عناصر وشخصيات مرتبطة مباشرة بمصالح الولايات المتحدة فى شيلى.

أما بالنسبة لمجال الثقافة فهو أمر من اختصاص السلطات الحكومية الشيلية وتحت سيطرتها المباشرة، باعتبارها تتعلق بكيان المجتمع الشيلى ولمصلحة جماهير الشعب، بما يحققه من رفع مستوى التعليم، سواء فيما يخص رجال التعليم أو أبناء جماهير الشعب المتعلمين على أيديهم، عدا بعض التجمعات الثقافية المعروفة بمراكز الثقافة الأجنبية، التى يشرف عليها ويصرف على التزاماتها بعض مؤسسات أمريكية أو أجنبية أخرى؛ بهدف نشر اللغات الأجنبية غير الأسبانية.

المجتمع الشيلى بطبيعته مجتمع نشأ على أرض بلده، ومرت عليه عهود متتالية من المستثمرين والمنتفعين والمستفيدين من استخدامهم أرض شيلى؛ لاستغلالها لمصلحة وجودهم واستثمارهم لخيرات البلاد بكل ما يفيدهم كتجار رُحّل أو مستوطنين لفترات طويلة، وإن كان معظمهم من أصحاب السفن الشراعية الذين استوطنوا معظم أراضى أمريكا اللاتينية فى الزمن القديم حينما كان القراصنة هم المسيطرين على البحار والمحيطات ، ولما كان معظم هؤلاء المستوطنين من أصل أسبانى - أصبحت لغة كل دول أمريكا اللاتينية - عدا البرازيل - هى اللغة الأسبانية، أما البرازيل - فبحكم منشأ من استوطنوها وكانوا برتغاليين - فأصبحت لغتها البرتغالية.

المجتمع الشيلى بحكم نشأته وتقاليد هذه النشأة الأسبانية ملتزم ببناء كيان الأسرة الجديدة من البداية على التوافق الكامل فى المستوى المعيشى والثقافى ، باعتباره أصغر كيان فى بناء الدولة، بالإضافة إلى اقتناع الطرفين بوحدة مصلحتهما، مما جعل العلاقة بين أبناء مواطنى شيلى علاقة مستديمة، لا تخضع لأى هزات أو أطماع غريبة.

ومن هنا كان رباط المحبة والتقدير وتبادل التعامل السليم فى الصداقة ما بين الأسرة الشيلية وأسرة أبناء عرب المهجر علاقة مميزة ، الأمر الذى أتاح الفرصة لأن يتربى أبناء الأسرتين الشيلية والعربية فى إطار من المحبة الأخوية، والتقدير المتبادل؛ مما فتح مجال الارتباط بين طرفى الزواج المتبادل بين الابن العربى والابنة الشيلية، لعدم معارضة الدين الإسلامى لذلك، والدين المسيحى من ناحية الشيليين فى تقبل هذا الوضع؛ باعتبار أن الطرفين يدينان برسالات السماء.

لقد آثرت أن أترك مجال العمل السياسى فى نهاية شرحى لموقف الجالية العربية؛ نظراً لما للنشاط السياسى من أهمية كبرى تؤثر بشكل قوى وفعال على الوضع العام لموقف الجالية العربية وقدرتها على التحرك فى جميع مجالات النشاط على مختلف مجالات

الحياة، على اتساع أرض شيلى بداية، ثم الانتقال إلى التأثير الإيجابى لفتح مجالات التحرك الفعال خارج حدود الأرض الشيلية : بما يتواكب مع مصالح التأثير والتأثر بالقدرة على تحقيق كل ما يعود بالخير والفائدة على مصالح جماهير الشعب الشيلى فى مختلف مجالات الحركة المفيدة القائمة على مدى فعالية النشاط السياسى على الساحة الداخلية لدولة شيلى، وقدرة الشخصيات القائمة على التخطيط وإدارة النشاط السياسى الإيجابى المحقق لمصالح جماهير الشعب بصورة مستمرة.

وانطلاقاً من تفهمنا العميق لأهمية مساهمتنا فى الدور المتزن الجاد على المسرح السياسى وسط جماهير وسلطات الشعب الشيلى، لم نتردد كجالية عربية تمثل تجمعاً شعبياً يمارس نشاطه الكبير على جميع مجالات التحرك السياسى الإيجابى؛ لكى يدعم كل الأنشطة السياسية باحتياجاتها المثمرة فى دفع قدرات العمل الإيجابى المستمر المطلوب والمفيد، خاصة فى دعم جميع القوى السياسية ذات القدرة على قيادة وإدارة العمل السياسى، ومساندة جميع الشخصيات السياسية التى تتحمل مسئوليات السلطة التنفيذية وأعضاء الحكومة المؤمنين بحق الشعب فى تحقيق آماله فى الحياة الحرة الكريمة ، وبحمد الله وتوفيقه تمكنا من توثيق علاقاتنا - كجالية مهاجرة استوطنت شيلى- بجميع القيادات السياسية والوطنية المرموقة، الذين يقدرهم الشعب ويعضدهم عن اقتناع وعمق وإيمان.

وبعد إتمام سرد الأخ هانى لشرحه المستفيض والشامل السابق ذكره وتفسيره لكامل خطوات مسيرة جالية عرب المهجر الفلسطينيين ذات الغالبية فى تعداد جالية عرب مهجر شيلى - قدمت له جزيل شكرى وتقديرى لما أوضحه من معلومات مهمة ومفيدة، ستكون موضع اهتمام واطمئنان الرئيس عبد الناصر على حقيقة الحياة الممتازة التى يعيشونها فى شيلى، وهو أمر سيسعده كثيراً، ولن يدخر وسعاً فى تقديم كل ما تطلبونه من مساعدات واهتمام؛ بهدف ربطكم بالوطن الأم، ووضعكم باستمرار فى الصورة، لما يدور على أرض الوطن العربى الكبير بصفة مستمرة.

واتفقت مع الأخ «هانى عمور» على مصاحبته فى مساء الغد - حسب الاتفاق - للقاء الأخوين مديرى البنكين العربيين ثم عدنا بسيارة الأخ إبراهيم ليوصلنا إلى مقارنا ، ومكثت بغرفتى بالفندق لأستجمع كل ما دار بيننا من حديث مهم وشامل، ولأبدأ التفكير فيما سأطرحه من أفكار وآراء فى اجتماعى مع مديرى البنكين بعد أن أتممت تشفير خلاصة ما جمعته من معلومات وحقائق مهمة ومفيدة.

* * *

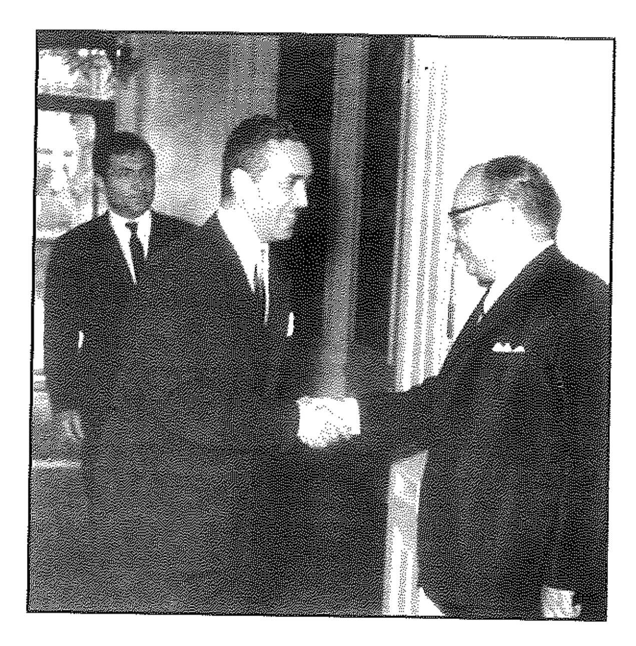
الفصل الثالث

لقاء مديري البنكين العربيين

قمت فى صباح يوم ١٦ يوليو بالمرور على مكاتب سفارة الجمهورية العربية المتحدة؛ لتحية كل العاملين بها من مصر وسوريا، والاطمئنان على سعادتهم بالعمل معاً بعد إتمام الوحدة بين البلدين، الأمر الذى كان له أحسن الوقع فى نفوس الجميع، وتقديرهم لاهتمامى بالاطمئنان على شئونهم ونظام معيشتهم ، ثم قمت بالمرور على المحال التجارية المملوكة لأعضاء الجالية العربية؛ للاطلاع على وضعها العام فى السوق التجارية ونوعية وأصناف البضائع المعروضة، وأسلوب تعاملهم التجارى مع جماهير الشعب الشيلى .كما مررت على مقر البنوك الرئيسية، وبالذات العربية؛ لمعرفة أوضاعها كمؤسسة اقتصادية لها وزنها على الوضع التجارى فى أى مدينة، وقد سرنى كثيراً أن أميز الفرق الواضح بين الوضع الكامل لمظهر وأسلوب تعامل المحال التجارية العربية، وتميز المظهر فى الاختيار لموقع البنكين وأسلوب التصميم والبناء للبنكين . وفى طريق عودتى مترجلاً للفندق تناولت وجبة الغداء بأحد المطاعم الشيلية القريبة من الفندق، وقد أعجبنى نوعية الطعام وأسلوب طهيه وكذلك تقديمه لرواد المطعم.

وفى الرابعة والنصف مساءً حضر الأخ هانى بسيارته ليصطحبنى معه إلى النادى الخاص بهم؛ لألتقى بالأخوين « عدنان الراوى » ، شامل «السعدى» مديرى البنكين اللذين قام هانى بتعريفى عليهما، ليبديا سعادتهما بلقائى، خاصة بعد ما سمعاه من الأخ هانى عن شخصى ، وطبيعة عملى كمندوب للزعيم العربى الكبير جمال عبد الناصر، والهدف الرئيسى من حضورى للالتقاء بكل جاليات عرب المهجر فى الدول التى اختاروها لتكون بلادهم وموطنهم الثانى الجديد ، وما أن أتممنا هذا اللقاء حتى جلسنا؛ ليقوم كل منا

بعرض رأيه عما تركه إتمام الوحدة السورية - المصرية فى نفوس محيط أسرته، وما ينتظره جميع أبناء عرب المهجر من اتساع دائرة دولة الوحدة العربية، لتضم جميع الدول العربية من المحيط إلى الخليج ، ومن تركيا شمالاً إلى حدود السودان جنوباً، وما يحمله إعلان هذه الوحدة من سرور وسعادة عمت كل مجتمعاتنا العربية وجماهير شعوب الدول التى اخترناها موطناً ثانياً لنا، واحتفاءهم بنا كما لو أن هذه الوحدة قد شملتهم معنا.



لقاء السيد/ فتحى الديب بمديرى البنكين العربيين

وبادر الصديق هانى على الفور؛ ليطرح على الأخوين عدنان وشامل الهدف الرئيسى من اجتماعنا، خاصة بعد تحقيق هذا اللقاء الأخوى المعبر عن صدق النيات ليقول إن الأخ « محمد فتحى » حضر ممثلاً للرئيس عبد الناصر كما قلت فى البداية لأهداف نبيلة ؛ جاء ليعود حاملاً كل ما يحقق الاطمئنان عن طيب وضع معيشتنا وسط أبناء مهجرنا، وقد زودته وزوده خيرة إخواننا فى المهجر بالكثير، فيما يتعلق بدورنا فى مختلف مجالات الحياة على أرض شيلى، وجميل تعاملنا، وما تتطلبه الهجرة من اهتمامات فى السلوك والتعامل الأسرى والوطنى ، وبحمد الله جاءت الصورة فى تقدير الأخ « محمد فتحى » نموذجاً فوق الممتاز، الأمر الذى أثلج صدره بالسرور والسعادة، وبقى أن يستوفى صورة عمل البنكين العربيين فى مختلف المجالات الاقتصادية وانعكاس ذلك على دورهما فى

دعم الاقتصاد الشيلى فى مختلف أنشطة التعامل الاقتصادى والتجارى ، ودعم قدرات جميع المتعاملين معهما من مختلف أنحاء البلاد، والشخصيات القيادية لجميع فروع الحياة لجماهير الشعب الشيلى.

وبأسلوب مهذب بدأ السيد / عدنان ليوضح لى أن كلا البنكين العربيين يتعاملان اقتصادياً فى الاختصاص نفسه، وانطلاقاً من خطة اقتصادية وضعت للتنفيذ بكل دقة بمعرفة مجلس إدارة كل بنك، وتكاد تكون متطابقة فى خطوطها العريضة، بما يتفق والتأكيد المستمر على عدم الإخلال بأسلوب التعامل فى جميع نواحى وأنشطة المسارات الاقتصادية والتجارية، بما يرفع من قيمة البنك وسمعته البنكية، ويحقق الربح المتزن بما يسمح برفع قيمة رأسمال البنك وتحقيق عائد يتفق وأهداف وتطلعات البنك الاقتصادية.

وهنا توقف الأخ عدنان؛ ليطلب من زميله الأخ شامل السعدى عما إذا كان كل ما طرحه من شرح وتفسير يخالف موقف البنك العربى الذى يديره ، وجاء الرد ليقول المدير شامل: فى الواقع أنا لو تكلمت سأكرر ما ذكره الأخ عدنان طبق الأصل، لأننا ملتزمون بتنفيذ خطتى البنكين بكل بنودها، وبلا أى اختلاف؛ لأن هدفنا واحد وعملنا واحد بالنسبة لأن كل بنك منا يتبعه مصنع كبير ينتج إنتاجاً واحداً؛ بهدف تغطية احتياجات السوق المحلية وكل من بنكينا يقوم بالإشراف الاقتصادى والتعامل مع المصنع المرتبط بالبنك المشرف عليه فيما يتعلق باستيراد لوازمه؛ لتشغيل المادة الخام المستخدمة لنسجها بالنسبة لأقمشة الملابس القطنية والصوفية ومن ثم تصنيعها لتصدر خارج المصنع كملابس وليس كأقمشة وكذلك بالنسبة للصوف الخام.



شافعى عبد الله عمور – مدير مصنع الغزل
والنسيج ومستلزمات تجهيز الملابس

وما أن سمعت الأخ شامل يشرح عملية النسج والتشغيل للقطن والصوف فى المصنع المرتبط ببنكه، ووجود نسخة طبق الأصل لبنك المدير عدنان، حتى طلبت منهما أن يخبرانى هل كلا المصنعين يعملان لنسج وإنتاج العينات نفسها من الملابس؟ وإذا كان الأمر كذلك فما هو سبب لجوئهما إلى هذا الأسلوب؟ ولمَ لا يتم التوسع فى استخدام أحد المصنعين ليزداد إنتاجه لتغطية احتياجات الجماهير مع قيام البنك الثانى بتشغيل مصنع جديد يختص بإنتاج أى صناعات أخرى تحتاجها السوق الشيلية؟ خاصة أن لديهم معدن النحاس الخام ويمكن أن ينتجوا العديد من متطلبات الأسواق من مشغولات النحاس، وفى الوقت نفسه أتوجه بسؤالى التالى إلى الأخوين عدنان وشامل ، لماذا الإصرار على الإبقاء على وجود بنكين عربيين، علماً بأن المتعارف عليه دولياً واقتصادياً أن دمج البنكين فى صلب رأسمال واحد لبنك واحد رأسماله كبير مع فتح فروع صغيرة منتشرة فى العاصمة أو مختلف الولايات سيعتبر مركزاً لنشاط جديد يحقق فوائد جديدة، مما يرفع فى النهاية قيمة رأس المال؟ ثم استطردت موضحاً أن اليهود المعروفين باختصاصهم فى البنوك أنشأوا بنكاً واحداً بسنتياجو، معتبرينه مصدر الحصول على الأموال اللازمة ليصدروها لإسرائيل؛ للصرف على حروبهم، ولسد احتياجات هذه الدولة التى تعيش على ما تحصل عليه من تبرعات مالية من مختلف تجمعات اليهود المنتشرة فى العالم.

وجاء رد الأخوين عدنان وشامل ليوضحا أن السبب الرئيسى فى وجود بنكين هو تنوع شخصية المساهمين فى رأس المال ، الغالبية فلسطينيون، والفئة الثانية سوريون ولبنانيون وكل مساهم يصر على بقاء الوضع على حاله . علماً بأننا كاقتصاديين نتفق على أن ما طرحته هو الرأى الأصح.

وهنا سألتهما سؤالاً مباشراً اننا بلغنا فى القاهرة أن البنك اليهودى الذى يرأسه « شامير شابو » تمكن - بعد تأسيسه بسنتياجو بمساعدة مسئولى الولايات المتحدة الأمريكية - من إقناع السلطات الشيلية بالتعامل الرسمى مع البنك اليهودى، بالإضافة إلى أن « شامير شابو » أقنع بعض المستثمرين لأموالهم ببنكيكما بأن يشترى إنتاج مصانع البنكين ويقوم هو بترويجه بمعرفة البنك اليهودى داخل وخارج شيلى، وتفادياً لعدم إحراجهما أخبرتهما بأننى لا أخبرهما بما علمت به لأى غرض خاص، بل هو مجرد محاولة لمعرفة الحقائق، خاصة أنكم كمهاجرين بشيلى لم تقصروا فى مد يد المعونة للعديد من الشخصيات الرسمية الشيلية فى دعمهم وتأييدهم فى الانتخابات، حتى وصلوا لكراسى الحكم بتشجيعكم وتأييدكم .وعموماً ما أثرته فى شأن توحيد البنكين هو أمر

أتحدث فيه مع أخوة عرب، أقدر وأكبر ما يقومون به من جهود لمساندة موقف مصر فى الأمم المتحدة والمجتمعات الدولية عن طريق التدخل الأخوى مع مسئولى شيلى، وبالذات الوقوف إلى جانب القضية الفلسطينية فى هيئة الأمم المتحدة ضد العدوان الإسرائيلى.

واتجهت إلى تغيير مسار الحديث؛ لأستمع إلى رأى المديرين فى موقفهم من استيراد القطن، ومن أى جهة يستوردون حالياً مشيراً إلى أن الأرجنتين تستورد القطن المصرى. وكثيراً من البضائع؛ نظير أننا نستورد منهم اللحوم البقرية حية أو مذبوحة، بالإضافة إلى تبادل الكثير من الأنشطة الثقافية.

واختتمت كلامى بالتركيز على الأهمية الكبرى التى يوليها الرئيس عبد الناصر لدعم كل وسائل الارتباط المباشر ما بين عرب المهجر ووطنهم الأم، باعتبار أن هذا الرباط لا يمكن التقليل من أهميته وآثاره الكبيرة على مختلف الأنشطة السياسية والاجتماعية والاقتصادية فى عالمنا الجديد، وفى مواجهة مؤامرات الدول الساعية للسيطرة على مقدرات العالم وثرواته لحسابها الخاص.

تبادلنا عناوين إقامتنا داعياً الأصدقاء الثلاثة : هانى، وعدنان، وشامل لزيارتنا بالقاهرة؛ أملاً فى توثيق علاقتنا بهم.

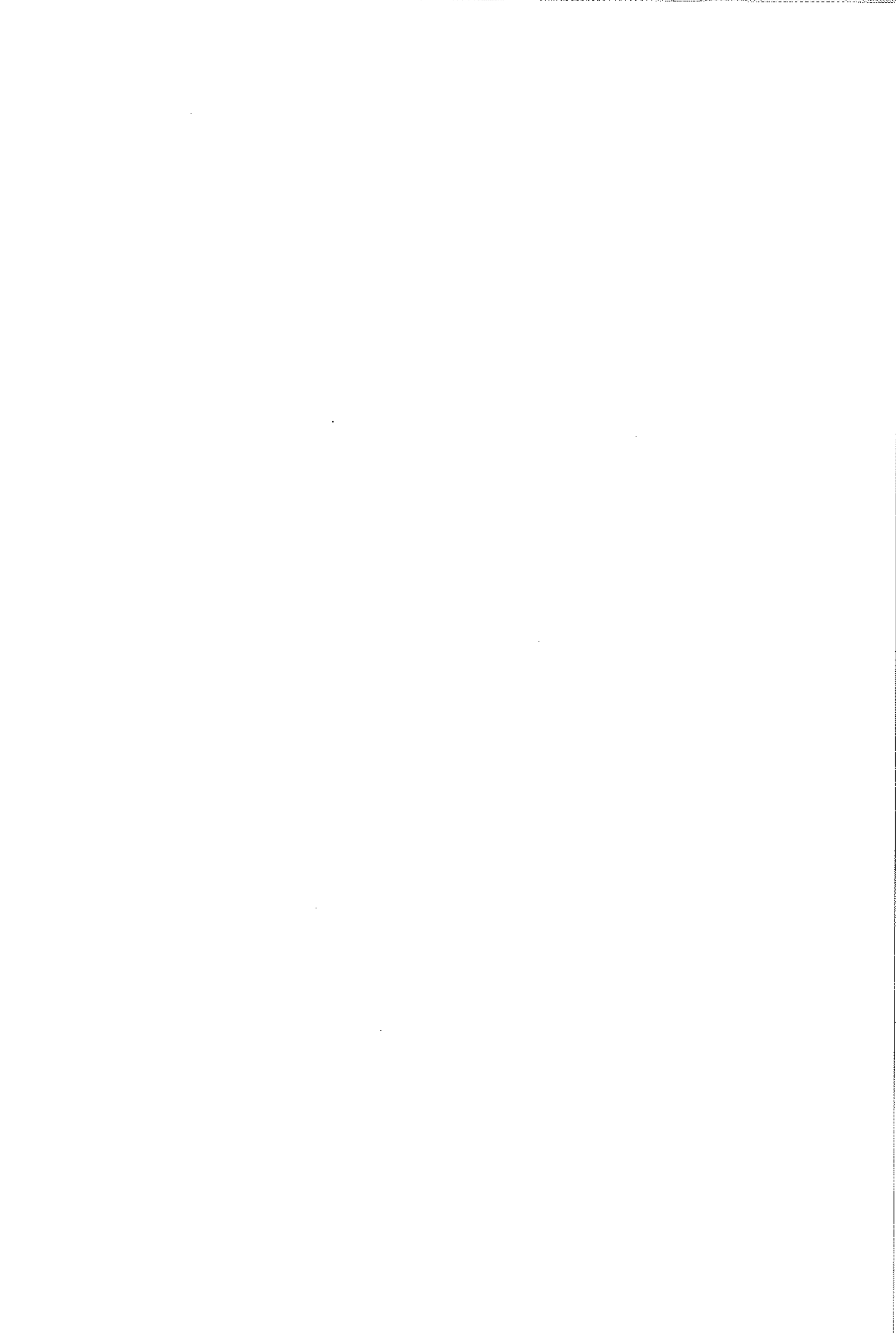
وقمت لأودعهم متمنياً لهم السعادة والصحة؛ نظراً لسفرى صباح الغد إلى بيونس أيرس عاصمة الأرجنتين ، وصحبنى الأخ « هانى عمور » إلى الفندق، لأودعه وأشكره وأبلغه تقديرى الكامل لما بذله من جهود لمصلحة إتمام مهمتى بصورة ممتازة بفضل معاونته، ومنتظراً زيارته لى بالقاهرة؛ لنسعد به.

وفى صباح يوم ١٧ يوليو صحبنى الأخ السكرتير إبراهيم إلى مطار سنتياجو؛ لأستقل طائرة الساعة العاشرة صباحاً المتجهة إلى بيونس أيرس، شاكراً إياه؛ لمعاونته طوال إقامتى بشيلى.



الباب الخامس

اللقاء الثاني
بـ «عرب المهجر» في الأرجنتين

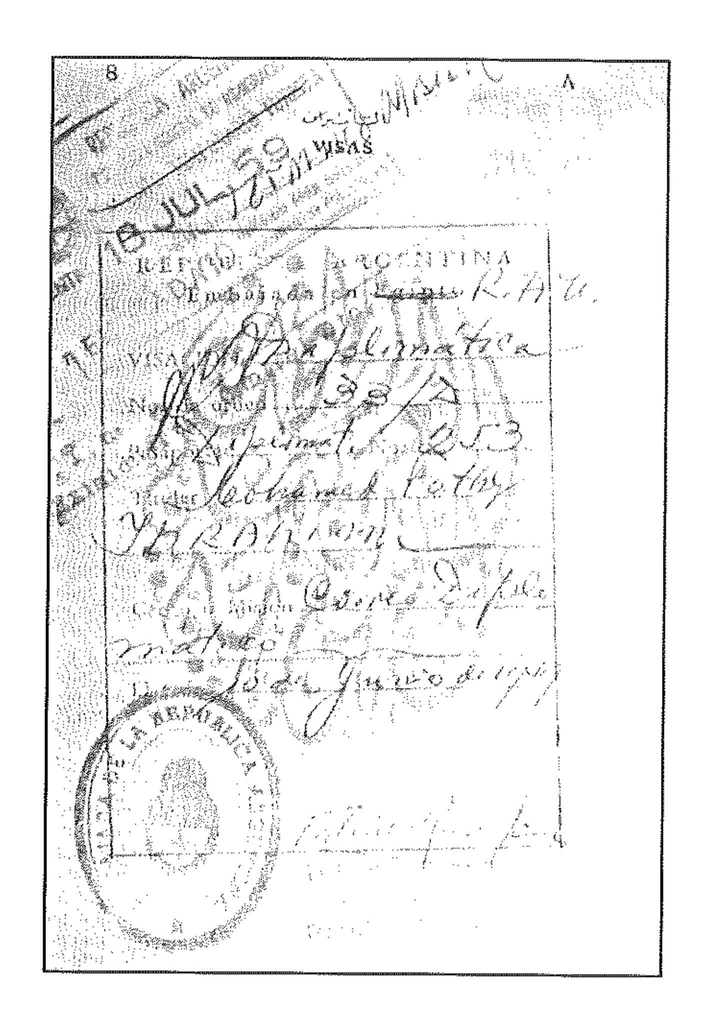


الفصل الأول

الوصول إلى « بيونس أيرس »

وصلت إلى مطار « بيونس أيرس » فى تمام الثانية من بعد ظهر يوم ١٧ يوليو ١٩٥٩ ، لأجد الأخ العميد « محمد أبو اليسر الأنصارى » الملحق العسكرى بالأرجنتين ، وشيلى ، وأوروجواى فى انتظارى بالمطار وبصحبته سكرتير السفارة ، وبعد إتمام إجراءات الوصول إلى المطار اصطحبنى الأخ الزميل السابق فى الجيش أبو اليسر - وبعد ترحيبه الحار بوصولى إلى الأرجنتين - إلى الفندق الذى تم الحجز لى به ، لأشكر سكرتير السفارة على معاونته لى بالمطار ، وطلبت منه العودة إلى السفارة على أن يكون مستعداً لمرافقتى صباح اليوم التالى ؛ لبدء العمل فى مهمتى . وظل معى الأخ أبو اليسر؛ لنتناول الغداء معاً؛ ولأستفيد من بقائه معى فى إيضاح تفاصيل مهمتى له ومحاولة الاستفادة من جميع اتصالاته ومعلوماته فى تكييف أسلوب التحرك .لأُتم تفاصيل مهمتى على الوجه الأكمل ، وتفادياً لضياع وقت طويل لا داعى له ولا يخدم المصلحة العامة التى حضرت لأحققها.

وما أن انفرد بى الأخ الزميل أبو اليسر حتى وجدته إلى حد كبير متفهماً لطبيعة مهمتى ، بعد أن وصله خطاب سرى عن طريق قائد المخابرات الحربية بالقاهرة بتعليمات ، ليضع كل إمكانياته فى تسهيل جميع الخطوات المطلوب الالتزام بها فى دعم التسهيلات الممكنة مع جميع السلطات الأرجنتينية بعيداً عن تدخل أى جهات أو شخصيات خارجية لا



صورة رقم ٢٠

دخل لها بالعلاقة ما بين دولة الوحدة العربية مصر وسوريا ، والسلطات الأرجنتينية العسكرية والمدنية.

وهنا اتفقت مع الزميل أبو اليسر لإعطائى صورة واضحة بكل ما لديه من معلومات عن حالة وأوضاع الجالية العربية على أرض الأرجنتين، سواء أكانت سورية أو لبنانية هذا من ناحية ، ومن ناحية أخرى يهمنى أن أُلم بكل ما يتعلق بالجالية اليهودية من نشاط فى مختلف المجالات السياسية والاقتصادية والثقافية على أرض الأرجنتين ، بالإضافة إلى ما يتعلق بموقفهم - أى موقف الجالية اليهودية - من جميع إخواننا العرب المهاجرين والمستوطنين لأرض الأرجنتين، بالإضافة إلى الأعداد الموجودة منهم على أرض أوروجواى التى لا تبعد أكثر من ٥٠٠ كيلو متر -كما أعلم - عن البر الثانى من خليج مياه المحيط الأطلسى، الذى يربط ما بين أوروجواى والأرجنتين لأنه - وفى حدود ما وصل إلى علمى -هناك ارتباط كبير ما بين مواطنى « بيونس أيرس » عاصمة الأرجنتين،" ومونت فيديو» عاصمة أوروجواى، وعلاقات وطيدة وتفاهم مصلحى بين مواطنى البلدين على جميع أنشطة التعامل.

وأحب أن استوضح من أخى وزميلى عن وضع السفارة المصرية، بمعنى أصح سفارة دولة الوحدة، التى يرأسها - حسب معلوماتى والتعليمات المعطاة لى - السيد السفير/ إبراهيم الأسطوانى، الموجود حالياً فى أجازة فى دمشق، وفى الوقت نفسه هل لدى الإخوة العاملين فى السفارة ما يمكنهم من الإلمام والمعاونة فى إعطاء تفاصيل كاملة عن الأنشطة التى يقومون بها أم ستكون هى المعلومات نفسها التى زودتنى بها ؟

ومن الطبيعى ألا أورطك وأشغلك؛ لتحصيل معلومات بلا مبرر، طالما أن هناك من يمكنه إمدادنا بها .ثم انتقلت إلى موضوع آخر وهو طبيعة تكوين الجالية العربية فى « بيونس أيرس » على النحو التالى.

خلال الزيارة الأخيرة للرئيس جمال عبد الناصر إلى سوريا - قبل حضورى فى مهمتى هذه بثلاثة أشهر - التقى بالسيد /نور الدين كحالة - نائب رئيس الجمهورية للإقليم السورى لدولة الوحدة - وحينما علم بأن الرئيس عبد الناصر كلفنى بالاستعداد للسفر للاجتماع بجميع عرب المهجر بأمريكا اللاتينية، وجدته بعد أن أتم لقاءه بالرئيس عبد الناصر يصطحبنى لأجلس معه بمكتبه، ويخبرنى بأنه سعيد بهذه السفرة إلى دول المهجر؛ لما سيكون لها من آثار ممتازة على مستقبل الأوضاع لجماهير عرب المهجر من ناحية، وانعكاس تأثير هذه الزيارة والارتباط ما بين الدولة المضيفة للمهاجرين والوطن



وصول السيد / فتحي الديب إلى مطار بيونس أيرس

على طائرة T.W.A

الأم من علاقات تفاهم وترابط وتبادل، لتعامل قائم على الثقة والفهم العميق، لما تتطلبه تلك العلاقات من فهم سليم وتقدير واع يخدم المصلحة العامة لكلا الدولتين.

وهنا سألنى، هل لى معرفة سابقة بشخصيات من عرب المهجر؟ فذكرت له أن هذه مهمة جديدة من بدايتها تتطلب التعارف ، وهنا ذكر لى أنه يسعده أن يعلمنى بأن أخاه- فى حكم الواقع وابن عمه بحكم القرابة المدعو رفعت كحالة - هو كبير شخصيات الجالية السورية بالأرجنتين، وعلى علاقة قوية ومتينة بجميع أبناء سوريا المستوطنين منذ هجرتهم إلى الأرجنتين، ولرئيس الجالية رفعت أفضال أخوية عليهم، مما ترتب عليه أن نشأت الجالية السورية الحالية بالأرجنتين نشأة أسرة واحدة، يربطهم رباط أسرى واحد، وكان لهذا الرباط آثاره الكبيرة فى دعم علاقتهم بالسلطات الأرجنتينية، الحكام منهم والعاملين فى مختلف النشاطات التجارية والسياسية والثقافية والاجتماعية.

وترتب على هذه الثقة المتبادلة بين عرب المهجر السوريين ومواطنى الأرجنتين إتمام تآلف يفوق التصور العادى؛ ونتيجة طبيعية للترابط الاجتماعى ونشأة أبناء شخصيات وأسر عرب المهجر على أرض الأرجنتين نشأة عربية إسبانية اندمج أبناؤنا مع أبناء الأرجنتين منذ الصغر، وبالتالى تطور هذا الاندماج من خلال الثقافة الواحدة والمعاهد والكليات الواحدة إلى وصول أبنائنا إلى قمة السلطة، فمن بين أبنائنا الآن وزير الطيران، ووزراء لجميع الأنشطة، لا فرق بين أرجنتينى وعربى.

وما أن سمعت تفاصيل سرد الأخ نور الدين كحالة حتى اطمأن قلبى، وسعُدت بما ينتظرنى من توفيق مهمتى، التى سمعت ما يؤهلها لتكون بداية طيبة نافعة من العلاقة الجديدة بين الوطن المضيف والوطن الأم.

واستمع لى الأخ الملحق العسكرى بانتباه شديد وبدت ملامح وجهه يعلوها السعادة والسرور، وما أن توقفت بعد ذكرى لكلام السيد نائب رئيس الجمهورية للإقليم السورى هذا حتى بادرنى الزميل أبو اليسر بقوله : « لقد كان حديث السيد /نور الدين كحالة صادق مائة فى المائة وتعبيراً واقعياً عما نُحِس به نحن كمصريين من عرب المهجر وتصرفاتهم معنا، مما يجعلنى أقول لك ستسمع منى ما يبهجك ويريح ضميرك . إنك قائم بمهمة قومية وطنية، كلها أخُوة كأسرة واحدة اضطرتها الظروف أن توزع نفسها على قطعتى أرض تملكهما، فآثرت أن تربطهما برباط واحد هو حب الوطن الجديد والوطن الأم» واستطرد حديثه ليقول : «نه واثق كل الثقة بأن السيد /رفعت كحالة - عميد الجالية السورية » ببيونس أيرس « ذلك الرجل المقتدر الطيب الخلق والمحبب إلى نفوس إخوانه السوريين واللبنانيين أيضاً، لا شك قد وصله من ابن عمه « نور الدين كحالة » خطاب

تفصيلى بمهمتك واسمك ودورك، وما هو مطلوب منك أن تقوم به، وبمجرد ما يصل إلى علمه خبر وصولك إلى «بيونس أيرس» سترى من سيحضر للقائك بالفندق ويستدعيك بدعوة من «رفعت كحالة»: لزيارته فى قصره الذهبى المظهر الواقعى فى حياته اليومية ومع ضيوفه من جميع أنحاء الوطن العربى، لا يقبل أن يستضيف أحدهم دون أن يقدم له طعامه فى الآنية الذهبية، وليأكل بالملاعق والشوك والسكاكين والأطباق الذهبية، معتبراً فى تصوره أن أسلوبه هذا هو تكريم لا يمكن أن يتنازل عنه تقديراً واحتراماً وإجلالاً لرباط الاخوة العربية، بعيداً عن كل صور المظهرية والزهو والتفاخر على الغير، بما لا يحق ولا يقبله لا دينه ولا أهله ولا أسرته ولا صداقته » .

واستطرد الأخ « أبو اليسر» فى حديثه؛ ليشير إلى أن الجالية العربية التى استوطنت الأرجنتين مع الجالية السورية هى الجالية اللبنانية، وهذه الجالية بطبيعتها تميل إلى عدم الخروج عن التعايش فى قطاع التجمع اللبنانى، وعدم الخروج عن التقاليد اللبنانية، وبالذات فيما يتعلق بالتعصب الدينى والعقائدى، وكثيراً ما انحسرت ارتباطاتهم فى الالتزام بعصبية الاندماج فى الإقامة وفى الحياة فى إطار أبناء أى محافظة مهاجرين منها، والتى انعكست حتى فى إنشائهم لنواديهم الاجتماعية والترفيهية، لنجد أن كل أسرة مرتبطة بناد تطلق عليه اسم المحافظة التى جاءت منها، مثل : نادى بيروت ، أو طرابلس ، أو صيدا ... الخ ، الأمر الذى وجدناه مع إخواننا السوريين، لتصل إليهم عدوى التعصب للمحافظات، وبدأنا نرى إنشاء نواد جديدة للجالية السورية، متفرقة على أسماء عواصم محافظات سوريا ، مثل : نادى حمص، نادى حماه، نادى اللاذقية، ونادى دمشق ... الخ.

ورغم كل هذه التناقضات التى تبرز فى كيان مجتمع عرب المهجر فى الأرجنتين إلا أننا - كمصريين - وجدنا من بعض أبناء الجالية السورية أو اللبنانية الإقدام على اتخاذ إجراءات أو أعمال ممتازة تخدم مصلحة مجموع الجالية بلا تمييز بين مصرى وسورى ولبنانى، فعلى سبيل المثال، قام الدكتور حداد - وهو سورى الأصل يُحضر معه أثناء هجرته من سوريا إلى الأرجنتين ابنه وابن أخيه ممن درسوا الطب فى سوريا وأكملوا دراستهم فى فرنسا كما أكملها هو سابقاً، استقر وضعه فى « بيونس أيرس » -بإنشاء مستشفى متكامل التجهيز لعلاج جميع الأمراض، واستعان بأطباء آخرين ليساعدوه ، منهم أرجنتينيون ومنهم من تعلم فى البداية واستكمل تعليمه على يده وزملائه من كبار الأطباء، وحصل على درجة الاختصاص الطبى من الجامعة الأرجنتينية، مما أدى إلى نجاح فكرة إقامة المستشفى الذى أصبح غير قاصر على علاج عائلات عرب المهجر، بل واستقبل كل من لجأ إليه .مما أعطى سمعة طيبة لدى مواطنى الأرجنتين على جميع مستوياتهم ومن ثم أضاف الكثير لدعم حسن التعامل من جانب مواطنى الأرجنتين مع عرب المهجر

وبادرت على الفور بشكر الأخ أبو اليسر -الملحق العسكرى- على ما حصلت عليه من معلومات فى هذه الجلسة، وسعادتى لأهميتها، طالباً منه تحديد الموعد الثانى لاستكمال جميع الجوانب التى يرى أنه لن يُجهد فى تزويدى بها قبل أن أنطلق فى بداية تنفيذ خطوات الاتصال المباشر بجميع الجهات؛ للإلمام بما تبقى من معلومات تستكمل الصورة الكاملة لجميع الأنشطة التى أشرت إليها فى البداية والمطلوب تضمينها تقريرى الذى سأرفعه إلى الرئيس جمال عبد الناصر، بعد أن أكون وفقت فى تقديم جميع الحلول والآراء الصالحة كما أتصورها، بما يفيد تصحيح جميع نواقص الوعى الكامل بأهمية وضرورة الإعداد الجيد المتفق عليه بلا تعال أو إجبار من أى طرف من أطراف العاملين فى مجال تنفيذ الخطة المقترحة؛ لتهيئة الجو العام فى نطاق وعلى اتساع دائرة انتشار عرب المهجر بِكلا انتمائها لسوريا ولبنان بالصورة المأمولة.



الدكتور حداد صاحب مستشفى بيونس أيرس العربى
مع لفيف من عائلته الأطباء المساهمين معه فى تلك
المستشفى وإدارتها طبياً بالأرجنتين

وتم الاتفاق على تأجيل الاجتماع الثانى مع الأخ الملحق العسكرى إلى الساعة العاشرة من صباح الغد ١٨ يوليو ١٩٥٩، ليتم بمكتب الزميل أبو اليسر؛ لاستكمال حصولى على ما تبقى لديه من معلومات وحقائق وتفسير العديد من التناقضات

المسيطرة على مسيرة تحرك حياة مجتمع عرب المهجر، والمؤثرة على انطلاقهم فى الحياة وسط جماهير ومواطنى الأرجنتين، وفى جميع أوجه النشاط التى يعيشها الشعب الأرجنتينى بكل طبقاته، وليحقق تطلعاتهم فى الحياة الكريمة المرجوة.

وصباح يوم ١٨ يوليو استيقظت مبكراً لتناول إفطارى بالفندق فى السابعة صباحاً، لأُغادره للقيام برياضتى المفضلة السير مترجلاً فى محيط الحدائق المحيطة بالفندق لمدة نصف ساعة ، ثم عدت للفندق فى الساعة التاسعة صباحاً؛ لأستبدل ثيابى وأستقل سيارة تاكسى للالتقاء بالأخ / محمد أبو اليسر الأنصارى - الملحق العسكرى - بمكتبه؛ لنواصل الاستكمال والإلمام بجميع ما هو مطلوب، لاستجماع الصورة التفصيلية للوضع الكامل لحياة جاليات الإخوة عرب المهجر بالأرجنتين.

ووصلت مبنى مكتب الملحق العسكرى لأجده فى انتظارى، وقد أتم إعداد دوسيه كامل يضم جميع ما يمكن أن يزودنى به من معلومات وحقائق كفيلة بتمكيننا من تغطية كل ما كلفنى الرئيس جمال عبد الناصر بتجميعه من معلومات ودراسات شاملة وتفصيلية؛ لتكييف الوضع الحقيقى والكامل لكيان ونشاط وارتباط وأسلوب حياة ومعيشة الإخوة عرب المهجر بالأرجنتين.

الفصل الثاني

نوعية تعامل الجاليات العربية مع الأصدقاء وفي مواجهة الأعداء

عاجلنى الأخ أبو اليسر بمجرد مصافحتى له، ليصطحبنى إلى مكتبه؛ ليبلغنى بأننى سعيد الحظ لأنه وجد لديه عدة تقارير كان قد أعدها لإرسالها إلى القاهرة، تشمل الكثير من المعلومات والأخبار الدقيقة التى تمكن من جمعها بتفاصيلها للإجابة على سلسلة من الأسئلة والاستفسارات التى طلبتها قيادة المخابرات الحربية، لاحتياجهم إليها منذ نحو ثمانية أشهر، وكنت على وشك إرسالها بالحقيبة، بعد استكمال بعض الإجابات التى أتممنا الحصول عليها مؤخراً، وحمداً لله العلى القدير أنك وصلت لتجدها جاهزة للاستعانة بها فى تغطية طلبات الرئيس عبد الناصر.

وسوف أوضح لك كل ما يتعلق بالجالية اليهودية الصهيونية المستوطنة فى الأرجنتين فيما يلى :

أ - تحرص الصهيونية العالمية كل الحرص على تدريب الشباب اليهودى بالذات تدريباً عسكرياً خلال زيارات دورية تنظمها لهم « الكيبوتزيم» على أرض إسرائيل، وهم يشكلون قوام جيوش ضخمة من المتطوعين.

ب - تشكل الجاليات اليهودية بالأرجنتين معقل الجاليات اليهودية بأمريكا اللاتينية، الأضخم حجماً وتعدادها نصف مليون نسمة، بالإضافة إلى أنها الأقوى نفوذاً، وقوامها الأثرياء من يهود ألمانيا، الذين فتح أمامهم هتلر باب الهجرة حين سيطر على الحكم ، الأمر الذى يكشف كذب الدعاية الصهيونية التى تدعى أن هتلر شن على اليهود حملة

كبيرة للتخلص من شبابهم وقياداتهم بالقتل الجماعى فى سنوات حكمه الأولى . والحقيقة تؤكد أنه فتح لهم الأبواب الألمانية على مصاريعها حينذاك، أما من أختار منهم البقاء عن رغبة أو سعياً وراء هدف أو غرض فترك لهم الحبل على مصراعيه، إلى أن تخلص منهم بعد اكتشاف خداعهم وسلبهم ونهبهم وإدانتهم فى الكثير من جرائم الغش والدعارة والاختلاس.

جـ - لاحظ الرئيس الأرجنتينى رئيس الجمهورية « فرونديزى » على يهود الأرجنتين حين اختطفوا « إيخمان » أنهم يشكلون دولة داخل الدولة، بل جهازاً خطيراً تغلغل إلى أدق كيانات وأجهزة الدولة وسيطر عليها من الداخل.

د - كما تبين لرئيس الجمهورية أن أجهزة الأمن الأرجنتينية هى الوحيدة التى قاوم رجالها ذلك التغلغل اليهودى، وأصبح نجاح وتوفيق جهاز الأمن الأرجنتينى يكاد لا يمر بهم يوم دون أن يضعوا أيديهم على عصابة تهريب أو وكر للتغرير بالفتيات القصر أو اكتشاف لصوص منهم يتلاعبون مالياً تحت ستار تصفية أعمال أو إعلانات إفلاس مختلفة، أو أن يقعوا على شبكات ابتزاز قوامها « بلطجة » أو أندية ميسر مرفهة أنيقة، ورؤوس الشر فيها جميعاً يهود أو واجهات تتستر من خلفها عصابات يهود.

هـ - كعادة اليهود وحرصهم المستمر على تمكين اللوبى اليهودى بأمريكا ليلعب دوره المستمر فى جميع دول العالم؛ بهدف إتاحة الفرصة للجالية اليهودية المستوطنة جميع الدول ذات المستوى الدولى بما لها من كيان وقدرات ذات تأثير كبير على الدول المحيطة بها، والمرتبطة بها سياسياً أو اقتصادياً، حتى يتسرب العنصر الصهيونى إلى داخل كيان السلطة القيادية لتلك الدولة، ليصبح لأمريكا موطئ قدم داخل السلطة السياسية لهذه الدولة، للسيطرة على مجلس الوزراء، ومن ثم استغلال أى أزمة اقتصادية لتفرض أمريكا - ومعها زبانية اليهود المغرضون - على الحكم شخصية عميلة لهم، دعموا إلى مكانتها بقرض ضخم أو ملايين الدولارات، ومن ثم تختل موازين الدول المنهوبة؛ ليحركها اللوبى اليهودى مع أمريكا؛ لتنفيذ جميع أهدافهم فى السيطرة على مقادير وكيان الدولة التى غدروا بها.

واكتشفت -بعد جهد ليس بسيطاً -أن رئيس الجالية الصهيونية بـ«الأرجنتين » والمتحكم فى مقدراتها وحركتها من وإلى «بيونس أيرس» هو «موديبرتو لوفيلد مان» ، وهو فى ظاهره شخصية يبدو عليها الطمأنينة، والقدرة على اجتذاب الغير أو الصديق أو القريب إلى أهدافه كزميل فى أسلوب كله خداع ، ومكر، ودهاء ، الأمر الذى

كان له تأثيره الواضح حينما بدأ اتصاله بشخصى هو وزوجته للتعرف علىَّ واكتسابى كصديق مصرى مر فى زيارة بـ «الأرجنتين»، خاصة أن أهداف مرورى التقطها من أصدقائه من عرب المهجر، حينما تساءل عن شخصيتى وحقيقة أسباب مرورى عليهم بـ «الأرجنتين»، الأمر الذى كان له الدفعة القوية فى إبداء اهتمامه الكبير بشخصى، ومحاولة توثيق الصلات بى، وخبثه فى إعطاء نفسه اسماً واحداً من أسمائه؛ لعدم كشف جنسيته بالاسم البعيد عن كل الأسماء المتعارف عليها، والتى تنتهى بلفظ «مان» فكان منذ بداية تعريفه بنفسه مودبيرتو؛ لإيحائه لى بأنه اسم لاتينى من أبناء الأرجنتين، إلا أننى انتابنى كثير من الشك، انطلاقاً من حرصى فى تعاملى مع الأشخاص الذين لا أثق فيهم، ومن خلال اتصاله المستمر بى تمكنت من الحصول على اسمه بالكامل، حينما اطلعت على رخصة قيادته لسيارته، وهنا زاد شكى، واحتطت إلا أن هذا الحذر الشديد لم أتركه يتملك كل حركتى؛ حتى أحصل على كل ما أهدف إليه من معرفتى بتفاصيل حياته، وعمله، ودوره فى المجتمع الأرجنتينى فى بيونس أيرس، خاصة بعد أن علمت من كثير من أصدقائه أنه يمتلك مزرعة غريبة فى تكوينها، وفى أسلوب التعامل مع ضيوفه داخلها، وبعد الوصول إليها فى ضواحى «بيونس أيرس» على بعد حوالى ٤٠ كيلو متراً ومساحتها نحو مائة فدان، المزرعة مزودة بجميع أنواع الفاكهة والخضراوات المشهورة والمطلوبة للغذاء الصحى المفيد، ويوجد بها أحسن أصناف الحيوانات، كالخيول العربية الممتازة للركوب والسباق، والخيول الاسترالية الصالحة للاستخدام فى جميع احتياجات المزارع وأيضاً) الكمية ليست بسيطة، (كمية وفيرة من الغزال الشهير بلحومه الممتازة والمطلوبة للغذاء الفاخر، أنواع عديدة من المواشى من النوعيات الممتازة من الأبقار، والخراف، العديد من الطيور كالبط، والأوز والأرانب بالإضافة إلى جميع نوعيات الدواجن الممتازة، وبعض النعام المستخدم للتربية والذبح للغذاء.

ويتوسط المزرعة قطار يضم عربتى سكة حديد، إحداهما مستخدمة كصالون للنزهة داخل المزرعة يستغله صاحب المزرعة فى ضيافة الشخصيات المهمة التى يرغب فى دعم علاقاته بهم؛ ليسير القطار بالضيوف طوال تناولهم طعام الغذاء وقت سير القطار داخل المزرعة؛ للتمتع بالمناظر الجميلة، والاستمتاع برؤية محتوياتها، كما فهمت من جميع من التقى بى واكتسبوا إليه كصديق ممن لم يعرفوا عن حقيقة جنسيته شيئاً، الأمر الذى دفعه إلى الاستمرار فى أسلوبه المتخفى وراء مظهره العام كشخصية لها وزنها فى المجتمع الأرجنتينى، ووسط السلطات الأرجنتينية، باعتباره من كبار الملاك والشخصيات المهمة ببيونس أيرس، إلا أننى بدأت أشعر خاصة عندما تزايدت اتصالاته بى بأنه يهدف إلى

الحصول على شيء ما لديّ، ويهمه أن يُلم به، الأمر الذي دفعه إلى استضافة العديد من الاخوة عرب المهجر ودعوتي بصفة مستمرة لأكون معهم في حلقة الاجتماعات المستمرة، وبحمد الله وتوفيقه وبصورة مفاجئة فلت بلسانه لفظ « أنه يتمنى أن يعرف رأينا في دولة إسرائيل وموقفنا من وجودها في وسط الأمة العربية ، وهل لهذا تأثير على موقفنا إذا تعرف وتصادق مع أحد أبناء إسرائيل » ؟

وهنا واجهته مباشرة قبل مغادرتي الأرجنتين في طريقي إلى البرازيل بأنني أشعر منذ البداية بحقيقة جنسيته ، وتأكدي من ارتباطه الكامل في عمله وصداقاته ، وأبحاثه ، واستنتاجاته ، وأسئلته من جميع عرب المهجر ومن يزورهم من أبناء الأمة العربية أنه يحاول بكل الطرق أن يتغلغل إلى وسط المحيط العربي؛ ليستكمل معرفة نيات، وأهداف ، وخطط الأمة العربية في مواجهة المدعوة إسرائيل ، وكما أمكنني أنا أيضاً أن أتأكد من حقيقة نياته خاصة فيما يقوم به حالياً من الإشراف وقيادة عملية التدريب الكاملة عسكرياً وسياسياً ، وذاتياً لمصلحة إمداد إسرائيل بقوات مدربة ضد الشعب العربي في فلسطين، ورغم ذلك فإنني لم أتخذ أي موقف معاد له، مشيراً إلى أن كل أساليب الإساءة إلى كيان الأمة العربية أمر لن يفيد لا إسرائيل ولا أمريكا بالصورة التي يتوقعونها وأنتهزها فرصة مناسبة لأطلب منه إخطار مسئوليه بألا يستمروا في أسلوبهم ، وخططهم التي ستقضي على كل أمل في إمكانية إقامتهم في الوطن العربي بـ « الشرق الأوسط » .

القوات المسلحة الأرجنتينية وعرب المهجر :

يقيم السنيور « فروندیزی » رئيس الجمهورية حالياً بقصر « لاكازا روسادا » البيت الوردي - المقر الرسمي لرئيس الجمهورية - وعلاقته طيبة مع الجيش الأرجنتيني ، ذلك الجيش الذي يعتبر دائماً القوة الحقيقية وراء الحكم ولا يزال ، رغم بعض الانقسامات العنيفة التي تمزقه والتي كادت تؤدي بالبلاد إلى الحرب الأهلية في بعض الظروف ، وكما هو معروف كان ينقسم الجيش في الأزمات على نفسه إلى « زُرق حُمر» ولكن هؤلاء ليسوا صفات شيوعية، بل إن البعض يعتبرهم يمينيين متزمتين ، وهي تسميات يستعيرونها من الأعلام التي ترفع في لعبة المناورات.

وهناك تنظيمات سرية تمتد بخلاياها إلى أدق الخبايا أهمها جماعتان: «التنين الأخضر» و«الغوريلا » ، هذا بالإضافة إلى « شلل » في القوات الجوية ملتفة حول أفراد متناحرة فيما بينها قد تنجح إحداها - وإن لم تكن الأقوى عدداً - في فرض رأيها خلال الأزمات لمجرد أنها سارعت فأمسكت بزمام المبادرة ، بالنسبة لمواضيع معينة ، لم تثر لسبب أو

آخر اهتمام زميلاتها - أو بالأحرى غريماتها - فهى حينئذ لا تبالى إلا أن المهم الذى يجمعهم آخر الأمر هو بغضهم للحركة «البيرونية»، أو هلع يصيبهم إذا ما لوح لهم النفوذ الأمريكى المتغلغل باحتمالات خطر شيوعى مزعوم فيما يظهر من اتجاهات تقدمية هنا أو هناك، أو حتى حين تبزغ نوازع إلى إصلاحات اجتماعية.

ومن خلفهم جميعاً كتلة من ضباط البحرية، لا يتحركون - رغم حساسيتهم «المشتعلة» -إلا بحساب وفى الوقت المناسب وهو ما حدث عام ١٩٥٥ حين أقلع الأميرال « روخاس » بسفينة حرب قديمة من مدينة « ماردل بلاتا » على مئات الأميال من العاصمة وميناءها، فذعر الرئيس بيرون ، وتم عزل مراكز ثورة القوات البرية، تمهيداً للقضاء عليها، وهرع مهرولاً لاجئاً سياسياً إلى سفارة البراجواى.

واختتم الأخ أبو اليسر تقريره المركز عن القوات المسلحة الأرجنتينية، ليشير إلى التحرك الجديد من جانب الولايات المتحدة الأمريكية، لمحاولة إقناع السلطات الأرجنتينية بأهمية فتح أبواب مشاركتها فى تمويل القوات المسلحة الأرجنتينية بالأسلحة والمعدات الحربية الأمريكية وتزويدها بالطائرات الحربية الأمريكية النفاثة؛ لتحل محل المملكة البريطانية؛ منتهزة فرصة اصطدام إنجلترا والأرجنتين بشأن الصراع على الجزيرة الأرجنتينية « فوركلاند»، وعرضهم عرضاً كبيراً للقيام بإعداد وتدريب القوات المسلحة للأرجنتين عسكرياً بمعرفة هيئة أمريكية عسكرية من أحسن الضباط الأمريكيين ذوى القدرة والكفاءة الشهيرة عالمياً والمشهود بتفوقها.

وإن كانوا قد كسبوا إلى جانبهم بعض الوزراء الجدد، إلا أن جماهير الشعب بجميع طوائفها رفضت هذا المشروع الذى كان حينذاك تحت الدراسة؛ نظراً للوضع الخاص الذى يثقل كاهل الحكومة الأرجنتينية بمسئولية تأمين الأمن الداخلى فى الأرجنتين على اتساع مساحة أراضيها، وتعدد الجنسيات التى هاجرت إلى الأرجنتين منذ أوائل القرن العشرين وفى منتصف القرن، بلجوء معظم من رَحَلهَم هتلر من ألمانيا بعد سيطرته على الحكم إليها، ومن ثم استوطن جميع من هاجروا إلى الأرجنتين كوطن جديد لهم، وبالتالى تزايد عدد سكان الدولة بأكثر من عشرين مليون نسمة جديدة، وبذلك أصبح عبء السيطرة على جهاز الأمن بعد تزايد أعداده وتدريب أعضاء الجهاز على جميع وسائل ومعدات وأسلحة الأمن يتطلب ميزانية كبيرة؛ لتغطية احتياجاتها وللنجاح فى تحمل مسئولياته بتفوق.

وطبيعى أن يترتب على تحمل جهاز الأمن لمسئولياته لضمان تأمين المواطنين وحماية

الأمن الداخلى للدولة فى كل مجالات نشاطها والتصدى لأى تدخل أو عدوان خارجى، انتهاج جميع الجاليات المهاجرة والمغتربة أسلوباً فى نظام معيشتها وتعاملها مع مواطنى الأرجنتين، بما يحقق تضامن الجميع فى إطار من المحبة والتقدير لجميع أجهزة الدولة المسئولة عن إدارة دفة الحكم، بما يخدم المصلحة العامة لجميع المواطنين.

وأبلغنى الزميل أبو اليسر أن السيد /رفعت كحالة - عميد الجالية السورية - المهاجرة أرسل مندوباً عنه لدعوتى؛ للاجتماع به وأنه سيكون سعيداً إذا تكرمت بزيارته بمنزله غداً فى الحادية عشرة صباحاً، فوافقت على قبول الدعوة . ووعدنى بالاتصال به تليفونياً بعد إتمام عمله معى، وانتهز فرصة ختام جلستنا ليبلغ رسالة القبول للسيد /رفعت كحالة.

الفصل الثالث

لقاء عميد الجالية السورية

صحبنى الأخ الملحق العسكرى - بعد جلستنا بمكتبه ظهر يوم ١٨ يوليو ١٩٥٩ للمرور على مكاتب سفارة الجمهورية العربية المتحدة؛ للتعرف على أعضاء السفارة والإلمام بالوضع العام للسفارة، وتمت الزيارة ليتم تعرفى على جميع الإخوة العاملين بها فى جميع الاختصاصات الدبلوماسية والتجارية والثقافية.

وحين وجدت أن السفير /إبراهيم الأسطوانى - السورى الأصل - فى أجازة، وسافر إلى دمشق؛ لظروف خاصة به، بالإضافة إلى عدم وصول مستشار للسفارة - مصرى الجنسية - ليتعاون مع السفير، اتفقت مع ممثلى التخصص التجارى ، والتخصص الثقافى لإعداد ملخص فى حدود الممكن توفيره؛ لبيان الوضع العام للجالية السورية المهاجرة، والتى استوطنت الأرجنتين ، والصورة الواقعية لنشاطها وطبيعة عملها، وانعكاس ذلك على وضعها الاجتماعى والاقتصادى ، وأسلوب ونظام التعامل بين أعضاء الجالية السورية ومواطنى ومسئولى السلطة الأرجنتينية، وحددت لهم يوم ٢٠ يوليو للالتقاء بهم بمبنى السفارة فى العاشرة صباحاً، وتطوع السيد السكرتير التجارى /نبيل بدر الدين ليمر علىَّ فى الفندق فى العاشرة والنصف غداً؛ ليوصلنى لقصر السيد /رفعت كحالة.

وانتهزت فرصة عدم التزامى بعمل بعد ظهر اليوم نفسه؛ لتناول طعام الغداء بأحد المطاعم الشهيرة التى أوصانى بها رئيس استقبال الفندق، وما أن فرغت من تناول الطعام

حتى بدأت القيام بجولة استطلاعية بوسط" بيونس أيرس» ، الأمر الذى أتاح لى التعرف على كثير من معالم المدينة بكل ما وُزع من تماثيل ضخمة للشخصيات الرئيسية التى قامت بأعمال وطنية كانت محل تقدير وإعجاب وافتخار أبناء الدولة ، بالإضافة إلى اهتمام جميع السلطات التى تولت الحكم بعدم التقصير فى إعادة تنظيم العاصمة ، هذا ولم أنس إعجابى بالأسلوب المتبع فى إمداد جميع الطرق بالعناية الكاملة فى النظافة والتنظيم؛ لتسهيل حركة الشعب سائراً على قدميه أو مستقلاً المواصلات العامة والخاصة ، بالإضافة إلى الإشراف الجيد لشرطة المرور فى تنظيم حركة المركبات بأسلوب يجعلها تتحرك دون أن تشكل مصاعب أو عرقلة لمسيرة البشر . واكتفيت بالصورة التى حصلت عليها من جولتى هذه ، لأعود إلى الفندق؛ لاستكمل تسجيل ما حصلت عليه من معلومات ودراسات وتحليلات تفصيلية لأوضاع الجالية العربيّة ومتطلبات التقييم المطلوب لأوضاعهم.

صباح يوم ١٩ يوليو ١٩٥٩ حضر الأخ نبيل بدر الدين - السكرتير التجارى- واصطحبنى بسيارته إلى عمارة السيد « رفعت كحالة » -عميد الجالية السورية - ووجدت فى استقبالى أحد رجال السيد /رفعت كحالة ليصحبنى فى المصعد إلى أعلى دور فى العمارة ، ليستقبلنى الأخ المضيف بترحاب كبير ، مؤكداً سعادته الكبيرة لاستقبال ممثل جمال عبد الناصر الشخصى ، السيد محمد فتحى فى منزله ، الأمر الذى كان قد تمناه وتطلع إلى تحقيقه ، وبالذات بعد أن وصله خبر زيارتى المنتظرة للأرجنتين على لسان ابن عمه السيد /نور الدين كحالة - نائب رئيس الجمهورية العربية المتحدة للإقليم السورى- والذى أخبرنى من خلال خطابه بجميع تفاصيل مهمتى ، التى استمع إليها أثناء تلقين الرئيس جمال عبد الناصر لى ، وتفهم مما وصله بهذا الشأن ما أسعده كثيراً ، وأوضح له أن جمال عبد الناصر ليس بحاكم ككل الحكام ، ورئيس ككل الرؤساء ، بل هو أب وأخ ووالد ورجل بمعناها الكامل ، لا يعوقه أى ظرف من الظروف عن القيام بواجبه الوطنى القومى الذى لا يتأخر فى رعاية أسرته وأخوته وأبنائه وبناته جماهير وطنه؛ حتى يطمئن على حياتهم ومعيشتهم فى جو من السعادة والهناء ، جزاه الله عن كل تمنياته وتطلعاته وتعليماته القويمة بكل الخير والهناء.

واصطحبنى إلى صالونه الخاص؛ ليشير إلى حائط الصالون وأفاجأ ببرواز طوله متر ، وعرضه متران مصنوع من الخشب الأبنوس ، بداخله أوفرول مثبت داخل البرواز ومغطى بزجاج رقيق ، ليقول لى هذا هو لباسى الذى وضعت جسمى فيه وسرت على قدمى لأبيع ما حملته من قماش على أهالى قرى ريف الأرجنتين ، ثلاث سنوات لأعرض وأبيع وأعود لشراء كمية جديدة وهكذا كلما نفد القماش أعدت الدورة ، وإن اختلفت اتجاهات سيرى لأغطى جميع المناطق الريفية المحيطة بـ « بيونس أيرس » .

وبحمد الله وتوفيقه كلل الله مسعاى خلال السنوات الثلاث بالنجاح، ووفقت فى تدبير الكثير فى نظرى والقليل فى نظر الآخرين وانتقلت من البيع على القدم إلى البيع وأنا أمر بعربة، ثم تطورت الأمور إلى افتتاح محل مزود بكثير من البضائع التى تحتاجها جماهير الشعب، مثل جميع أنواع الصناعات الخفيفة المطلوبة لجماهير الشعب فى مساكنها وحياتها المعيشية اليومية، ثم تطورت للمشاركة فى تجارة المجمعات الكبيرة الشاملة لكل مستلزمات الحياة من مأكل ومشرب وملبس.

وهنا لن أنسى شعورى وأنا استمع لهذا المناضل الإنسان، كيف كانت سعادته وهو يروى لى مجرى حياته من الاحتياج المترتب على سوء معاملة الأتراك والاستعمار العثمانى، وما تبعه من استعمار فرنسى لسوريا، ليبنى حياته من جديد بجهد ونضال يستحق التقدير، ثم واصل السيد /رفعت حديثه فى شرح ما يترتب على إيمانه بعمله وإخلاصه فى مكسبه بعيداً عن أى أطماع شخصية، مما أكسبه ثقة كل من تعامل معه، وما ترتب على هذه الثقة من انفتاح فى نشاطه التجارى، ثم الدخول إلى التصنيع والإنتاج الصناعى، الذى يتم ترويجه، وليتطور كل هذا ليشترك كممول لرأسمال بنك الأرجنتين الوطنى، واتبع الأسلوب نفسه الصادق الأمين فى التعامل واكتساب الثقة، ليرتفع رصيد البنك من المستوى العادى للاستثمار، ليصبح مركزاً اقتصادياً على مستوى عال من رأس المال والقدرة الاقتصادية، حتى أصبح البنك الذى يمتلكه كممول لرأس المال مرجعاً إذا ما احتاجت الدولة إلى قرض أو تمويل لأحد المشروعات المهمة، وهو أمر جاء بالخير الكثير المنعكس على أبناء الجالية السورية المهاجرين إلى الأرجنتين.

واستطرد الأخ رفعت فى شرح الأسلوب الذى اتبعه مع جميع أبناء الجالية السورية الذين وصلوا إلى أرض الأرجنتين مهاجرين من الوطن الأم، ومن هنا وضع نظاماً لنفسه للقاء هؤلاء المهاجرين من الوطن الأم يتلخص فى :

أ- استقبال الفرد ليتم تزويده بأى كمية من البضائع حسب قدرته على حملها، أو تفهم أسلوب التعامل فى بيعها وشرائها كتاجر، أو العمل فى أى مكتب تجارى أو صناعى قادر على أن يستوعبه ويدربه على صناعة يمكن تأهيله فيها؛ لضمان قدرته على إنتاجها.

ب- جميع ما يتحمله الفرد المهاجر من مصاريف يقدمها السيد / رفعت كحالة إليه، على أن يتحمل هذا الفرد الذى تم تأهيله فى التجارة أو الصناعة أو العمل فى المحل التجارى - حين يصبح قادراً على مساعدة الغير - ليكون مسئولاً مسئولية مباشرة أمام السيد / رفعت عن تأهيل مهاجر جديد على نفقته بالأسلوب نفسه الذى أُتبع معَه.

وقد أفهمني السيد / عميد الجالية السورية أنه - ومن خلال هذا الأسلوب الذى اتبعه- نجح فى أن يكون مجموعة متكاملة من المهاجرين من الإقليم السورى، وصل تعدادها إلى مئات، وتضاعف إلى آلاف خلال الخمسين عاماً الأخيرة التى احتفل بإتمامها السنة الماضية؛ تكريماً لرباطهم به وبجميع الجالية السورية بالأرجنتين.

وما أن انتهينا من حديثنا حتى بادر الأخ المضيف بتنبيهى إلى أننا أطلنا الحديث لدرجة أننا نسينا أنفسنا، حتى وصلت بنا الساعة إلى الثانية من ظهر اليوم، طالباً منى مصاحبته إلى غرفة الطعام؛ لتناول الغداء معه، مُعرباً عن سعادته لحسن استماعى له ورودودى وتفاهمى معه، مؤكداً إننى نعم الصديق الواعى بمفاهيم الوطنية والقومية العربية، والمعبر تعبيراً دقيقاً وسليماً عن مفاهيم ورؤية الزعيم الرئيس جمال عبد الناصر .

وجلسنا على المائدة استعداداً لاستقبال الطعام ، وهنا وجدت نفسى فى محاولة تحليل وتبرير ما أراه على طاولة الطعام من أطباق ذهبية ومستلزمات وأوانى الطعام من شوك وملاعق وسكاكين من الذهب الخالص، وسرافيس فضية مُحلاة بالذهب، موضوعة على بوفيهات الغرفة على الجانبين مملوءة بجميع أنواع الفاكهة، والتى لا أعتقد أنها كلها إنتاج الأرجنتين .وبدأ النادل « السفرجى » بافتتاح الغداء بالحساء، وانسحب، وهنا لم أتمالك نفسى من توجيه السؤال التالى للسيد رفعت كحالة متسائلاً: أعتقد أن جميع الموجود على الطاولة من أوانى الطعام بكل أصنافها صناعة من الذهب الخالص، فهل هذا هو النظام المتبع فى الأرجنتين بالنسبة لكبار رجال الدولة ؟ وهل شراؤه واستعماله محدد وثابت كما هو متبع عندكم اليوم ؟ وجاء الرد عاجلاً: يا أخ محمد فتحى أحب أن أوضح لك أننى حينما آكل يومياً لا أستعمل الذهب الخالص هذا على الإطلاق، وإنما اشتريته وأستخدمه لإكرام الشخصيات التى نُجلها ونحترمها ونقدرها وليس لسبب آخر.

وهنا ذكرت له أننى أحقُه فى تفكيره وتبريره، لأننى أعلم أن هناك أُناساً - وإن كانوا قلائل - إلا أنهم يقدرون معاملة الغير لهم حسب تفكيرهم الخاص بما ذكرته فعلاً.

وتابعنا تناول الطعام الذى قُدم لنا على التوالى بأسلوب طيب ونوعيات من الأطباق السورية الممتازة طعماً وطهياً، ثم انتهى تقديم الطعام، ليقدم لنا نوع من الحلوى السورية الخالصة. ولنختتم طعام الغداء الممتاز بمجموعة الفواكه المتعددة الأصناف، والمستورد بعضها من مختلف مزارع دول أمريكا اللاتينية الشهيرة بإنتاجها، وانتقلنا إلى غرفة الصالون؛ لشرب فنجان القهوة التركى كالعادة المعروفة بسوريا الوطن الأم.

وتبادلنا الحديث فى كل ما يتعلق بأوضاع الجالية السورية بـ « بيونس أيرس »، وباقى أنحاء الأرجنتين، وجاءت الفرصة لأطرح سؤالى على الأخ رفعت كحالة بصفته عميد الجالية السورية لأستفسر منه عن دواعى لجوء الإخوة أعضاء الجالية السورية إلى إنشاء ناد خاص باسم كل محافظة هاجروا منها، الأمر الذى ترتب عليه انتشار العديد من النوادى السورية التى ينتمى إليها روادها؛ ليجتمع أبناء كل محافظة بالنادى الذى يحمل اسم المحافظة التى هاجروا منها ليستوطنوا الأرجنتين . وأبديت للسيد / رفعت كحالة اعتقادى بأن لجوء الإخوة أبناء الوطن الأم السورى الوطن العربى المؤمن بالقومية العربية والذى ناضلت جماهيره من أجل الوحدة العربية وحقق نضالها العظيم بإتمام الوحدة العربية بين مصر وسوريا وإعلان الجمهورية العربية المتحدة . الأمر الذى كان له الوقع العظيم فى نفوس جميع أبناء الأمة العربية من المحيط إلى الخليج، وليس فى نفوس أبناء مصر وسوريا وحدهم، وأنا كلى ثقة أن كل مواطن عربى هاجر من وطنه الأم الغالية أرض الأمة العربية لن يتردد بمجرد تذكيره بتوفيق ونجاح نضال أخوته وبنى عشيرته بسوريا ومصر، النضال الذى نجح فى إعلان دولة الوحدة فى أول فبراير ١٩٥٨، فى الاشتراك والتضامن مع أولاد وطنه الأم، الذين هاجروا معه ليستوطنوا الأرجنتين فى توحيد كلمة أبناء سوريا الوطن الأم؛ وليجتمع كل رؤساء النوادى الحاملة اسم محافظات سوريا التى تؤخذ على أنه تصرف قصد به تفتيت وحدة الوطن الأم سوريا، لمجرد الانتماء وربط أبناء كل محافظة بناد يحمل اسم الوطن الصغير.

لذلك فإننى على استعداد للقاء جميع أخوتنا أبناء سوريا ورؤساء النوادى المتعددة الحاملة لأسماء المحافظات؛ لإقناعهم بأهمية إجماع رأيهم على توحيد النوادى السورية الأصل فى نادى واحد يحمل اسم « نادى الوحدة السورى»؛ تعبيراً عن رباطهم الأصيل بالوطن الأم سوريا، بلد النضال والكفاح والإيمان بالوحدة العربية الأمل.

وما أن توقف حديثى بشأن النوادى حتى بادرنى الأخ رفعت كحالة، ليؤكد لى اقتناعه الكامل بكل ما ذكرته من آراء بشأن تعدد النوادى الحاملة لاسم المحافظات السورية بالأرجنتين، وانعكاس ذلك فى احتمال لجوء العديد من الأعداء، وبالذات الجالية اليهودية، لاستغلال هذا الوضع؛ لإثارة نفوس السلطات الأرجنتينية من ناحية والمواطنين الأرجنتينيين من ناحية أخرى؛ لإقناعهم بعدم ولاء العرب المهاجرين للأرجنتين الوطن الجديد، وتمسكهم بولائهم لمحافظات وطنهم القديم، بما يضر بمصالح الجالية السورية، ويثير الشكوك حول تصرفات المهاجرين السوريين، ويدفع السلطات الأرجنتينية إلى تغيير معاملتهم الطيبة للجالية السورية بلا مبرر.

ووعدنى السيد /رفعت - عميد الجالية السورية - بالاتصال الفورى برؤساء النوادى السورية، ومناقشة الأمر معهم، وكله ثقة من قدرته على الأخذ بما طرحته من حل للوضع القائم، وتوحيد الكل بناد كبير يستوعب رواد جميع النوادى الصغيرة والمسماة باسم المحافظات، بعد إقناع كل أفراد الجالية بما طرحته من آراء تضر بمصالحهم.

وأثار السيد / رفعت كحالة معى موضوع المهمة التى كلفنى الرئيس جمال عبد الناصر بالقيام بها فى دول عرب المهجر، والذى كتب له عنها ابن عمه السيد /نور الدين كحالة - نائب رئيس الجمهورية للإقليم السورى- متسائلاً عما إذا كنت فى حاجة إلى معاونته لى فى أى شيء، موضحاً أنه يمكنه تقديم أى طلب أو الحصول على أى معلومات بشأن أى موضوع، مؤكداً أنه - وبحكم طول إقامته بالأرجنتين ووسط عرب المهجر بالأرجنتين لأكثر من أربعين عاماً - قادر على المساعدة بالكثير، فشكرته على حسن استقباله لى ومزيد كرمه، مؤكداً له أننى سأعاود زيارته للاستعانة بمشورته أو معاونته لى بعد القيام بكل اتصالاتى بجميع الإخوة أعضاء السفارة والمكاتب الفنية، وكذلك بالجالية اللبنانية المقيمة والمستوطنة بالأرجنتين، وودعته وغادرت منزله إلى الفندق.

الفصل الرابع

الاستفادة بأعضاء السفارة كمصدر معلومات

اتصلت بعد وصولى إلى الفندق بالزميل أبو اليسر - الملحق العسكرى -فى الساعة السادسة مساءً بعد عودتى من اللقاء بعميد الجالية السورية؛ لرغبته فى استضافتى بمنزله مساءً، ووافقت على زيارته فى الثامنة مساء الليلة نفسها؛ لأسعد بالتعرف على أسرته، ولأقبل إصراره على تناول العشاء مع أسرته . وفى الموعد وصلت إلى منزله، ليستقبلنى بكل ترحاب وسرور، وجلست معه؛ لأضعه فى الصورة الكاملة لكل ما تم بينى وبين السيد /رفعت كحالة من حديث ونقاش منذ وصولى لمنزله حتى مغادرتى للعمارة الخاصة به، مؤكداً لى تقديره الكامل لزيارتى له، وطرحى لكل ما تناولته من أمور مهمة حتى تم اتفاقنا على الإجراءات التى سيتخذها من جانبه لمصلحة جميع أعضاء الجالية السورية بالمهجر الأرجنتينى، فى قالب واحد مرتبط بوحدة وطنية متينة، بعيداً عن كل مظاهر التفتت فى مجتمعهم، والنابعة من التناقضات التى عاشوها قديماً، وما زالت جماهير الشعب السورى المرتبط بالوحدة المنشودة التى تحققت مع الجماهير المصرية، وبحمد الله نجحت قياداتها القومية والوطنية فى تخطى حدود الطائفية، التى كانت تشكل التناقض الأساسى فى تركيب البناء الاجتماعى لجميع أقطار الوطن العربى، وإن القيادات الحديثة للأمم والدول والتجمعات الوطنية أصبحت تتعمق فى دراسة تكوين الفرد وعقليته وسيكولوجيته باهتمام كبير؛ لتفادى الوقوع فى أخطاء تجاهل دراسة الواقع الحالى للجماهير، وتناقضاته التى تشكل الطائفية دوراً كبيراً فيها، وما ترتب على

هذا الوضع من ازدواجية السلوك لدى كل من تصدى فى عمل قومى وطنى، سواء على مستوى القيادة أو فى صفوف القواعد الجماهيرية الشعبية، التى تحمل مسئولية رفع الشعار القومى، والتحرك بجماهير وأفراد المجتمع؛ لتحقيق آمالها فى الوصول إلى العيش فى الإطار السليم للحياة والمعيشة الحرة الكريمة بلا صراع أو مشكلات تعوق قدرتها على المسيرة الصحيحة النابعة من إيمان بالوحدة الوطنية ، كما أن الدراسة العميقة لتطور الطائفية والعصبية بكل معتقداتها وأهدافها، والاستيعاب الكامل لأدوارها عبر التاريخ، وكشف أخطارها؛ ليتم الانطلاق فى حرب عليها بعمق وإيمان لا يتردد، علماً بأن أى محاولة للقضاء على الطائفية تظل سعياً مبتوراً ما لم تتضافر فيها المحبة المسيحية السمحاء مع المساواة الإسلامية العادلة.

ولم يتردد الأخ أبو اليسر حينما أتممت حديثى وآرائى حول طبيعة تصرفات وتعامل أبناء الجالية السورية مع عميد الجالية السورية، فى أن يخبرنى بأنه على علاقة بكثير من أعضاء الجالية السورية المهاجرة قديماً وحديثاً إلى الأرجنتين، وأنه يؤيدنى تماماً فيما علقت عليه من موقفهم الطائفى وتعصبهم فى الإصرار على قصر ترابطهم الاجتماعى واتصالاتهم على أبناء طائفتهم وعصبيتهم.

وتشكل الجالية السورية أضخم وأكبر جالية من المهاجرين بالأرجنتين، ومعظمهم- إن لم يكن كلهم - تجار أغنياء، ولهم نفوذ - حالياً - كبير وفعال، ووصل بعضهم إلى شغل منصب الوزير بحكومة الأرجنتين، كما وصلوا إلى شغل أربع وزارات ضمن وزراء الحكومة بلا فرق بين عربى مهاجر وأرجنتينى .أما نواديهم التى أشرت إليها ومطاعمهم فهى من أفخم وأرقى النوادى والمطاعم، ومنتشرة بشكل واضح فى كل مكان فى القرى والمدن.

وإن كان يؤخذ عليهم طائفيتهم وتعصبهم المكروه، فنرى بشكل واضح ومكشوف مجموعات دمشقية، ومجموعات حمصية وجمعيات حموية وتنتشر النوادى المسماة باسم المحافظات السورية فى جميع أنحاء العاصمة.

أما بشأن الناحية الدينية فهم يختلفون سواء المسيحيون أو المسلمون بحكم انتماءاتهم المختلفة، حسب مختلف الكنائس، أو مختلف الطوائف الإسلامية، ونحن المصريون غير متعصبين، نتعامل مع جميع أعضاء أبناء الجالية السورية بتفهم كامل واتزان، لأن طبيعتنا تمنع مثل هذا التعصب المرفوض، ودائماً دليلنا وتفكيرنا هو التسامح بلا قيود، ولذلك يدعونا السوريون بالمتسامحين لتكون علاقة المصرى مع الجميع بعيداً عن الأفكار المكروهة

التى تمزق المواطنين أبناء الوطن الواحد، إلى طوائف وملل وعصبيات ممقوتة . وحين وصلنا إلى هذا الموقف اكتفينا بذلك؛ لنتناول طعام العشاء المصرى، ولنمضى فى تناوله فى جو أسرى ممتاز، أتحفتنا به أسرة الأخ أبو اليسر؛ لنستمتع بسهرة ممتازة تجولنا فيها بجميع أنحاء وطننا العزيز، فى محاولة استعادة حلو أيامنا التى قضيناها على شاطئ الإسكندرية الجميلة الممتعة خلال شهرى يوليو وأغسطس، وحرارتهما المعروفة وها نحن نعيش أيامنا هذه بالأرجنتين؛ لنعايش الجو البارد والشتاء القارس.

وما أن أتممنا عشاءنا حتى استأذنت الأخ العزيز وأسرته - بعد شكرهم على كريم ضيافتهم - لأغادر منزلهم فى طريقى إلى الفندق، لأقوم بتسجيل كل ما مر بى من أحداث وما جمعته من معلومات جديدة بأسلوبى نفسه، فى إطار الاختزال المختصر؛ لأرسل المجموع الكلى لما دونته من حقائق بالحقيبة الدبلوماسية، لتنتظرنى بمكتب إدارة الأبحاث بوزارة الخارجية بالقاهرة.



اعضاء السلك الدبلوماسى بالأرجنتين ومعهم

السيد/ رفعت كحاله عميد الجالية السورية

استيقظت صباح يوم ٢٠ يوليو، لأعد نفسى لاستقبال يوم ملىء بلقاء أعضاء السفارة -رؤساء الأقسام - الذين كلفتهم بتجهيز تقرير يتضمن الرد على العديد من الأسئلة

والاستفسارات المطلوبة؛ لاستكمال الصورة الكاملة لأوضاع الجالية السورية المهاجرة والمستوطنة الأرجنتين .ووصلت مبنى سفارة الجمهورية العربية المتحدة بـ « بيونس أيرس » فى العاشرة صباحاً؛ لأجتمع بالسكرتير التجارى أولاً بمكتبه؛ وليتم الآتى :

قدم لى السيد /نبيل بدر الدين تقريراً يتضمن جميع الإجابات المطلوبة عن استفساراتى بشأن العلاقة ما بين الجالية السورية بالأرجنتين والسوق التجارية لدولة الأرجنتين ، ودور كل من مارس النشاط التجارى من المهاجرين السوريين، ومدى انعكاس هذا النشاط على موقف الجالية السورية بصفة عامة ، وكان رده على استفسارى على النحو التالى:

أ ـ غالبية رجال الجالية السورية المهاجرة تقوم بممارسة التجارة منذ بداية وصولهم إلى أرض الأرجنتين، مبتدئين بممارسة التجارة فى حدودها البسيطة مادياً، وفى البضاعة الاستهلاكية المطلوبة للجماهير على جميع مستوياتها، ثم تطورت إلى الاتجار بالبضائع الأكثر أهمية والأعلى سعراً ... وهكذا وبهذا الأسلوب فى التدرج يصلون إلى سوق الجملة للتعامل باتساع أكبر مع السوق، مركزين على التعامل فى إطار الشراء بالجملة، وتحويلها إلى البيع بالقطاعى، الأمر الذى يزيد من أرباحهم، ليصبحوا من كبار التجار المسيطرين على السوق التجارية والمتحكمين فى السعر بما يتماشى ومصلحتهم فى إطار الاقتصاد العام لدولة الأرجنتين.

وبهذا الأسلوب التجارى الذكى - الذى تدرب معظمهم عليه فى أسواق الوطن الأم السورية، مما أكسب الجالية السورية المرتبطة بفن التجارة سمعة طيبة وتأثيراً واضحاً فى تطور العلاقة ما بين السلطات الأرجنتينية الحاكمة وكبار التجار، ومن ثم توطدت العلاقات ما بين المهاجرين السوريين وحكام ووزراء السلطة، لينتقل الأمر إلى استعانة الحكومات الأرجنتينية برجال الإقتصاد السورى؛ ليستفيدوا من خبرتهم، وأسلوب تعاملهم فى سوق الاقتصاد الدولية، حتى أصبح يتولى البعض من أبناء الجالية السورية - ممن يتم اختيارهم - كراسى الوزارات الفنية والاقتصادية فى السنوات الأخيرة بالأرجنتين، ورفع ذلك من مستوى الجالية السورية فى معيشتهم ووضعهم الاجتماعى المرموق الذى وصلوا إليه مؤخراً، مما أتاح لهم الإحساس الكامل بموقفهم كقوة سياسية تلعب دوراً مهماً وفعالاً فى الحياة السياسية لجماهير الأرجنتين.

ب ـ لجأ شباب الهجرة السورى إلى الاهتمام بممارسة الصناعة، وبالذات الصناعات الخفيفة، التى مارسوها فى الوطن الأم، ليبدأوا بإقامة هذه الصناعات، ليتم إنتاجها على مراحل بالنسبة للكمية المطلوبة لاستهلاك السوق الأرجنتينية فى البداية، مثل الصناعات

المتعلقة باحتياجات المعيشة لجماهير الشعب، سواء أكانت صناعة ملابس جاهزة، أو بضائع استهلاكية للاستخدام اليومى فى المعيشة.

وبعد أن يتم التشغيل وإتمام الإنتاج، يستمر البعض ليواصل إنتاج النوعية المطلوبة للسوق المحلية ويتولى الفريق القادر على ترويج البضاعة للبيع فى السوق بالأسعار المناسبة نشر البضاعة بكلفة أسواق المدن والقرى.

وحين يتم تزايد الربح ينتقل الفنيون القادرون على إنتاج التصنيع الأكبر قيمة والحاجة إليه، فى إقامة مصانع النوعية الصناعية الجديدة الأكثر احتياجاً إليها بالسوق، والأغلى ثمناً فى تكلفة التصنيع وسعر البيع ، وهكذا تتطور الأحوال، ويرتفع مستوى الصناعة، وتتعدد نوعية الصناعة والتجارة فى وقت واحد، ويصبح المالكون لها من رجال الأعمال، ذوى السلطة الفاعلة فى الحياة اليومية والمجال السياسى لجماهير الشعب.

جـ ـ صناعة الحلوى والسكريات : فأبناء سوريا لهم نشاطات متعددة فى إقامة الأغذية على جميع نوعياتها من الفطائر والحلويات الشامية، الأمر الجديد بالنسبة لجميع مواطنى أمريكا اللاتينية، ونظراً لكبر تعداد المهاجرين من سوريا إلى الأرجنتين، واستهلاكهم الشخصى بكميات كبيرة من الحلوى بنوعياتها؛ دفعهم هذا إلى ممارسة صناعة الحلويات وطرحها فى السوق لإخوانهم المهاجرين، مما فتح لهم أبواب الرزق، لإقدام مواطنى الأرجنتين على سحب جميع أنواع الحلوى من السوق، ليستمتعوا بها، الأمر الذى طور من صناعة الحلويات السورية؛ لتنتشر فى جميع أنحاء الأرجنتين ومدنها وقراها، وتظل صناعة استهلاكية غذائية مستمرة متزايدة الإنتاج.

د ـ تجارة اللحوم : مارس مربو الماشية من مواطنى الأرجنتين مهنة تربية البقر الأرجنتينى بعناية كبيرة، واهتمام واضح، رفع من سمعة اللحم البقرى الأرجنتينى دولياً، وأصبحت دولة الأرجنتين من الدول الشهيرة بتربية الأبقار وتصديرها حية ومذبوحة إلى مختلف الدول المستوردة لهذه اللحوم الممتازة، وتستورد مصر سنوياً كمية كبيرة من لحوم البقر من الأرجنتين حية وأحياناً مذبوحة مجمدة.

وما أن تعرف تجار الجالية السورية الذين يستوطنون الأرجنتين على تفاصيل هذه التجارة، ووفرة مكاسبها؛ حتى شاركوا العديد من مواطنى الدولة الأرجنتينية الكبار المسيطرين على تجارة اللحوم، مساهمين بداية بنسبة من رأس المال، ثم طوروا تعاملهم، حتى أصبحوا من كبار التجار المتخصصين ذوى الثروات الكبيرة حالياً بالدولة.



الشاعر السورى الكبير

حسين كامل سياج

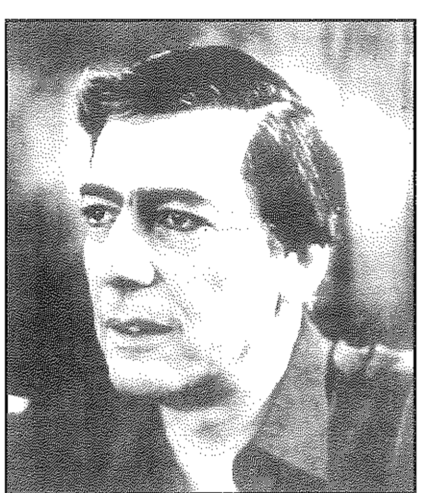
الوضع الثقافى للجالية السورية واللبنانية بالمهجر :

لا شك أن كل من هاجروا من وطنهم الأم السورى وكذلك اللبنانى لاقوا صعوبات فى بداية هجرتهم بعد أن وصلوا أرض الأرجنتين، وبالذات فيما يتعلق بإمكانية التفاهم مع أبناء ومواطنى الأرجنتين، الذين لا يمكنهم التعامل - متحدثين أو متفاهمين - مع أغراب حلوا ببلادهم، ولا يمكنهم التحدث بالإسبانية، الأمر الذى شكل مشكلة أولى، وإن كان الكثير ممن هاجروا سابقاً من سوريا أو لبنان ساهموا فى البداية فى مساعدة جميع المهاجرين الجدد فى تفهم كل ما يدور بين كلا طرفى المتعاملين، وراغبى التفاهم، عن طريق معاونة أبناء وطنهم القدامى، الذين تعلموا الإسبانية وأتقنوها، وأصبحوا بوضعهم الجديد المترتب على تمكنهم من اللغتين العربية والإسبانية مدرسين قادرين على تلقين المهاجرين الجدد السوريين اللغة الإسبانية بالتدريج؛ لتتم إعانتهم فى ممارسة معيشتهم وتعاملهم مع مواطنى الأرجنتين بكل يسر فى أسرع فترة ممكنة.

أما فيما يتعلق بدراسة أبناء المهاجرين الجدد فهو أمر ميسور، تم وضع برامجه وأسلوب تدريس مناهجه بمعرفة وزارة التعليم الأرجنتينية، فى إطار من النظام الثقافى المتكامل والمتطور، حسب المنهج المقرر بكفاءة واقتدار من ناحية المعلم والتعليم، وبالأسلوب المنشود لتخريج أجيال من المثقفين فى جميع دراسات وفنون الحياة، ويتم تلقين الطلبة دروساً باللغة الإسبانية تماشياً مع نظام التأهيل المدرسى من مدارس الروضة حتى نظام الجامعة.

وفيما يتعلق بالتعليم المهنى فقد تمت دراسة تفاصيل إعداد الفنيين المقتدرين على الإنتاج المهنى والصناعى الجيد بأسلوب يرتكز على إتمام التدريس نظرياً وعملياً، مما أتاح الفرصة أمام الشباب لينتقوا ما يتماشى وتطلعاتهم الشخصية على نوع المهنة التى يتخيرونها؛ ليتم إعدادهم كاملاً ليصبحوا أصحاب ملكات فنية ممتازة، تؤهلهم للنجاح فى تحقيق أهدافهم.

يشكل الوضع الثقافى أهمية كبرى لجميع أعضاء ومريدى التبحر فى نهل أعماق تيارات ومجالات الثقافة؛ ليرفعوا من قدراتهم كمثقفين متمكنين من خوض ساحات العلم والدراسة الموضوعية العميقة؛ للوصول إلى قمة المستويات التى تؤهلهم ليصبحوا على قمة مستويات الثقافة؛ ليمثلوا وطنهم أحسن تمثيل على المستوى الدولى، وهو الهدف الرئيسى الذى يجاهد العديد من أئمة الثقافة من أجله، ليفخر ويعتز بهم وطنهم وشعبهم.



«ماريو فولفس يوزا» أحد كبار أدباء أمريكا اللاتينية
ذو التأثير البالغ على كافة أبناء أمريكا اللاتينية الأوائل
وقدرته على تحريكهم فى أى مجال يريده

ومن حسن حظى أن ألتقى بالمركز الثقافى للجمهورية العربية المتحدة بـ «بيونس أيرس» الذى يتحمل الدكتور « حسين مؤنس » مسئولية إدارته، ومسيرة الاستجابة المطلوبة منه ، بكل نهم وشغف، من أبناء جالية المهجر السورية، ورفيقتها فى الهجرة إلى الأرجنتين الجالية اللبنانية.

والأستاذ الدكتور /حسين مؤنس يجيد اللغة العربية إجادة فلاسفة اللغة ومحبيها، فى الوقت نفسه يجيد اللغة الإسبانية نطقاً وعمقاً، الأمر الذى أكسب المركز الثقافى المصرى بـ « بيونس أيرس » سمعة القمم العالية فى مراكز العلم والتعليم، وعلى جميع المستويات، وأصبح منبراً للشعر والشعراء، الذى عرف إنتاجه شعر وشعراء المهجر، ومن رواده القدامى: جبران خليل جبران وأقرانه، وبتولى الدكتور /حسين مؤنس ريادة هذا المركز الثقافى أصبح هذا المركز يشكل - بموقعه وبما يحتويه من دراسات ودارسين ومثقفين- الملتقى المختار لجميع أبناء العلم من مختلف دول أمريكا اللاتينية، ومن ثم أصبح- وبكل فخر -منتدى العلم والفكر والثقافة.

ولم يقصر الدكتور /حسين فى إقامة العديد من الندوات الثقافية، ذات الأهداف القيمة والانطلاقات الثقافية المهمة المستحدثة، بما فيها من تجديد وتنويع وتطوير، وأسعد جميع من حضروا هذه الندوات أنهم عايشوا العديد من أبناء مختلف الدول العربية واللاتينية، وكلهم وعى وتفهم وجدية فى التلقى والتقدير المتفهم لمعنى الحياة فى مجتمعات القرن العشرين.

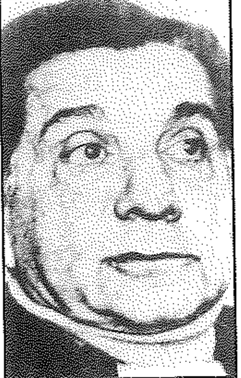
وهكذا تمكنت من تقدير كل ما تضمنه تقرير المركز الثقافى للجمهورية العربية المتحدة.

ندوة هوية الثقافة لدول أمريكا اللاتينية :

شاءت الظروف الطيبة أن يتاح لى حضور الندوة الخاصة بالآداب المتعلقة بالهوية الثقافية لدول أمريكا اللاتينية، والتى انعقدت تحت رعاية وبإشراف اليونسكو، وتحت رئاسة « صول بور كينفيش »، والتى حضرها بعض أهم الروائيين، وكتاب ونقاد من مختلف أنحاء العالم، وصل تعدادهم إلى ما يزيد على ثلاثمائة باحث وكاتب وناقد ، وضمت عدداً كبيراً من دول أمريكا اللاتينية ، كما حضر بعض أهم روائيى وشعراء أمريكا اللاتينية.

ويُذكر منهم الروائى الذائع الصيت « خوليو ركورتازار»، « ماريو فولفس يوزا » و«مانويل سكود» الذى يعتبر أهم كاتب كرس حياته الروائية للدفاع عن السكان الأصليين

للشعوب اللاتينية، وما يسمونهم الأمريكيون بالهنود الحمر ، والذى تختص رواياته بالتعبير عن مأساتهم، والمعروف بروايته الدولية « قرع طبول من أجل رانكاس »، وهو من البيرو، كما حضر أيضاً « ماريو بيندتى »، والكاتب الروائى والشاعر وفيلسوف الفن الكوبى « سيفيرو ساردوى »، «أوغستو روا باسترس» صاحب أجمل رواية عن شخصية الطاغية أو الدكتاتور العسكرى، التى أبدعها الأدب الأمريكى اللاتينى الحديث تحت اسم « أنا الأعظم » .



«أوغستو باستور» أحد الأدباء الكبار فى أمريكا اللاتينية

وقد انطلقت كل المداخلات والنقاشات من مفهوم « الهوية الثقافية لأمريكا اللاتينية »، وعقدت جلسات ندوات المؤتمر بالمركز الرئيسى للثقافة بـ « بيونس أيرس »، وقد توزعت الأبحاث والدراسات والمداخلات المقدمة إلى المؤتمر على عدة محاور نوجزها فيما يلى :

أ- أبحاث ودراسات تناولت الموضوع من زاوية النظر التاريخية، وكانت فى أغلبها رصداً لتكوين الهوية اللاتينو - أمريكية، وتمايزها عن الأصول الأوروبية تدريجياً، وتبلور وعى هذا التميز فى الإنتاج الفكرى والأدبى.

ب- أبحاث ودراسات ارتكزت على علوم الاجتماع والانثروبولوجيا؛ لدراسة الهوية الثقافية اللاتينو - أمريكية، كمحصلة اختلاط وانصهار تدريجى، أو كمحصلة عمليات التصادم والتأثير المتبادل بين ثقافات ذات أصول مختلفة، كالإسبانية ، والبرتغالية ، والأفريقية ، والثقافات الأصلية للمنطقة، وهى ما يسمونها « ثقافات الهنود الحمر » .

والبحوث التى تناولت هذه القضية أثارت نقاشات واسعة ومحتدمة النبرة كثيراً ، وذلك لأن موضوع « الهنود الحمر » فى أمريكا اللاتينية يشكل بالنسبة لكثير من المثقفين

عنصر تجذير أيديولوجى للهوية، ومعطى مبطناً مستوراً غير مطروح، ويعتبرونه فرصة لجلد النفس، والتحسر على ما فعلته المسيحية بهذه الشعوب «العظيمة»، وقد لخص أحد الحاضرين بالندوة هذه النقطة التى تشكل مفترق طرق عندما قال: « إن الهندى الأحمر هو « لا شعور « « المثقف اللاتينو أمريكى اليوم ، وقال آخر: « إن الهندى الأحمر هو «ما« يجذب نحو هوية مغايرة للغرب ، وما يقذف ويدفع نحوها». لك بمعنى أن المثقف مشدود إلى الهندى الأحمر كضمانة تاريخ وأمانة، ومفصول عنه لاعترافه ضمنياً أو جهاراً بأن الثقافة السائدة ذات الأصول الغربية التى يمثلها هو قد دمَرت ثقافة هذا الهندى الأحمر ، وجعلت منه تائهاً بنوع عالمه وآلهته الممزقة أشلاء.

جـ ـ بحوث أخرى تناولت كاتباً بعينه، وحاولت طرح الإشكالية من خلال أعماله ، كتلك التى كرست لـ « جورج لويس بورخس « « كتابه الهوية»، وتلك التى تناولت أعمال « خوليو كورتا زار » أو « جوزى دو نوزو» .

د ـ كاختلاف عن الانماط الأوروبية . وضمن هذا المنحى عولج المسرح والرواية والشعر، وكذلك بعض الأشكال المميزة لأدب أمريكا اللاتينية، مثل ما يسمى « آل كوينتو » وهو يشبه إلى حد ما القصة القصيرة السائدة فى الكتابة العربية الحديثة ، ولكنه يتميز عنها بالبعد الفلسفى والشعرى، كما هو الحال عند« بورخس » أمير هذا الشكل دون منازع ومواطنه « كورتا زار » .

هناك بحوث تناولت الموضوع من خلال المنطوقات الحديثة، وعلم الأسلوبية، وعلم الشعرية، وما تفرع عنها من منابع لدراسة وتمحيص النصوص عموماً . وحاولت هذه الأبحاث أن تجلى تميزاً بلاغياً وأسلوبياً للكتابة الأدبية فى أمريكا اللاتينية، وأن تثبت عن طريق دراسة التراكيب والتعامل مع القاموس والإيقاع وتركيب النص الكامل ككل أن هناك لغة أدبية لاتينو - أمريكية، تتميز وتختلف عن اللغة الأدبية الإسبانية خصوصاً، والأوروبية عموماً.

ومما تجدر الإشارة إليه، أن المؤتمر نظم عروضاً سينمائية لمخرجين طليعيين، نذكر منهم « هو غوسا نفياتمو « وفيلمه الهجوم »، والمخرج الشيلى « هلفيو سونو » .

كما نظمت كذلك حفلة موسيقية خاصة على شرف الكاتب الأرجنتينى الكبير « خوليو كورتا زار » بقاعة العروض، وحضرها عدد كبير من المشاركين فى المؤتمر، وبعض المدعوين من مسئولى السلطات الأرجنتينية، وقد لاقى هذا المؤتمر اهتماماً كبيراً من جميع أجهزة الإعلام الأرجنتينية طوال أيام انعقاده.

ولحسن حظي، تمكنت من حضور بعض جلساته بصورة كانت لها الفائدة الكبرى فى إلمامى بمدى اهتمام جميع شعوب دول أمريكا اللاتينية بثقافة أصولهم، التى كانت لها حضارتها القديمة، وموضع اعتزازهم جميعاً بما تركه أجدادهم الأوُل من آثار، كشفت لهم حقيقة تراث السكان الأوائل لدول أمريكا اللاتينية ، ورفضهم لأى محاولة لتغيير واقعهم القديم على حساب تاريخ أجدادهم ، وقد رفضت السلطات الأرجنتينية قبول اشتراك أى عنصر من اليهود المهاجرين إلى الأرجنتين ، الأمر الذى أوضح - بصورة قاطعة لا تحتاج إلى تأكيد جديد - غضب السلطات الأرجنتينية للوجود الصهيونى على أرض الأرجنتين، خاصة بعد ما تأكدت السلطات بـ « بيونس أيرس » من كل الحقائق التى تكشفت؛ لتدلل بصورة مرفوضة من عامة الشعب الأرجنتيني، للأساليب التى انتهجتها الجالية الصهيونية المهاجرة، والتى تقيم على أرض العاصمة بـ « بيونس أيرس » وضواحيها، خاصة وأن رئيس الجمهورية الأرجنتينية كان قد سبق وأزاح الجالية الصهيونية من جميع الأنشطة التى اتخذوها وسيلة للسيطرة على الأوضاع فى الأرجنتين، والتدخل فى واجبات وتصرفات السلطات الأرجنتينية فى مختلف المجالات، وبالذات النواحى الاقتصادية والأمنية، بما يعوق انطلاق السلطة فى عملها، وبما لا يتفق وطبيعة الحرية المتكاملة فى اتخاذ القرار المناسب والسليم، بعيداً عن أى تدخلات خارجية.

وكان لموقف السلطات الأرجنتينية أثرها المفيد والسار لجميع أبناء الشعب الأرجنتينى، والجالية العربية السورية واللبنانية، مما فتح لهم المجال لنشاطهم الطبيعى بحرية، وتمكينهم من مواجهة الحياة بكل سهولة.

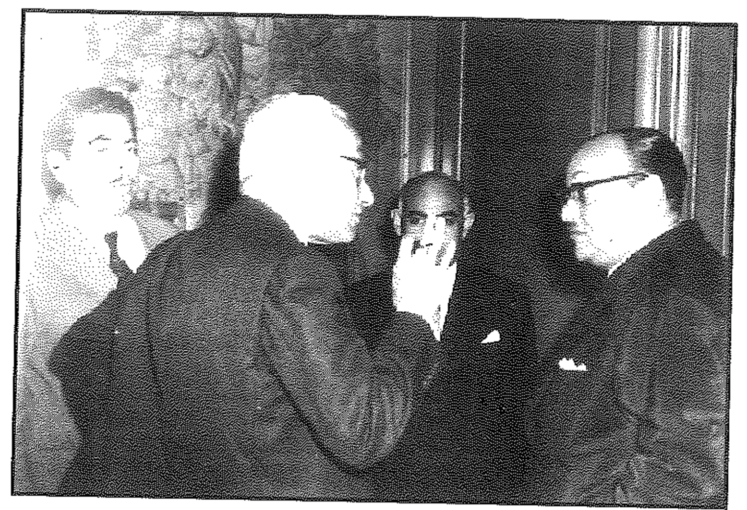
الفصل الخامس

وضع الجالية اللبنانية المهاجرة بـ « بيونس أيرس »

وصل خبر وصولى إلى رؤساء الجالية اللبنانية المهاجرة بالأرجنتين، وعلموا بحقيقة صفتى كممثل للرئيس جمال عبد الناصر، أرسلنى للالتقاء بجميع جاليات عرب المهجر؛ للاطمئنان على أحوالهم وأوضاعهم المعيشية، وطبيعة ومجالات نشاطهم، وأسلوب تعاملهم ونوعية الارتباط الذى يربطهم بالوطن الأم، مع دراسة مدى النجاح الذى حققوه فى بناء مجتمعهم الجديد، وموقف سلطات الدولة المضيفة من مجتمعات عرب المهجر فى جميع المجالات، السياسية، والاقتصادية، والثقافية، والاجتماعية.

كما وصل لجميع أبناء الجالية اللبنانية بعض أخبار اتصالاتى بالعديد من الشخصيات السورية المتخصصين فى مختلف الأنشطة بجميع مجالاتها، الأمر الذى ترتب عليه الاتصال بى بمعرفة بعض الأخوة اللبنانيين من رؤساء النوادى اللبنانية المسماة بأسماء محافظات لبنان، والذين عانوا سابقاً من التناقضات الطائفية والعنصرية المدمرة لوحدة لبنان، والتى عكست آثارها المفتتة للكيان اللبنانى فى المهجر؛ ليتم تجمع كل طائفة بناديها، ولينقسم عرب المهجر اللبنانيين بالأرجنتين إلى العديد من المجتمعات، المرتبطة بطائفة إسلامية، أو مسيحية، تدين بمعتقدات الحزب أو الطائفة، التى يؤمن مجتمع النادى المرتبط بعقيدة الطائفة أو التجمع العنصرى الذى كان يدين له رب الأسرة المهاجر من لبنان؛ ليستوطن الأرجنتين. وهكذا تعددت النوادى اللبنانية، ليفتت كيان الجالية اللبنانية المهاجرة

إلى تجمعات يحكمها ويسيطر عليها الفرقة والبعد عن وحدة الإيمان بالوطن، ووحدة الانتماء، بما يعرضها لتكون هدفاً لكل أعداء الوطن العربى من اليهود، الذين يتخذون من الأرجنتين معقلاً للجاليات اليهودية بدول أمريكا اللاتينية، والذين لن يترددوا فى نشر شائعاتهم للإساءة فى نيات أعضاء الجالية اللبنانية، واتهامهم بعدم الولاء للأرجنتين؛ مستندين فى دسهم وتشويشهم إلى صورة الانقسام وانحسار تجمعاتهم تحت لواء طائفة معينة، أو كيانات عنصرية، بما يؤكد للمستمعين أنهم لا ولاء لهم لوطنهم الأصلى لبنان، فيكف يصدق أى إنسان - أنهم وقد استوطنوا الأرجنتين - سيكون ولاؤهم لها كوطن أمر صحيح، وكل الأدلة الملموسة تكذب ذلك.



رئيس الجالية اللبنانية بالأرجنتين

وحين استقبلت رؤساء النوادى اللبنانية فى لقاء واحد بالنادى الرئيسى اللبنانى بـ « بيونس أيرس» ، بادرت قائلاً « بأننى لم أقبل الاجتماع بكم ليتم زيارة كل تجمع بناديه، الأمر الذى يتناقض مع أى تفكير سليم من جانبى، يحافظ على تأمين مصلحتكم جميعاً، فى مواجهة أى رقابة معادية تتوخى انتهاز أى فرصة تسنح لهم يسيئون من خلالها إلى سمعتكم كجالية عربية أبناء وطن واحد، لا ولاء لكم لغيره، قبل أن تهاجروا للأرجنتين. واليوم أصبح ولاؤكم للدولة التى استوطنتموها كوطن مختار يرعاكم، ويحميكم من أى عدوان، ويحقق لكم الحياة الحرة الكريمة.

وحين استمع لى باهتمام واضح جميع رؤساء نوادى لبنان، وأحسوا بالتأثير السيئ لما أعلنته بشأن تعدد النوادى الخاصة بهم، وانعكاسها على سمعتهم، ونوعية العلاقة بينهم

وبين السلطة الأرجنتينية ، وجدتهم يتناقشون مع بعض فيما أوضحته لهم من إساءة للعلاقة بينهم وبين السلطة الأرجنتينية، ليختتموا نقاشهم بسرعة، ويخبروني بأنهم اقتنعوا بكل ما ذكرته، وعلى استعداد للمبادرة بتحويل نواديهم المتعددة بأسماء المحافظات اللبنانية، ليتخذوها كافتيريات مُعدة لكل قريب منها؛ ليتناول احتياجه من الطعام اللبناني، بعد الاتفاق مع جميع أفراد الجالية؛ لاختيار أكبر النوادي ليكون النادي اللبناني المتميز، والذي يضم جميع أبناء الجالية اللبنانية.

وحين وصلنا إلى هذا الحل الجيد، أبلغتهم شكري وتقديري لما توصلوا إليه من موقف كله اتزان وبعد نظر، مع تقبل تقديري باسم الرئيس جمال عبد الناصر لموقفهم هذا، داعياً الله لهم بالتوفيق والنجاح والكسب الوفير.

وقد أشار أحد كبار الحاضرين إلى رغبتهم في دعوتي لاجتماع بأعضاء الجالية اللبنانية، الذين يمكنهم الحضور للاحتفال بإنشاء النادي اللبناني في صورته الجديدة، وأملهم في بقائي بالأرجنتين لمدة عشرة أيام أخرى، الأمر الذي أبديت معه شكري الجزيل وتقديري مع أسفي الشديد؛ لعدم إمكانية بقائي؛ لارتباطي بمواعيد أخرى في البرازيل وبعض دول أمريكا اللاتينية، علماً بأنني سأغادر « بيونس أيرس » بعد يومين أي يوم ٢٤ يوليو ١٩٥٩.

وتحاور الأخوة رؤساء النوادي فيما بينهم وفاجأوني بأنهم قرروا أن يجتمع أكبر عدد من الأسر غير المرتبطة بأعمال تعوقهم عن الاشتراك في لقائكم بأكبر نادي حالياً، والذي يتسع إلى حوالي ٢٠٠ شخص سيمثلون مجموعة أعضاء الجالية اللبنانية جميعهم، وإذا قبلتم سيتم هذا اللقاء غداً ٢٣ يوليو ١٩٥٩ ، ولم أجد مفراً من قبول الدعوة، وأضافوا أنهم سيدعون سفير لبنان وأعضاء السفارة اللبنانية بـ « بيونس أيرس» ؛ لحضور هذا اللقاء، الأمر الذي سيسعدهم ويسعدنا معهم؛ لنلتقي ونحتفل بأخينا ممثل الرئيس جمال عبد الناصر.

واتفقت معهم على وصولي للنادي المحدد في تمام الساعة السابعة مساء الغد، وقد تعارفنا من جديد بالأسماء الكاملة لهم، باعتبارهم يمثلون كبار رجال الجالية اللبنانية، وهم : أميل سعدون ، جوزيف البستاني ، نبيل مروان ، شمعون مالك ، كمال العو ، ممدوح راضي ، سعيد الباروني ، محيي مراد ، سعيد الطيب ، نعيم الحلو ، محفوظ الشهابي.

واستأذنت؛ لأعود إلى الفندق واتصل تليفونياً بالأخ الملحق العسكرى؛ لأخطره بما تم الاتفاق عليه مع رؤساء نوادى الجالية اللبنانية، ودعوتهم لمساء الغد وقبولى الدعوة التى ستتم بالنادى الكبير اللبناني، وستضم كبار أسر الجالية اللبنانية، وأسر رؤساء النوادى الذين اجتمعت بهم، بالإضافة إلى دعوتهم سفير لبنان وأعضاء السفارة اللبنانية - حسب رغبتهم - ليلتقوا بى ممثلاً للرئيس جمال عبد الناصر .وعلق الأخ الملحق العسكرى على حديثى معه بأنه على اتصال بالسفير ورؤساء النوادى اللبنانية تقريباً، وحسب نظامهم فى الاحتفال وتكريم الزوار سيتصلون بى مساء اليوم؛ ليدعونى للاشتراك معهم فى الترحيب بك، وعموماً سأخطرك بمجرد ما تصلنى الدعوة؛ لنتفق على كيفية توجهنا معاً إلى النادى المتفق عليه . معبراً عن أنه سعيد بما حققته من نجاح مع الجالية اللبنانية صعبة المراس.

شغلت بعد إتمام حديثى مع الأخ أبو اليسر بالمرور على الشارع التجارى؛ لشراء بعض الهدايا الرمزية التى تذكرنى بزيارتى للأرجنتين، وحملى لبعض إنتاجها البسيط المميز، الذى تنفرد بإنتاجه الجماهير الأرجنتينية، وتنشره على مختلف الأسواق الدولية، كرمز لحسن إنتاجها وتميزه، الأمر الذى استغرق نحو الساعتين؛ لانتهازى فرصة الحركة على قدمى؛ لأشاهد وأتفحص كثيراً من التخصصات الصناعية الأرجنتينية لجميع احتياجات الحياة .وعدت إلى الفندق بعد تناول عشائى فى أحد مطاعم الأرجنتين المتخصصة فى المأكولات الإسبانية، لأسجل كل ما جمعته وحصلت عليه من معلومات ونتائج مفيدة.

أحداث ٢٣ يوليو والاحتفال به :

بدأت يوم ٢٣ يوليو ١٩٥٩ وكلى سعادة، لأن يكون احتفالى بيوم ثورة ٢٣ يوليو التاريخى يوماً غبت فيه عن وطنى، وعشته على أرض الأرجنتين، لأجد نفسى وسط مجموعة من الإخوة العرب الذين هاجروا من وطنهم؛ ليستوطنوا وطناً جديداً، ويشاركنى فى احتفالى معهم بثورة ٢٣ يوليو أبناء عرب المهجر .وتوجهت فى العاشرة صباحاً إلى سفارة الجمهورية العربية المتحدة ومكتب الملحق العسكرى؛ لأهنئهم جميعاً بيوم ٢٣ يوليو، يوم النصر والنجاح وإقامة دولة الحرية والتقدم والتطور على طريق القومية العربية، لتحقيق الوحدة العربية .واحتفلنا كأسرة سفارة الجمهورية العربية المتحدة بتناول غدائنا جميعاً فى مطعم سورى، شهرته الأطعمة المصرية؛ لنكيف احتفالنا بالصورة المصرية المنشودة، مما أكسب الغداء فرحة واشتياقاً للوطن، وذكرى عزيزة جعلتنا نعيش على أرض الوطن، وإن كنا غرباء عنه فى وجودنا بالأرجنتين.

وجاء كل ما قاله لى الأخ أبو اليسر بشأن دعوته بمعرفة الأخوة اللبنانيين للقاء المساء بالنادى اللبنانى حقيقة واضحة، ومطابقة لكل ما قاله. واتفقنا ليمر عليَّ بالفندق، ويصحبنى فى زيارتى للنادى اللبنانى المتفق عليه.

وفى السابعة مساءً وصلنا إلى النادى اللبنانى، لنجد جميع الإخوة اللبنانيين، وفى مقدمتهم السفير اللبنانى فى انتظارنا والترحيب بنا بصورة كلها أخوة ومحبة وتقدير، وفوجئت بأن هذا اللقاء تحول إلى لقاء على العشاء، والموائد منصوبة ومملوءة بجميع الأطعمة اللبنانية الشهيرة، وبدأنا بالالتقاء بمختلف الأسر اللبنانية الحاضرة؛ لنتعرف عليها جميعاً؛ ولنتبادل كل معانى التحية والإشادة بكل ما يتصف به الأخوة العرب - أياً كانت أوطانهم - بالكرم وحسن الضيافة.

وبعد أن تعارفنا جميعاً انتقلنا إلى موائد الطعام؛ لنستمتع ببعض ما حملته المائدة من تنوع فى الصنف. والطعم، ولذة فى الاستطعام، المحاط بجو الألفة والضيافة، صفة العرب والعروبة المعروفين بها.

ومما فوجئت به أنه بعد انتهاء الطعام جرس يرن، لنسمع من ينبه إلى انتظار كلمة يلقيها ممثل الجالية اللبنانية تحية للضيف، وبدأ أخ عزيز من كبار المتفقهين فى اللغة العربية يُلقى خطاباً، كله معان وقيم بلغة رصينة؛ تنال التصفيق بين تعبير وتعبير، ومن تقدير لتقدير مصحوباً بدعاء إلى الله العلى القدير أن يكلل مسعى الأمة العربية بالنجاح والتوفيق؛ لتتم وحدة الوطن العربى الكامل فى أقرب وقت، ولينعم العلى القدير على الرئيس جمال عبد الناصر - الذى وحد سوريا ومصر فى دولة الوحدة - بالتوفيق الكامل؛ ليتم توحيد لبنان والأردن وكل دول الجوار مبدئياً مع وحدة مصر وسوريا.

وما أن انتهى الخطيب المفوه، حتى تسلم الخطابة منه شاعر بليغ، انطلق ليعبر لنا بأسلوبه الذكى المقتدر بقصيدة كلها حب وتقدير ورجاء وأمل، حاز فى كل مقطع منها بتصفيق فوق العادة، وإن كنت قد استمعت له بكل اهتمام، إلا أننى هالنى وأعجبنى ما سمعته من لغة المهجر وأسلوبها فى التعبير، وسعدت بسماع هذا المنشد الشاعرى. وما أن انتهى من قصيدته حتى وجدت نفسى مضطراً لألقى كلمة؛ أعبر فيها عن حقيقة مشاعرى وتقديرى لجميع ما لقيته من الإخوة، الذين استقبلونى هذا الاستقبال الحار، وأحاطونى بهذا النطاق الواسع من الكرم والتقدير والمحبة، بما لا أجد نفسى معهم قادراً على نقل عميق تقديرى وعظيم حبى وإيمانى بهذا الكرم العربى الأصيل، والمظهر العربى

الخلاب لكل مواقف الأخوة السوريين واللبنانيين أعضاء وجماهير عرب المهجر على أرض الأرجنتين، البلد المضيف لكل من هاجر إليه، وعاش بين أبنائه ومواطنيه معيشة الأخوة والحب والصدق ، داعياً الله أن يوفقهم ويمتعهم بنعمة الصحة والعافية والنجاح والتوفيق فى مسعاهم.

مضمون ختام الزيارة للأرجنتين :

ما أن انتهى اللقاء، وتناولنا عشاء التكريم وأتممت تعارفى الأخوى بجميع من حضر اللقاء من الشخصيات القيادية اللبنانية، وصحبت الأخ الملحق العسكرى أثناء عودتى إلى الفندق، حتى طلبت منه الاتفاق على تحديد موعد مبكر فى صباح الغد يوم٢٤ يوليو ١٩٥٩؛ لألتقى بالأخ « رفعت كحالة »؛ لأودعه، ولأتحقق من نتيجة ما اتفقنا عليه بشأن وحدة الترابط والنوادى والتعامل الأخوى المنشود بين جميع أبناء الجالية السورية بالأرجنتين- مع بذله بكل وسائل الجهد - ليتم فى الوقت نفسه الالتحام بأى صورة من الصور المرموقة بين جميع أبناء الجاليتين السورية واللبنانية، الأمر الذى سيكون له أحسن وأعظم النتائج على كيان عرب المهجر فى الدولة، ويرفع من مكانتهم، ويزيد من موفور الثقة بينهم جميعاً وبين السلطات الأرجنتينية وأجهزة السلطة التنفيذية والشعب الأرجنتينى.

وقد تم الاتصال بالسيد /رفعت، وحدد موعداً للقائه التاسعة من صباح يوم ٢٤ بمنزله، وتم اللقاء، الذى جاء فى وقت وصل فيه السيد /رفعت فى تحقيقه لما تناقشنا واتفقنا عليه إلى مرحلة جيدة جداً ، مما دعاه إلى أن يخبرنى بكل ما قام به من مجهود، وبشائر السعادة واضحة على وجهه، مع تعبيراته فى الحديث، رغم أنه كان يأمل ألا يقتصر وجودى فى الأرجنتين على هذه الفترة البسيطة، التى لا تزيد على الأسبوع فقط.

وحينئذ أوضحت له ظروف العمل، واضطرارى إلى الالتزام بمواعيد محددة، حكمت طريق تنفيذى لما كُلفت به من اتصالات بجميع جاليات عرب المهجر، وفى كل أنحاء دول أمريكا اللاتينية، التى تستضيف اخوتنا وإخواننا أبناء سوريا ولبنان وفلسطين الذين هاجروا إليها.

وقبل أن يودعنى ركز الأخ « رفعت كحالة » فى حديثه معى على أهمية نقلى للصورة الواقعية الكاملة لكل ما عايشته فى الأرجنتين من أخوة وترابط بين عرب المهجر ومواطنى البلد الأصليين، مع عدم نسيان الظروف القاسية التى وضعتهم فيها الجالية اليهودية

بالأرجنتين، بصفتها تمثل مركز الثقل الرئيسى للنشاط الصهيونى المعادى لكل ما يمس دولة إسرائيل النموذج الجديد لدولتهم المغروسة فى قلب الوطن العربى؛ لتدمر وحدته وأى أمان تتطلع جماهير الوطن العربى إلى تحقيقها، وهى تتعارض مع أمنيات اليهود، ليبقى لدولة إسرائيل الكيان المرتبط بالولايات المتحدة الأمريكية ارتباطاً ثابتاً؛ لتظل هى الدولة القادرة على التصدى، وعرقلة أى تقدم أو تطور للأمة العربية مهما كانت درجة وقوة الاستعداد لتنفيذها لذلك على حساب مصالح الصهيونية العالمية.

وقمت بتحيته ووداعه، لأتوجه إلى الفندق، لأجد سكرتير السفارة برفقة السيد الملحق العسكرى المصرى فى انتظارى؛ ليصحبنى إلى الميناء البحرى لـ « بيونس أيرس» ، للانتقال إلى البر الثانى من الخليج الفاصل ما بين الأرجنتين وأوروجواى بالعَبَارة إلى «مونت فيديو» ، عاصمة دولة «أوروجواى» ، لاضطرارى أمام ما علمت به من رغبة الجالية العربية المستوطنة لأوروجواى، التى بلغها أمر وصولى إلى الأرجنتين، والاتصالات التى قمت بها مع رؤساء الجاليتين السورية واللبنانية، وما تم خلال تلك اللقاءات من أحاديث واتفاقات تحكمها المصلحة العامة للجاليتين، بما يتفق ومساعى الرئيس جمال عبد الناصر المستمرة فى الاطمئنان على انتظام الجاليات العربية المستوطنة بدول عديدة خارج الوطن العربى، وبعيداً عن أسرهم على أرض الوطن الأم؛ سعياً وراء الحصول على الرزق الذى يؤهلهم لحياة حرة كريمة، يتمتعون بها فى وطنهم الجديد، وحسن معاملة من مواطنى تلك البلاد المستضيفين لهم.

وركبنا ووصلنا إلى الميناء، لنصعد العَبَارة، ولتبدأ مسيرتها فى الطريق إلى «مونت فيديو» .

الفصل السادس

زيارة عرب المهجر « أوروجواي »

كيف تم إدخال أوروجواى فى نطاق المهمة ؟

ما أن انتشر خبر وصولى إلى الأرجنتين، وبدأت طبيعة مهمتى تتضح أهدافها بشكل واضح، حتى بدأت التساؤلات تلاحقنى من جميع القيادات السورية واللبنانية، عن طريق ارتباطاتهم الشخصية بأعضاء سفارة الجمهورية العربية المتحدة بالأرجنتين؛ مستفسرين عما إذا كانت نياتى تضم زيارة عرب المهجر بـ «مونت فيديو» عاصمة « أوروجواى»، لأقوم بالتفاهم معهم فيما يتعلق بطبيعة مهمتى ، ودورهم كجالية عربية استوطنت دولة لاتينية وأقامت بها ، وشكلت جيلاً من المواطنين الجدد، الذين استوطنوا أوروجواى وهيأوا أنفسهم للمعيشة بها، متخذين لأنفسهم عملاً يتسم ويتفق مع قدراتهم الشخصية فنياً وصناعياً وثقافياً، بما يجعلهم يؤدون واجبهم كمواطنين بلا فرق بينهم وبين مواطنى البلد الأصليين ، ومما يؤهلهم ليتولوا العديد من المسئوليات، إلى جانب انتهاج أسلوب فى التعامل مع أبناء الدولة المضيفة يتيح لهم العيش الكريم بلا معوقات تعوق إحساسهم بالمواطنة الصحيحة.

بعد وصولى إلى « بيونس أيرس » استفسر منى الأخ الملحق العسكرى عما إذا كان لدى فيزاً لزيارة أوروجواى، وأخبرته بأننا لم نسمع من الجالية السورية أو الجالية اللبنانية فى دمشق أو بيروت ما يفيد بهجرة عدد كبير من اللبنانيين أو السوريين إلى أوروجواى ، ولأول مرة أسمع منك موضوع أوروجواى، فأخبرنى بأنه معين ملحق عسكرى

للجمهورية العربية بالأرجنتين وشيلى وأوروجواى، ومن المفيد أن أقوم بزيارة لأوروجواى لألتقى بالجالية المقيمة بـ «مونت فيديو» ؛ لأن هذا التصرف سيعنى الكثير بالنسبة لموقف عرب المهجر بأوروجواى، ويظهر لهم أن دولة الوحدة بين مصر وسوريا بدأت تهتم بكل الجاليات المهاجرة من البلدين، وبالذات بعد إتمام الوحدة، وتولى الرئيس جمال عبد الناصر رئاسة الجمهورية العربية المتحدة .واستطرد ليقول إنه سيحاول أن يسافر معى على العبارة إلى «مونت فيديو» ، ويحضر معى فترة بقائى فى أوروجواى ولقائى بالأخوة أبناء الجاليتين السورية واللبنانية المستوطنة عاصمة أوروجواى «مونت فيديو» .

موقف الجالية العربية بـ « مونت فيديو » :

تطوع الأخ أبو اليسر الأنصارى - الملحق العسكرى - بمرافقتى بالعَبَارة من ميناء «بيونس أيرس» فى اتجاه «مونت فيديو» ، وجلسنا معاً؛ ليزودنى خلال رحلة السفر بأكبر قدر من المعلومات التفصيلية عن الجالية العربية فى أوروجواى، التى تتركز فى أماكن إقامتهم ، وطبيعة عملهم ونشاطهم التجارى بالذات فى العاصمة.

وإن كان عدد الأسر العربية - سواء السورية أو اللبنانية -قليلاً إلا أن طبيعة ونوعية العمل الذى اتخذوه مصدر رزق لهم زودهم بوافر من الأموال، التى جعلتهم يساهمون فى كثير من الأنشطة فى مجال التجارة أو السمسرة، بالنسبة لجميع أوجه النشاط المحتاجة إلى سمسرة، لشراء السيارات وآلات الصناعة، وصناعة الأغذية الجافة، بالإضافة إلى تجارة اللحوم، وجميعها تتشابك بوضوح مع تجارة اللحوم المصنعة فى الأرجنتين، مما جعلهم يمثلون نوعية من المشاركة سهلت من أسلوب تعاملهم مع جميع أنحاء دول العالم المستوردة لأنواع اللحوم الحية والمذبوحة والمصنعة بجميع صورها.

وهنا لا يمكن إغفال تجاهلهم لتحمل مسئولية أى عمل يدفعهم للتعاون مع سلطة الدولة فى مجالات الأمن والحراسة والدفاع عن مصالح مواطنى أوروجواى.

ونتيجة لقصور احتكاكهم المباشر بسلطات الحكم، وبالصورة التى تتيح لهم التعامل المستمر، وبالأسلوب الأخوى والمتسم بالوعى والولاء للوطن الجديد، لاحظت أن موقفهم ليس بالصورة التى وجدت عليها موقف الجالية السورية أو اللبنانية بـ «الأرجنتين» ، أو الجالية الفلسطينية والأردنية بـ«شيلى.“

ووصلنا إلى شاطئ «مونت فيديو» ، لنغادر العَبَارة ونتجه مباشرة إلى الفندق المميز والمعروف للأخ أبو اليسر، وبعد وضعنا لأمتعتنا بالفندق صحبت الأخ الملحق العسكرى؛ لنقوم بزيارة أحد رؤساء الجالية العربية بـ«مونت فيديو» ، المدعو « عدنان الأيوبى » ،

بمكتبه التجارى وهو من أكثر الشخصيات المحبوبة، ويجله ويقدره جميع أسر وأعضاء الجالية.

كان لظهورنا المفاجئ أمام السيد /عدنان ما جعله يترك مكتبه؛ ليستقبلنا استقبالاً حاراً، ويرحب بنا، مستفسراً من الأخ أبو اليسر عن أسباب عدم الاتصال به تليفونياً ليبلغه بميعاد وصولنا؛ ليكون فى استقبالنا بالميناء .وانتهى الأمر لنترك من يحل محله بالعمل ، ليصطحبنا مباشرة إلى منزله بعد أن اتصل بأسرته تليفونياً؛ ليخبرهم بزيارتنا لهم بالمنزل.

وبدأ طوفنا بالسيارة فى طريقنا لنمر على جميع أنحاء المناطق الرئيسية ذات النشاط الكبير، والمستحوذ على حركة المرور وتزاحم العديد من سكان المدينة فى شوارعها وطرقها؛ ليوضح لى الكثير من خصائص أوروجواى وأسلوب معيشة سكانها، واعتمادهم على الحركة المستمرة فى حياتهم بدون إضاعة أى دقيقة فى راحة أو استراحة قبل أن يتموا عملهم وحاجتهم لمطالب الحياة.

ولم يقصر الأخ عدنان فى مرورنا العاجل على جميع أنحاء العاصمة، وفى الوقوف لدى المحال التجارية التى يمتلكها أحد أعضاء الجالية السورية أو اللبنانية؛ ليتم تعريفنا عليه ورؤية التجارة التى يمارسها فى محله، أو فى موقعه، وصورة النشاط الذى يقوم به كل من نقف عنده لتحيته، مكتسبين معرفته من خلال هذا التعرف العاجل، بواسطة الأخ المؤمن بوطنه وعروبته « عدنان الأيوبى » .

وبعد التعرف على جميع نواحى النشاط بالعاصمة، توصلنا إلى لقاء عدد لا بأس به يمثل غالبية المسئولين عن كيان ونشاط الجالية العربية بأوروجواى، مما أعطانى - صورة إلى حد كبير - تشكل الكيان المتوافر فى كيان المجتمع العربى المستوطن لأرض دولة أوروجواى.

وانتهينا بالوصول إلى منزل الأخ « عدنان »؛ لنحيى أسرته ونجدهم فى استقبالنا؛ ليصطحبونا لتناول الغداء فى ضيافتهم، وكما تعودنا وجدنا الطعام السورى واللبنانى على المائدة نموذجاً طيباً، يوحى بطبيعة المستوى الراقى لمعيشة الرجل اللبنانى، الكريم فى ضيافته وأسلوب تعامله مع أبناء عروبته.

ومن حسن الحظ ألا يكتفى الأخ عدنان بضيافتنا على الغداء ومرورنا بصحبته على من تخيرهم للتعارف، وتبينا ذلك بعد انتهاء غدائنا، حينما أخبرنا المضيف العزيز بأنه اتفق مع جميع أعضاء الجالية العربية للاجتماع بهم فى النادى العربى لعرب المهجر بـ

«مونت فيديو» ، وأنهم سيحضرون بالنادى فى الساعة السابعة مساءً؛ فى انتظار وصولنا للالتقاء بممثل الرئيس جمال عبد الناصر.

وفى الموعد المحدد توجهت والأخ أبو اليسر إلى النادى، لنجد الأخ عدنان، وبصحبته عدد كبير من رجال ونساء الجالية العربية بـ «مونت فيديو» ، وصافحت الجميع وجلسنا فى صالة النادى فى اجتماع أسرى لينهض - وهذه العادة التى أصبحت واضحة - أحد المتحدثين باسم الجالية للترحيب بنا، وليعلن تقديرهم جميعاً للدور الذى قام به الرئيس عبد الناصر فى تحقيق وحدة سوريا ومصر، وأملهم فى وحدة لبنان أيضاً قريباً ضمن هذه الوحدة الجديدة.

وأعقب الخطيب شاعر يلقى كلمات الحب والتقدير والإيمان بالوطن وبالوحدة العربية، أملاً فى بناء الوحدة العربية الكاملة لجماهير الأمة العربية، وكعادتهم، انتهى اللقاء لننتقل إلى صالة طعام لضيافتنا على بوفيه مزود بجميع أنواع الأطعمة الشامية السورية واللبنانية، ولتبدأ موجة من الاتصالات الجديدة والأحاديث المستمرة، لتناول أخبار الوطن الأم بالاستفسار والاستطلاع والاطمئنان، الذى تم كله بالتلاحم الكامل فى الفكر والتقدير للمواقف العربية السليمة، سواء فى الوطن الجديد أو الوطن الأم، مع الرغبة الملحة - من جميع من حضروا - فى أن يستمر ويتجدد بصفة مستمرة الارتباط ما بين الوطن الجديد والوطن الأم.

وهكذا تم اللقاء، وعدنا إلى الفندق، لأستيقظ فى صباح اليوم التالى يوم ٢٥ يوليو ١٩٥٩ ، مودعاً زميلى وأخى أبو اليسر قبل سفرى بالطائرة إلى عاصمة البرازيل « ريودى جانيرو » لأستكمل القيام بواجبى ، ولإتمام مهمتى على الوجه الأكمل بدولة نهاية المطاف « البرازيل ».

الباب السادس

اللقاء الأخير بـ«عرب» المهجر بـ«البرازيل»



الفصل الأول

عاصمة البرازيل

وصلت « ريودى جانيرو » عاصمة البرازيل حين ذاك قبل أن يتم استكمال العاصمة الجديدة « برازيليا »، التى تتربع فوق هضبتها المرتفعة وسط مساحتها الكبرى بقارة أمريكا اللاتينية، والتى تتصل حدودها بحدود معظم دول أمريكا اللاتينية، ماعدا «شيلى» و«الإكوادور »، مما دفع برئيس الجمهورية السابق « كوبتشيك » لإنشاء «برازيليا»، عاصمة فريدة تتخطى العصر الحاضر إلى مستقبل يفوق كل تصور طبيعى يتسم وتفكير عالمنا الحاضر، كما تمتاز بعماراتها الضخمة، وقبتى البرلمان البرازيلى بمجلسيه، وتحكم مسارات المبانى الضخمة طرق صاعدة هابطة، يتصورها المشاهد كأنها سور فولاذى يربط أطراف المدينة المترامية على قمة الهضبة الصلبة، التى تدور عليها فى كل اتجاه بلا فرصة لتتلاقى أو تتقاطع كما نراها فى س طبيعتها الحالية، فهذه تغوص تحت الأخرى، أو تلف حولها فى أنصاف دوائر رسمت بدقة فائقة، كأنها لوحة فنية رسمها فنان مقتدر.

وهكذا تمكنت من الاطلاع على تفاصيل العاصمة المنتظرة للبرازيل من نافذة الطائرة، التى مرت على موقع العاصمة؛ بهدف الدعاية الرامية لإقناع كل زائر للبرازيل بأن هذه الدولة دولة كبرى كماً وكيفاً، بمالها وجمالها وبفنها وفنانيها ذوى القدرة على بناء كل جديد متفوق معتمد على قدرات وجهود وآمال وتطلعات مواطنيها، متحدين كل من تسول له نفسه أن يحاول الاقتراب من كيانها وأرضها وقدراتها الفوقية، ليكون نصيبه الفناء أو الخسران المبين.

ومن خلال الطيران فوق تلك العاصمة المنتظرة أمكننى تحديد معالمها على النحو التالى: تقع فى قلب قارة أمريكا الجنوبية، تحيط بها أحراش الأمازون وروافده الدنيا على مشارف المجاهل الاستوائية لأمريكا اللاتينية.

يُجرى إعدادها لتكون المقر الرسمى لرئاسة الجمهورية، والبرلمان، وغالبية الوزارات، وفهمت من قائد الطائرة البرازيلى أنهم سيشيدون مدينة متكاملة بعد إتمام المبانى الحكومية؛ بهدف خدمة سُكنى كل المقيمين بها من موظفى الدولة والقائمين على توفير احتياجاتهم فى الحياة الحرة الهادئة الممتازة .وهبطت الطائرة البرازيلية الساعة الواحدة ظهراً، لأجد مستشار السفارة الأخ محمد على فى استقبالى، ومعه سكرتير السفارة مرحباً بى، ومؤكداً قيامهم بتوفير جميع إجراءات إقامتى بفندق ممتاز على شاطئ « كوبا كابانا »)شارع البحر(، فى مكان قريب من مبنى السفارة، وأبلغنى أن السيد السفير/ جمال الفرا موجود بالسفارة ، وسيقابلنى صباح الغد؛ لنتفق على كل ما يتعلق بمهمتى. واصطحبنى السيد /محمد على بسيارته إلى الفندق، وشكرته واتفقت على لقاء الغد، وطلبت من السكرتير أن يحضر فى التاسعة صباح الغد للذهاب لمبنى السفارة للقاء السفير هناك.

وغادرت الفندق؛ لتناول وجبة الغداء فى مطعم قريب من الفندق، بوصية من مدير الفندق، استحسانا لنوعية خدماته وطعامه .وتشاء المصادفات حينما وصلت للمطعم أن ألاقى شخصاً التقيت به سابقاً فى أسبانيا، تعاملت معه ويدعى « فرانكو دورا »، كان يتاجر فى الأسلحة ، الأمر الذى أثار فى نفسى كثيراً من التساؤلات حول ظروف وجوده فى البرازيل، الأمر الذى دفعنى إلى أن أواجهه، ويستقبلنى بمجرد رؤيتى باندهاش وسرور وإصرار على دعوتى على الغداء، وتسرعت بسؤاله عن أسباب وجوده فى البرازيل حالياً، وتشاء المصادفات أن ألتقى به فجأة، وكان سريع البديهة فى رده علىّ بقوله: إنه موجود؛ لممارسة هوايته الطبيعية نفسها، أو بمعنى أصح، التجارة فى الأسلحة مع جاليات عديدة تشترى السلاح من البرازيل، وأنه كتاجر يشترى السلاح من البرازيل ويبيعه لهم، وبهذا أمكنه الحصول على ثقة تجار السلاح البرازيليين.

وانتقل فوراً ليعرض علىّ بكتالوج لأنواع الأسلحة الجيدة المتوافرة فى البرازيل، وأنه سيقوم بإعطائى أسعاراً خيالية؛ تكريماً لعلاقتى السابقة فى تزويد الجزائر بالسلاح، وانتابنى شعور لمشاكسته، فرددت عليه مبتسماً: إننى حالياً فى موقف مثله، أقوم بتجارة الأسلحة، والطائرات، والدبابات والبوارج والغواصات فبهت واندهش، وتصورت سيصيبه

الدوار مما سمعه منى، فضحكت وابتسمت وصارحته بكل صداقة بإننى مجرد حاولت مشاكسته وليس أكثر من ذلك وإننى فى البرازيل بصفتى الدبلوماسية ليس إلا ، فاطمأن على نفسه وأخبرنى إننى أرهبته بلا مناسبة، فكيف نكون أصدقاء وتهز أعصابى بهذا الشكل، واكتفيت بهذه المناوشة المسلية ودعوته أنا بصفتى صديق لتناول الغداء على حسابى وأتممنا طعام الغداء، لنترك المطعم ويدعونى لمصاحبته؛ للتعرف على عائلة برازيلية تربطه بها صداقة وأخوة كبيرة، تعاونه فى تلبية احتياجاته وتسهل له كثيراً من الحلول لأى مشكلة تقابله مع السلطات البرازيلية، لأن هذا الصديق يعمل مديراً بوزارة الداخلية البرازيلية.

وصلنا إلى منزل الصديق « الفونسو كاردو»، وتم التعارف بالعائلة والتفاهم ، وكان لقاءً جيداً جداً حيث قوبلت بترحيب ممتاز من رب العائلة وأسرته المضيافة.

واستضافتنا الأسرة البرازيلية باهتمام وحفاوة لا تقل عما تقوم بها أى أسرة عربية كريمة.

وانتهت سهرتنا لدى الصديق البرازيلى فى العاشرة مساءً، لنودعهم معبرين عن تقديرنا الكامل لضيافتهم وسعادتى بارتباطى بصداقة هذه الأسرة الكريمة ، وأملى فى قبول رب الأسرة وأعضاء أسرته التكرم بزيارتى بالقاهرة، الأمر الذى سيسعدنى ويبهج أسرتى، لإتاحة هذه الفرصة ليقوموا بمرافقتكم لزيارة جميع أنحاء الجمهورية العربية المتحدة.

وأصر الصديق «الفونسو كاردو » على توصيلنا أنا و «فرانكو » صديقهم إلى الفنادق التى نزلنا بها، متمنياً لقاءً جديداً فى القريب العاجل، وقام بعرض قيامه بتسهيل أى خدمة لنا من أى مكان وفى أى وقت بـ «البرازيل » الأمر الذى يسعده كثيراً.



الفصل الثاني

زيارة سفارة «ج.ع.م» ومعلومات السفارة عن البرازيل

صباح يوم ٢٦ يوليو ١٩٥٩ توجهت إلى سفارة الجمهورية العربية المتحدة بـ «ريودى جانيرو»؛ للالتقاء بالسفير /جمال الفرا حسب الاتفاق فى العاشرة صباحاً، الذى وجدته فى انتظارى ومعه مستشار السفارة السيد /محمد على، لتتم إجراءات التعارف بيننا، نظراً لأنه كان اللقاء الأول بينى وبين السفير /جمال الفرا - السورى الأصل - والمعين أخيراً بعد إتمام الوحدة المصرية - السورية فى أول فبراير ١٩٥٨ ، ليتم ضم السلك الدبلوماسى السورى إلى السلك الدبلوماسى المصرى بوزارة خارجية دولة الوحدة.

وبعد إتمام التعارف بدأت شرح تفاصيل مهمتى التى كلفنى بها الرئيس جمال عبد الناصر، للمرور على الجاليات السورية واللبنانية، بداية بالولايات المتحدة الأمريكية ، ثم دولة المكسيك ، فدولة «بنما» ومعاينة ظروف وأحوال إدارة قناة «بنما»، ثم لقاء الجالية العربية بـ «بنما»، مع دراسة لوضع الجالية اليهودية بدولة «بنما»، ونوعية نشاطها داخل الدولة، وتأثيرها فى مجال السيطرة على أسلوب إدارة وتشغيل القناة ، وانعكاس ذلك على جماهير الشعب البنمى.

ثم التوجه إلى «بيرو»، فجمهورية «شيلى ، ثم جمهورية «الأرجنتين»، فدولة «أوروجواى ، وأخيراً جمهورية «البرازيل».

على أن تتم دراسة متكاملة شاملة فى كل دولة لوضع جاليات عرب المهجر فى جميع مجالات الحياة الاجتماعية، والسياسية، والاقتصادية، والثقافية، مع التركيز - وبكل وضوح

-على أسلوب معيشة الجالية العربية، وكيف يتم التعامل بينها وبين سلطات الدولة من ناحية ، وتعاملهم مع مواطنى الدولة من جانب آخر، وأخيراً الإلمام بمدى ارتباط أفراد جاليات عرب المهجر بالوطن الأم ؟

بادر الأخ السفير بالإشارة إلى أنه منذ تعيينه للعمل بـ«البرازيل» لم يحضر مباشرة من دمشق، ووصل إلى «ريودى جانيرو» منذ ستة أشهر فقط، الأمر الذى يُحد من قدرتى على إفادتك بكل ما تتطلبه من معلومات تفصيلية دقيقة ، ولذلك طلبت من السيد المستشار /محمد على حضور لقائنا هذا؛ ليكون فى الصورة الكاملة لطبيعة مهمتك الصعبة، والدقيقة فيما تهدف إليه من تفاصيل كاملة لكثير من المعلومات المتفرعة لجميع نواحى نشاط الأخوة المسئولين، سواء رؤساء الجاليات العربية أو أفرادها ونواحى تخصصاتهم ، ونوعية ما يقومون به من نشاط فى مختلف أوجه الحياة، الممتدة لهم فى معاونة مواطنى البرازيل المنتشرين على ساحة أراضى الدولة، التى تغطى نحو نصف مساحة قارة أمريكا الجنوبية.

وكان ذلك نظراً للفترة الزمنية التى قضاها الأخ محمد على كمستشار للسفارة بـ «البرازيل» وما لمسته شخصياً من اتساع قدراته فى الإلمام بكل صغيرة وكبيرة تمس سياسة السلطات البرازيلية الخارجية والداخلية، وضخامة المسئوليات التى تتولاها حكومة البرازيل، لمواجهة التزاماتها فى مواجهة متطلبات جماهير الشعب البرازيلى الضخمة ، وبالذات فى إعادة بناء الدولة الجديدة فى جميع مجالات الحياة المتطورة بصفة مستمرة؛ لتجارى متطلبات العصر الحالى.

وبلا شك فإن جميع أفراد المهاجرين العرب - سواء من سوريا أو لبنان - معظمهم تمت هجرتهم للبرازيل من مدة طويلة، وأصبحوا ملتحمين تماماً بمواطنى البرازيل الأصليين، وأصبح أبناؤهم وأحفادهم ممن ولدوا وترعرعوا فى حياتهم منذ الطفولة على أرض البرازيل، ونشأوا ثقافياً فى مدارس وجامعات البرازيل، ومن ثم لا خلاف أو فارق بينهم وبين سكان البرازيل.

وأعتقد أن وجودى مع شخصكم والسيد المستشار /محمد على سيكون له فوائده الكبيرة فى إلمامى بكثير من خبايا وتفاصيل كل ما يتعلق بدولة البرازيل، فى الوقت نفسه سيطرح المستشار جميع ما لديه من معلومات وإجابات تفصيلية رداً على ما ستطرحه سيادتكم من أسئلة ومعلومات مطلوبة، وانطلاقاً من إيمانى بأهمية هذا اللقاء فرغت نفسى طول اليوم وغداً لأسعد بصحبتكم مع جزيل شكرى وتقديرى، وأترك الأخ محمد

على للقيام بأداء واجبه فى تزويدكم بجميع مطالب المهمة وتفاصيلها، مع أملى الكبير أن تحقق سفارتنا الإجابة بنجاح كامل وتوفيق؛ لتغطية مطالب المهمة بما يحقق أهداف الرئيس جمال عبد الناصر.

باشر الأخ المستشار /محمد على حديثه، ليطرح تفاصيل إيضاحه للأسئلة التى طرحتها والمطلوب إجابتها بكل دقة وبالتفصيل على النحو التالى:

بدأت البرازيل منذ تعين «كوبتشيك -" رئيساً للجمهورية - تواجه سياسة جديدة، بدأها بتغيير اسم العاصمة الجديدة لتكون «برازيليا »، وليُغير موقعها لتقام مدينة حديثة بمبانيها الضخمة ذات التصميم ونظام التشييد، ولتحتل موقعاً يتوسط مساحاتها الكبيرة، وفى منتصف غابات الأمازون، وليباشر الدعاية للعاصمة الجديدة بأسلوب ضخم، معلناً عن صفات لها تؤهلها لتكون العاصمة الوحيدة فى العالم - فى تصوره - التى لا يوجد لها مثيل فى كيانها، ومبانيها، وموقعها وأساليب الحركة فيها، وفن تشييدها ... إلخ.

وفى الوقت نفسه بدأت البرازيل تدخل مرحلة من مراحل التغيير الشامل فى سياساتها المختلفة، خاصة فى السياسة الخارجية، فأصبحت البرازيل تعاونها فى ذلك الأرجنتين كدولتين كبيرتين من دول أمريكا اللاتينية الدور الرئيسى فى هيئة الأمم المتحدة من ناحية، وفى مجلس الأمن أخطر أجهزة الأمم المتحدة تحريكاً وتطويراً فى قضايا الدول المختلفة، مما جعلها دولة ذات كيان محورى، قادرة على السيطرة على مُقدرات معظم دول أمريكا اللاتينية، ودفع جميع الدول ذات الصفة الفاعلة على مستوى هيئة الأمم، أن تقوم بدور يعطيها ميزة النفع للغير والانتفاع من الغير، بما يخدم سياستها فى جميع مجالات الأنشطة لها كدولة لها كيانها وقدراتها الصناعية، والتجارية، والثقافية، والاجتماعية، وأيضاً بما عُرف عن البرازيل من أنها بلد تنتج أكبر كمية من البن البرازيلى فى العالم، ونوعيته تعتبر من أحسن الأنواع المنتجة زراعياً، ومن خلال عناية موفقة من فنيى الزراعة، مما أدى إلى إيقاف أسلوب البرازيل الذى كان متبعاً فيما قبل سنوات كوبتشيك، مما أدى إلى إلقاء ما يريدون التخلص منه من بذور البن المنتج فى مياه المحيط؛ حتى لا يهبط سعر البن البرازيلى فى العالم، فأصبح للبرازيل سمعة طيبة ومؤثرة فى تجارة البن، وسعر البن فى العالم.

لم يقتصر اهتمام الحكومة البرازيلية على هذه الأنشطة ، إذ قامت - وباهتمام كبير - بتحويل إمكانياتها فى صناعة الأسلحة إلى مصاف الدول الكبرى المنتجة للسلاح الجيد بجميع أنواعه صغيرة وكبيرة ، وبالتالى الذخيرة اللازمة لجميع أنواع هذه الأسلحة

مع مختلف أنواع المدفعية، وانتقلت إلى صناعة آلات الحرب الأخرى كالدبابة والطائرات إلخ...، والسيارات المصفحة.

وكان طبيعياً إزاء انتشار مصانع الآلات والماكينات ومستلزمات النواحى العسكرية عدم إغفال صناعة السيارات بجميع أنواعها ، الأمر الذى رفع من مكانة البرازيل من دولة مستوردة لمعظم احتياجاتها فى الحركة اليومية كشعب عادى، إلى دولة مصنعة ومنتجة لجميع مستلزمات الحياة السلمية والعسكرية والمدنية بكل متطلباتها.

واستطرد الأخ محمد على؛ لبيان تطور الوضع التجارى للبرازيل، موضحاً أن دخول البرازيل حلبة الصناعة أدى إلى زيادة قدرتها على الإنتاج لجميع الصناعات الصغيرة والمتوسطة والكبيرة ؛ ومن ثم ارتفع إنتاجها إلى كميات متضخمة، أصبحت أكثر من طاقة استهلاكها واستهلاك الدول المشاركة لها فى الحدود أيضاً أى جاراتها؛ مما فتح أسواق التجارة العالمية أمام التجارة البرازيلية، لتأخذ مكانها المرموق كدولة صناعية جديدة، فتحت المجال أمام جميع دول العالم المستهلكة والمستوردة لمختلف البضائع الصناعية والتجارية للمنافسة التجارية، وبالتالى عدم احتكار التجارة وأسعارها كوسيلة لسيطرة بلد واحد أو مجموعة دول مشتركة على الإنتاج؛ لفرض أسعارها على جميع الدول المستوردة، مما يهدد كيان وميزانيات واحتياجات هذه الدول المضطرة للاستيراد ، وبالتالى تعانى من أزمات مالية فى كل أنحاء العالم.

اتساع البرازيل فى مساحتها وبقاء أكثر من ثلاثة أرباع مساحتها مغلفة بالغابات والأحراش لم يُحد من تزايد عدد سكانها، عن طريق نمو المواطنين الأصليين أنفسهم، وهجرة كثير من أسر متعددة من جميع أنحاء العالم إلى البرازيل، واتخاذها موطناً جديداً لهم؛ مما فتح المجال أمام تزايد عدد العاملين فى الزراعة، وساعد هؤلاء المغتربين على امتهان الزراعة كوسيلة رزق، الأمر الذى دفعهم إلى اقتلاع الأحراش والأشجار .وتوسيع الأرض الصالحة للزراعة؛ تمهيداً لزراعتها بمختلف أنواع المحاصيل الغذائية المطلوبة لسكان البرازيل جميعاً، وكل من يهاجر إليها، طالما بقى مجال استزراع الأراضى بعد إعدادها للزراعة مفتوحاً؛ ولذلك بدأ تعداد البرازيل يزداد وبصفة مستمرة من أوائل الخمسينيات، وإن كانت طبيعة الأراضى البرازيلية كما هو معروف من غابات وأحراش تحمل أسفلها أراضى ممتازة خصبة للزراعة لأنها خام ، أما بالنسبة للمياه فيمر نهر الأمازون فى جميع أراضى الغابات، وتجتمع مياه الأمطار أسفل الأشجار الموجودة؛ مما يؤدى لمنع تبخر المياه ، ونتيجة لوفرة المياه أدى ذلك إلى إمكانية الزراعة بصفة مستمرة.

البرازيل هى الدولة الوحيدة من دول أمريكا اللاتينية التى أخذت لغتها ممن استعمرها ، أولاً وهم قراصنة البرتغال؛ ولذلك لا يتكلم اللغة البرتغالية فى أمريكا اللاتينية سوى البرازيل فقط، ولا يعنى ذلك أن اهتمامها بالثقافة بمفهومها العام ينحصر فى الدراسة التفصيلية لجميع نواحى العلم لمختلف اللغات، إلا أنها تركز بصفة أساسية فى جميع أنشطتها الثقافية على كل ما يتعلق بالخلفية التاريخية للغة البرتغالية، والمراجع الأولى التى أثرت على كيان ومسيرة بناء اللغة البرتغالية سواء فى دولة البرتغال أولاً أو فى حياة البرازيل خلال عصر القراصنة البرتغاليين، الذين احتلوها وعمموا اللغة فيها، ومن ثم حدث الترابط ما بين البرازيل والبرتغال، مما دفع البرازيل فى عهدها الجديد المذكور سابقاً للاهتمام الكبير بكل ما يتعلق ثقافياً باللغة البرتغالية.

عانت البرازيل الكثير خلال فترة الاستعمار الأجنبى لأراضى دول أمريكا اللاتينية، وإن كان سكان البرازيل الأصليون من الأصل الهندى قد دافعوا كثيراً فى مواجهة جميع محاولات العدوان المستمر؛ بهدف الاستيلاء على أرض البرازيل، خاصة بعد أن تمكن قراصنة الرقيق الذين احتلوا بعض أراضى شمال أمريكا الجنوبية من استخدام الرقيق فى خدمة أهدافهم الشخصية.

وفيما يتعلق بالمهاجرين من إخواننا عرب الشام إلى البرازيل فلم يجدوا أى صعوبة فى العمل فى مختلف المهن التى سبق وأن مارسوها بوطنهم الأم سوريا أو لبنان أو فلسطين، بل كان لدورهم النشيط، وخبرتهم السابقة فى ممارسة أسلوب التجارة، وإتقانهم لكل فنونها وخبرتها - أثره فى تجارتهم مع المواطنين الأوائل، لتوفيقهم ونجاحهم فى اكتساب ثقة كل من عملوا معهم، وتقدير سلطات الحكم لخبرة ونشاط المهاجرين، الذين وصلوا من سوريا ولبنان وتعاونوا معهم بكل همة ومحبة.

إن من يقوم بزيارة «البرازيل» ويصل عاصمتها «ريودى جانيرو» المعروفة بشاطئها العالمى «كوبا كابانا» لا يتأخر كثيراً فى مواجهة المنظر اللا معقول أو اللا مقبول لسفح الجبل المطل على الشاطئ المشهور، باجتذاب كل زوار البرازيل من شباب العالم للاستمتاع بمياه ورمال الـ «كوبا كابانا» .

إلا أن عاشق البحر بمجرد أن يدير ظهره إلى مياه البحر، وينظر إلى سفح الجبل المطل على مياه البحر وعشاقه، يصاب بالأذى والغضب، ويمزقه الألم عندما تنطبع الصورة المقوتة لحالة المجتمع الذى يعيش فوق سفح الجبل فى أكشاك من الصفيح البالى، المستخدم

فى محاولة ستر عورات سكانها، وتغطية أسرار حياتهم اللاإنسانية، الذى يحرمهم من أى شعور أو إحساس بها سقوط المطر، أو هبوب الرياح التى لا ترحم.

وحين يسأل أحد عن أسباب تراكم هذا الوضع طوال السنين الماضية دونما محاولة لتغيير الصورة المؤذية، نجد الجميع يحاول أن يفهمنا أن السبب الرئيسى فى بقاء الوضع على ما هو عليه مرجعه إصرار السكان الأصليين للبرازيل على الاستمرار فى أكشاكهم الصفيح، الذين اعتادوا عليها وعاشوا فيها، راغبين فى بقاء حياتهم المتعة كما هى ، الأمر الذى لا يقنع أى مستمع بهذا السبب غير المبرر.

من يعيش فى البرازيل خلال السنوات الخمس الأخيرة يجد أن الصورة الكاملة للمجتمع البرازيلى بدأت تتغير إلى حد كبير، بعد أن تطورت الأوضاع فى جميع مجالات الحياة السياسية ، والثقافية ، والاقتصادية ، والصناعية والتجارية، وبدأ المجتمع البرازيلى يمارس نشاطات متعددة اكتسب فنونها نتيجة تطور التعليم ومناهجه، ليغطى جميع احتياجات الحياة، لتتوازن إمكانيات الحياة مع متطلباتها، للدرجة التى أوصلت كثيراً من الباحثين إلى تقسيم المجتمع البرازيلى إلى أربعة أقسام كالآتى :

القسم الأول : ويضم كبار أغنياء البرازيل، الذين جمعوا ثروتهم مكتملة من الاستفادة الكلية بالتغيير المتجدد فى نظام الحياة، وانتقال البرازيل من نظام الاستيراد، إلى نظام التصدير لجميع إنتاجها فى جميع المجالات، أى أنهم يمثلون جميع المسيطرين على الاقتصاد والتجارة والإنشاء والتعمير، وينتهون من سيطرتهم بإحكام قيادتهم للعمل السياسى؛ بما يتفق وأهدافهم الشخصية فى كسب جميع مجالات الحياة.

القسم الثانى : ويضم كل موظفى الدولة، الذين يحصلون على أجورهم مقابل خدمتهم لصالح جماهير الشعب البرازيلى تحت إشراف أجهزة الدولة المختلفة، وفى جميع المجالات من أمن وإنشاء وتجارة واقتصاد ، وهؤلاء يعتبرون فئة تحصل على ما يكفيها لتغطية احتياجاتها المطلوبة لعيش حياة كريمة، بعيدة عن التفاخر والترف اللا معقول.

القسم الثالث : ويضم طبقة العمال الكادحين فى خدمة مختلف أجهزة الإنتاج

الصناعى، والتجارى، والزراعى، والثقافى ، والقطاع الخاص، كذلك عمال خدمة متطلبات الحياة اليومية لمواطنى البرازيل على جميع مستوياتهم.

القسم الرابع : ويضم جميع السكان الأصليين للبرازيل، من ملاكها الأساسيين منذ البداية الذين عاشوا طوال حياتهم يعانون من مختلف وسائل الإرهاب والسيطرة والذل، مع الاقتصار فى حياتهم على ما يمنع وصولهم إلى أقل ما يقتات به البشر، مع استمرارهم فى العيش فى نطاق الصورة البدائية لحياة لا يوجد فى العالم حالياً مثيل لها، إلا فى مناطق البعد عن الحياة الإنسانية الكريمة، فى مناطق اللا مدنية والغابات الاستوائية.



الفصل الثالث

« ساوباولو » مركز عرب المهجر

وقد انتهى المستشار / محمد على من سرد جميع التفاصيل التى استغرقت نحو 4 ساعات متتالية ، الأمر الذى أتاح لى فرصة الإلمام بكل ما قاله من تفاصيل وتفسيرات لعديد من القضايا المتعلقة بالحياة الكاملة لشعب البرازيل، فى حياته الماضية والحالية والمستقبلية، وإشارته عابراً إلى موقف المغتربين الذين عاشوا مؤخراً، وبعد تطور الأوضاع فى البرازيل؛ للمساهمة فى مرحلة التغيير الكامل للحياة البرازيلية؛ لتصبح كما هى عليه حالياً دولة سياسية ، ثقافية ، اقتصادية من كبار الدول المتطورة، إلا أنه ترك موضوع عرب المهجر؛ ليكون استكمالاً منفصلاً، يعبر عن جميع الاحتياجات المطلوب الإلمام بها ، وكذا المعلومات الدقيقة والمهمة لشرح وإيضاح الصورة الحقيقية التى يعيش فى إطارها كل أفراد الجاليات المهاجرة إلى البرازيل من سوريا ولبنان، باعتبارهم الهدف المنشود من لقائنا ، وأصبح السوريون منهم ضمن مواطنى سفارة الجمهورية العربية المتحدة فى البرازيل، بعد إتمام الوحدة بين مصر وسوريا، واندماج الشعبين فى إطار شعب دولة واحدة.

بادر الأخ المستشار /محمد على فوراً ببدء مواصلة شرحه لتفاصيل موقف عرب المهجر؛ ليوضح أن طبيعة الوضع فى البرازيل حالياً، وبعد تطور الأحداث بالنسبة لجميع سكانها، ودخولها مرحلة التطور الجديد، ونظراً للوضع العام لمدينة « ريودى جانيرو » الذى لا يتفق مع الصورة الجديدة للنشاط الاقتصادى والصناعى، وما يتبعه من تطور فى

النظام التجارى، وتعديل فى المجال الثقافى ، لإعداد كل متطلبات الصناعة والزراعة والتجارة، من قدرات فنية لا بد من إعدادها علمياً وفنياً بجميع المختصين؛ لتمكين هذه الأنشطة لتندفع فى مسيرتها بالقدر الذى يدفع الإنتاج الصناعى والزراعى بجميع صوره ليكون مُعداً وصالحاً للتصدير، وبالتالى حاجة التصدير إلى كل الفنيين الاقتصاديين للسيطرة على حركة التجارة والصناعة، ومختلف المجالات المطلوبة؛ لتكون الصورة النهائية قيام الدولة المقتدرة فى جميع مجالات النشاط بمختلف أنواعه، ليعطى الإنتاج رأس مال الحياة الاقتصادية للدولة البرازيلية، دولة المستقبل كما يتصورها ويعمل لها ويبنى لها رئيس جمهوريتها « كوبتشيك »، وحكومته العاملة معه بإيمان واتفاق كلى لمصلحة الشعب البرازيلى؛ ليصبح الشعب القادر على الوقوف صامداً فى حياته، مدافعاً عن حريته وحرية أقرانه من دول الجوار بأمريكا اللاتينية.

ومن هنا كان لا بد أن يتم تغيير مدينة العاصمة «ريودى جانيرو» من عملها فى مختلف المجالات السابق ذكرها، لتكون مدينة السياحة المطلوبة والمرغوبة لكل دول أمريكا الشمالية، وباقى دول أمريكا اللاتينية ، ولذلك اتجه « كوبتشيك » رئيس الجمهورية إلى وضع مشروع بناء العاصمة الجديدة «برازيليا»، لتقام وسط «البرازيل» بكل احتياجاتها كعاصمة تستوعب جميع من يقطنونها من مواطنى «البرازيل»، وزوارها من مختلف أنحاء العالم.

واستقر الرأى على أن تكون «ساو باولو» مدينة الاقتصاد والصناعة والتجارة، وكل ما تحتاجه هذه المجالات من احتياجات؛ لتكون كلها مركزة فى مكان صالح ليكون مركز التصدير الرئيسى بلا مشكلات أو مصاعب، وتوفر ميزانية مالية تغطى كل مستلزمات الحياة لجماهير الشعب البرازيلى.

لذلك كان طبيعياً أن تتركز إقامة معظم عرب المهجر بكل إمكانياتهم الفنية وممارستهم السابقة فى مدينة «ساو باولو»، لتضم جميع المجالات الصناعية والزراعية والتجارية، وليصبح نشاطهم مدعماً، لقربهم وعملهم فى مجال الإنتاج والتصدير بلا مجهود زائد عن الحاجة ، كما أن طبيعة عرب الهجرة الذين هاجروا من وطنهم الأم سوريا أو لبنان كانت تشكل مركز النشاط التجارى للشرق الأوسط، وغالبية نشاط معظم الأسر فى البلدين، وبالدرجة الأولى التعامل فى التجارة، مما أكسبهم خبرة وإلماماً بكل خبايا ونشاطات التجارة ومجالات التحرك من خلالها؛ لرفع الوارد المالى منها ليوازن المصروفات.

وأدى كل ذلك إلى اجتذاب أهالى البرازيل من التجار إلى التعاون الكامل مع عرب

المهجر، والتجاوب الكامل مع كل ما ينسق توزيع الاختصاصات وإتمام الاتصالات بمختلف الأسواق العالمية، بما يؤدى فى النهاية إلى تحقيق الأرصدة المأمولة، والكافية لإشعار مواطنى البرازيل بتطوير حياتهم من الحاجة على قدر المعرفة إلى القدرة على الإنتاج من أجل الكسب، ونتيجة لهذا الوضع الجديد بدأت أنشطة عرب المهجر مُركزة فى مدينة «ساو باولو»؛ ولذلك أصبح من الضرورى كى نجيب على جميع الاحتياجات المطلوبة للرئيس عبد الناصر أن يتم اللقاء بمدينة النشاط الرئيسى «ساو باولو»؛ لنحصل على جميع تفاصيل الإجابات الحقيقية والمتطابقة مع الأوضاع الحالية بـ « البرازيل».

وتم الاتفاق بينى وبين المستشار /محمد على - بعد أخذ موافقة السفير /جمال الفرا -على السفر معاً بالسيارة إلى «ساو باولو»؛ للقاء رؤساء الجاليتين السورية واللبنانية ، والحصول على جميع مطالبنا منهم ، والعودة إلى «ريودى جانيرو» للقاء رؤساء الجاليتين السورية واللبنانية الموجودين بها، نظراً لأن كثيراً من أُسر المهاجرين ما زالت مقيمة فى منازل تملكوها فى العاصمة القديمة، وأولادهم ملتحقون بمدارس العاصمة «ريودى جانيرو»، مما يسمح لى عقب عودتى بأن أستكمل أى نقص محتاجه من رؤساء الجاليات بـ «ريو»، بالإضافة إلى أننى علمت بتفاصيل نشاط النوادى المتفرقة على أسماء محافظات سوريا ولبنان، الأمر الذى يتعارض مع موقفنا فى دولة الوحدة، الذى يلزمنا منطقياً بأن نوحد كلمتنا وآمالنا فى مستقبل واحد سليم، بدلاً من توزيعنا لأنفسنا على نواد تستقطب كل إمكانياتنا المالية لمصلحة عناصر يهودية تقف خلف الستار وراء من يشجع نوادى القمار المنتشرة فى «ريو»، ليستثمروها فى دعم دولة إسرائيل، ولتشجيع عدوانها على إخواننا العرب فى فلسطين.

وغادرت بصحبة الأخ المستشار /محمد على «ريو» فى طريقنا إلى «ساو باولو»، مستقلين سيارته الخاصة ، خاصة أن المسافة بين «ريو» و«ساو باولو» لا تتعدى مائتى كيلو متر قطعناها فى بحر ثلاث ساعات فقط، واتجهنا مباشرة إلى منزل السيد /حميد الأتاسى - عميد الجالية السورية - ومن كبار رجال الأعمال المهمين ذوى النفوذ الطيب بـ «ساو باولو»، الذى استقبلنا بترحاب كبير، مشيراً بتلقى جميع أبناء الجالية السورية وصول الأخ ممثل الرئيس الزعيم جمال عبد الناصر بالسعادة والسرور، معربين عن أملهم جميعاً فى اللقاء العاجل بمندوب رئيس الجمهورية العربية المتحدة؛ ليستمعوا إلى جميع أخبار الوحدة التى تمت بين سوريا ومصر، والتى حققت الآمال الكبرى التى ظلت الشعوب العربية تنتظر تحقيقها منذ زمن بعيد ، وليتم فى هذا اللقاء المنتظر الإعراب عن حقيقة مشاعرنا الفياضة بالاعتزاز والهناء، شاكرين الله العلى القدير على نعمته المأمولة

لشعوبنا بإتمام باكورة الوحدة العظيمة بين مصر وسوريا، داعين الله الكريم ألا يحرمنا فى القريب العاجل من إتمام الخطوة التالية، بانضمام باقى الشعوب العربية إلى الوحدة الباكورة؛ لنعيش أيامنا القادمة سعداء أحراراً قادرين على رفع أعلام النصر التام بعد إزاحة كل من عادانا كأمة عربية واحدة، بعيداً عن أرضنا الحرة الأبية، ولتأخذ أمتنا العربية مكانها العالى القوى وسط كبار دول العالم الحرة المتحضرة ذات الكلمة المسموعة عالمياً بفضل رعاية الله السميع العليم.

وأبلغنى الأخ حميد الأتاسى أننا سنجتمع بجميع رجال الجالية السورية الساعة السابعة مساء اليوم 28 يوليو، بالنادى السورى؛ ليلتقوا جميعاً بالسيد مندوب الرئيس عبد الناصر؛ للترحيب به، وليستمعوا إليه فى كل أخبار دولة الوحدة، وتطورات الأوضاع بالوطن الأم ، والمزايا التى حققتها دولة الوحدة لمصلحة جماهير الشعبين السورى والمصرى.

وأعتقد أن الأخوة أبناء الجالية اللبنانية لا شك سيسعدهم كثيراً أن تخطرهم بوصول رسول الزعيم عبد الناصر؛ ليجتمعوا به لسببين رئيسيين، أولهما : التهنئة بإتمام الوحدة بين مصر وسوريا ، وثانيهما : الاستفسار عن موقف لبنان من الانضمام لدولة الوحدة العظيمة، مشيراً إلى الجدل الطويل والمستمر لمناقشة وضع الجمهور اللبنانى فى بيروت، ورغبة جميع الأخوة اللبنانيين فى التعرف على حقيقة آراء الشعب اللبنانى الذى يهمه وبصفة مستديمة الارتباط بسوريا، لما يعنيه ذلك من فوائد عديدة؛ سياسياً، وعسكرياً، وثقافياً، واجتماعياً، وتجارياً، خاصة بعد أن تمت وحدة مصر وسوريا، التى تضم جميع التطلعات إلى المستقبل المشرق، وتحقيق الحياة الحرة الكريمة لكل شعوب الوحدة المرتقبة.

وجاء ردى على حديث الأخ حميد الأتاسى بموافقتى - وبكل سرور - خاصة أن تعليمات الرئيس جمال عبد الناصر لى ركز فيها على ضرورة اجتماعى بالأخوة السوريين واللبنانيين والفلسطينيين، مع دراسة الحالة العامة لحياتهم وطبيعة أعمالهم؛ للاطمئنان على تمتعهم بمعيشة كريمة، والاهتمام بتفهم طبيعة تعاملهم مع سلطات وجماهير دول المهجر، لنضمن توفير جميع المساعدات الممكنة لتحقيق الحياة السعيدة لهم.

واستأذن السيد /حميد الأتاسى فى اصطحابه لى ، والمستشار /محمد على للقيام بجولة بسيارته على «ساو باولو»؛ للتعرف على جميع أنواع ومجالات النشاط التجارى الذى تتميز به المدينة، باعتبارها أصبحت تمثل المركز الرئيسى لكل مجالات النشاط الاقتصادى والحركة التجارية وبالذات بالنسبة لمعظم الأخوة العرب المهاجرين إلى البرازيل،

الذين يسيطرون على أكثر من 75% من تجارة البرازيل، سواء بالنسبة للاستيراد الدولى أو التصدير إلى جميع دول العالم، وابتسم وهو يقول : وطبعاً لا تقتصر صادرات البرازيل على البن البرازيلى كما يتصور ذلك الكثيرون من سكان دول أوروبا وآسيا.

وهنا طلب الأخ محمد على، مستشار السفارة، إعفاءه من هذه الجولة، باعتباره على علم ودراية تامة بكل ما يتعلق بـ «ساو باولو»، ولديه مهمة كلفه بها السفير /جمال الفرا لإتمامها، وسينتهز وجوده الحالى لإنجازه المطلوب، وسينضم إلينا بمجرد انتهائه من قضاء المهمة بمبنى الفندق، لنتناول الغداء بمطعم الفندق معاً وسيواصل الارتباط معنا فى كل ما يتعلق باللقاء المرتقب مع الاخوة قادة الجالية السورية ، وتركنى فى صحبة الأخ حميد الذى رافقته فى سيارة ليبدأ جولته المهمة والممتعة بجميع مناطق «ساو باولو» الصناعية والتجارية كما سأوضح فيما يلى :

بدأ بمرورنا على السوق التجارية للمدينة، المتميزة بدقة التنسيق فى توزيع مختلف أنواع النشاط التجارى للعديد من الصناعات المحلية البرازيلية سواء الملابس القطنية ، أو الصوفية ، أو النايلون بجميع أنواعها، وكل ما يخص الملابس والمختصين بها من التجار، وإن كان التركيز واضحاً لتسهيل مهمة المشترى، ليدور فى بحثه عما يريده فى أضيق نطاق وبلا مجهود غير مطلوب.

وانتقلنا فى المرحلة الثانية من السوق التجارية لنرى محال كل ما يتعلق باحتياجات شئون الأسرة المنزلية من لوازم الراحة، من موبيليا ومفروشات بجميع نوعياتها، ليكتمل شراء كل متطلبات تأثيث المنزل من منطقة مترابطة ببعضها؛ لتتم المهمة بيسر وبلا مجهود.

وتنتهى السوق التجارية بسوق الفاكهة والخضار، التى تضم الأنواع المختلفة من أنواع الأغذية الطازجة المنتجة محلياً، أو المستوردة من أى دولة أخرى، مع اهتمامهم بتأمين صلاحيتها لغذاء البشر، بعيداً عن أى ضرر؛ حفاظاً على صحة المواطنين.

وقد أُعجبت بنظام التسعيرة الواحدة، التى يحكمها - أساساً - مصاريف صناعة الشىء المباع ، وعلى سبيل المثال إذا كان الشراء لتايير أو بدلة يتم وضع سعرها تبعاً لتكاليف صناعتها، بما فيها ثمن القماش، إلا أن الملبس المطلوب لجسم نحيف يتم تسعيره أقل من الجسم الضخم؛ نظراً لاستهلاك النحيف أو النحيفة لقماش أقل من السمين أو السمينة، لذلك الملبس نفسه يزداد بقيمة القماش المستخدم، وهكذا الحال بالنسبة لجميع البضائع بما يؤكد أنه لا وجود لأى أطماع أو زيادة أسعار لممارسة الغش التجارى ... إلخ.

وزاد من إعجابى وسعادتى أن ألاحظ وأتأكد خلال مرورنا؛ للاطلاع على السوق التجارية أن أغلبية الباعة المتولين لجميع أنواع التعامل التجارى سواء كانوا أصحاباً للمتاجر المختصة، أو المتعاملين مع رواد المحلات فى البيع، معظمهم من المهاجرين العرب المتمرسين فى عملهم بكل أدب وفن واضح.

انتقل بى الأخ حميد إلى النشاط التجارى العالمى؛ لأجدنى فى حى من العمارات الضخمة المصممة لتكون معدة لتستوعب العديد من المكاتب التجارية الدولية؛ لتتناول فى نشاطها نوعاً واحداً من بضائع التصدير التى يتنافس فى تصديرها لمختلف دول العالم عدد من كبار التجار المتخصصين، إما فى تصدير نوع معين من البضائع أو أكثر من نوع واحد من البضائع، مرتبطة ببعضها فى الاستخدام، وعلى سبيل المثال، تصدير حديد التسليح والأسمنت والخشب المستخدم فى الإنشاءات العقارية، وجدت لها خمس شركات تجارية تتعامل فى تصدير البضائع الثلاث : الحديد والأسمنت والخشب جميعها تتنافس فى تجارة تصدير هذه البضائع إلى جهات متعددة من دول العالم، إلا أن إنتاج هذه الأصناف الثلاثة من البضائع لها أسواق عديدة من دول العالم، الأمر الذى يتيح لخمس شركات تجارية مقرها «ساو باولو» أن تتاجر فى تصدير البضائع الثلاث، أو صنف واحد حسب حاجة الدولة المستوردة.

أما الشركات التى تتعامل فى تصدير البن البرازيلى فهى تتعامل فى صنف واحد، ورغم ذلك تتطلب السوق العالمية كميات كبيرة من البن البرازيلى، مما يسمح بأكثر من شركة لتتنافس فى تصدير البن، حسب احتياجات كل دولة وفى أى مكان فى العالم؛ نظراً لضخامة إنتاج البرازيل من البن.

وهكذا مررنا فى جولتنا على العديد من عمارات النشاط التجارى الدولى، وقد سررت كثيراً، لأجد معظم هذه المكاتب التجارية يرأسها أخوة عرب مهاجرون من سوريا ولبنان، وجلست والصديق حميد مع البعض منهم وتناقشنا فى جميع أنواع الأنشطة التجارية التى يقومون بممارستها بنجاح بحمد الله وتوفيقه؛ الأمر الذى أكسبهم ثقة السلطات البرازيلية، ورفع من شأنهم فى جميع أنحاء دولة البرازيل، ويتمتعون بتقدير واحترام سلطات الحكم والحكومات، مهما تغير أعضاؤها، وأصبح بينهم وبين مواطنى البرازيل رباط أخوى قوى ومتين، مما دفع الأخوة البرازيليين لأن يعتمدوا على المهاجرين العرب فى كل ما يحتاجون إليه من معاونة أو تأييد فى حياتهم على المستويين الدولى والمحلى.

وانتقلنا إلى منطقة تجارة الأسلحة والمعدات العسكرية، التى بدأت تزاول نشاطاً دولياً مؤخراً، مما أكسبهم سمعة دولية فى هذا المجال، وهو أمر دفعهم إلى مناقشته فيما بينهم كمهاجرين عرب، واتفقوا على مراعاة الحرص والحذر فى نشاطهم فى هذا المجال، وفى حدود؛ ليكتسبوا ثقة العالم الخارجى وبالذات الدول الصديقة للعرب.

وقد اتفقت مع الصديق حميد على الاكتفاء بما ألمت به من معلومات حتى الآن، تاركاً البقية المطلوب الحصول على كل ما يتعلق بها من معلومات إلى المساء، حين نجتمع بالأخوة قادة الجالية السورية؛ فى المساء لنستكمل الكثير من المطلوب تجميعه، لعرضه على الرئيس جمال عبد الناصر، طبقاً لتعليماته، بالإضافة إلى حرصى على الالتقاء بالأخوة قادة الجالية اللبنانية فى «ساو باولو»، ثم استكمال بقية الصورة الكاملة لأوضاع الأخوة عرب المهجر من سوريا ولبنان المقيمين بـ « ريودى جانيرو » .

وعدنا إلى الفندق، لنجد المستشار /محمد على فى انتظارنا، حيث كانت الساعة قد قاربت الثانية والنصف بعد الظهر، وحاولنا بكل وسيلة مطالبة الأخ حميد الأتاسى بالبقاء معنا؛ لتناول الغداء بالفندق، إلا أنه اعتذر؛ لارتباطه بأمور خاصة، مبدياً أسفه الشديد مع حرصه على المرور علينا بالفندق الساعة السابعة مساءً؛ ليشاركنا التوجه إلى النادى السورى، للقاء السادة قادة الجالية السورية، الأمر الذى ينتظرون إتمامه بكل سعادة وسرور كما أبلغنا الأخ حميد الأتاسى عميدهم بـ « ساو باولو ».



الفصل الرابع

الجالية السورية بـ « ساو باولو »

وصلنا النادى السورى بـ «ساو باولو» فى تمام السابعة مساءً، لنجد مجموعة القيادات السورية لجميع مجالات النشاط للأخوة السوريين المهاجرين للبرازيل، والذين بلغ تعدادهم حوالى 45 قيادياً على وعى تام بحقيقة ما هو مطلوب منهم، كقادة يديرون عملهم بأسلوب قيادى، بعيداً عن أى تصرف فردى لا يتماشى مع طبيعة مسئولياتهم، الأمر الذى جعلنى أشعر بما وصفته لشخصياتهم بمجرد لقائى بهم، وتحيتهم لشخصى وتقديم كل واحد منهم لنفسه، موضحاً قيادته لمجموعة عاملين معه فى نوعية العمل الذى يقومون به بصورة مركزة، موضحاً قدرتهم الإنتاجية ، وسنوات حصولهم على الخبرة المطلوبة لنجاحهم فى توفير كمية الإنتاج التى وصلوا إليها والأسواق الخارجية الدولية التى تستورد إنتاجهم.

وهكذا استغرق استقبالهم الفريد والممتاز، الذى جعلنى ومن خلال سلامى على قادة العاملين فى مختلف المصانع المختصة بجميع نوعية الإنتاج الصناعى لكل الصناعات المتوافرة بمدينة «ساو باولو» والمسئول عنها الأخوة المهاجرون السوريون، وفيما لا يزيد عن نصف ساعة، أن أتمكن من استيعاب كل المعلومات التى تتعلق بالإنتاج الصناعى للبرازيل، والجهة التى تستورد احتياجاتها منها.

وهكذا كان التلقين الممتاز أيضاً للأخ حميد الأتاسى - عميد الجالية السورية - المهاجرة إلى «ساو باولو» أكبر الفائدة فى توفير الوقت الكامل لفترة الاجتماع بالأخوة القادة

الـ «٤٥»؛ ليناقش فيها كل ما دار خلال الاجتماع بهم من استجوابات وأسئلة، ومناقشة الكثير من المواقف والآراء والاستفسارات التى وجدوا فى كونى ممثلاً للرئيس جمال عبد الناصر الزعيم المتربع على القمة ما يتطلعون للإلمام بالكثير من أفكاره وأعماله وآرائه.

وما أن انتهيت من التحية والسلام على المستقبلين حتى جلسنا فى دائرة متسعة فى قاعة الاجتماعات بالنادى، وبدأت كلمتى معهم موضحاً أننى حضرت إلى البرازيل بتكليف من الرئيس جمال عبد الناصر، فى أعقاب إتمام الوحدة السورية - المصرية فى دولة الجمهورية العربية المتحدة، حيث كنا فى ذلك الوقت نقيم أسبوعاً تقريباً فى دمشق، يقوم فيه الرئيس عبد الناصر بجولات على فترات لزيارة مختلف المدن السورية؛ إرضاء لرغبات وطلب إخواننا أبناء الجمهورية السورية، حتى يتم اللقاء ويطمئن كل من انضم إلى الوحدة المصرية - السورية، وليكون عن اقتناع بعد لقاء الزعيم الذى يتطلع كل فرد فى الشعب السورى للقائه والتعرف على شخصيته، لتطمئن القلوب، وتهدأ النفوس، وينتهى كل ما قيل عن الحرمان من لقاء القادة المسئولين، طالما أن قدرته على توجيه ما يريد أن يستفهم عنه ممكنة، وبصورة مباشرة من الرئيس عبد الناصر.

وحين بدأت إجراءات ضم نظام الدولتين فى دولة واحدة جاء الدور على وزارتى الخارجية فى سوريا ومصر؛ لتحقيق الالتحام ما بين السلك الدبلوماسى لكلتا الدولتين فى سلك دبلوماسى عربى واحد.

وحين سمع الرئيس عبد الناصر كلمة وزير شئون الخارجية والهجرة، وجد نفسه محتاجاً إلى لقاء كل من هاجروا من سوريا، وأضاف إليها لبنان أيضاً، بعد أن توافدت الوفود اللبنانية على دمشق؛ للتهنئة بالوحدة، وليسمع منهم رغبتهم فى انضمام لبنان إلى دولة الوحدة؛ ليسرى عليهم ما يتم وضعه من نظام لجمع السورى والمصرى فى إطار واحد .وهنا استدعانى الرئيس عبد الناصر وناقشنا معاً وضع الهجرة السورية - اللبنانية -الفلسطينية، وعرضت عليه ما قمت به من أبحاث فى هذا الشأن عن الأسباب الرئيسية التى ترتب عليها إبعاد العديد من أبناء الوطن الأم، للاغتراب ثم الهجرة، بواسطة الاستعمار العثمانى الذى اتخذ من هذا الأسلوب طريقاً للتحكم والسيطرة على مصالح وثروات جميع أجزاء الوطن العربى، بالضغط المستمر على أبناء الوطن السورى واللبنانى إلى الرحيل، كمهاجرين إلى القارة الأمريكية اللاتينية، مزودين بجواز سفر تركى؛ تغطية لطردهم من بلدهم، وإشعار حكومات المهجر بأن من وصل إليهم بجوازات سفر تركية هو أسلوب طبيعى تقدمه السلطات العثمانية؛ لإتاحة الفرصة أمام أبناء وطنهم للمعيشة

فى أوطان جديدة؛ وليمارسوا بها مختلف أوجه النشاط فى الصناعة والتجارة وكل نواحى الحياة.

وما أن هُزمت الدولة العثمانية فى الحرب العالمية الأولى حتى انبرى كل من الاستعمار الفرنسى والبريطانى، ليمارسوا استكمال خطة الاستعمار العثمانى فى ترحيل أعداد جديدة من الأسر السورية واللبنانية والفلسطينية، خاصة بعد ما أعلن بلفور البريطانى وعده المشهور؛ ليتيح لليهود مكاناً جديداً يخدم الاستعماريين البريطانى بداية ثم الأمريكى؛ ليهيئ لليهود إقامة مريحة ميسرة على حساب الشعوب العربية.

وبناء عليه قرر الرئيس عبد الناصر سفرى إلى دول أمريكا اللاتينية التى استقبلت جميع المهاجرين من الدول العربية، وبالذات من دول بلاد الشام السابقة- وعُرفت فيما بعد بـ سوريا، ولبنان، وفلسطين، والأردن - باعتبار أن ما لدينا من معلومات مؤكدة من خلال سفاراتنا فى دول أمريكا اللاتينية أجمع على أن عرب المهجر الفعليين يبلغ تعدادهم كالآتى:

-شيلى : مليون ونصف المليون فلسطينى.

-الأرجنتين : مليونا سورى ولبنانى.

-البرازيل : مليونا سورى ولبنانى.

هذا بالإضافة إلى وجود بعض الجاليات التى لا يتعدى تعداد سكانها أكثر من خمسة آلاف إلى عشرة آلاف نسمة، موزعين على كثير من الدول الصغيرة كـ «بنما»، و «أوروجواى ، و «بيرو»، عدا الولايات المتحدة التى يوجد بها نحو مائة وخمسين ألف أسرة مقيمة كهجرة، ونحو خمسين ألفاً كاغتراب لفترات فى انتظار الموافقة على الهجرة، وتتركز معظمها فى ولاية «سان فرانسيسكو» وجزر «هاواى» و«هونولولو» على المحيط الهادى.

واستقر رأى الرئيس عبد الناصر بعد مناقشة على تحملى مسئولية السفر والمرور على جميع الدول السابق ذكرها، والمقيم بها كل الجاليات العربية والمعروفة بـ «عرب المهجر»، لتميزها بصفات جديدة فى سلوكها، وثقافتها، وأسلوب عملها، واتساع دائرة نشاطها واندماجها فى ارتباط كامل من خلال اندماجهم مع مواطنى البلاد التى هاجروا إليها، وتحدد سفرى أواخر شهر يونيو ١٩٥٩، ووضع ترتيب السفر لأبدأ بـ « الولايات المتحدة » أولاً للقاء جميع المسئولين من المهاجرين والمغتربين، ثم أغادر «سان فرانسيسكو»

إلى «المكسيك» ومنها إلى «بنما» ثم إلى «شيلى فـ «الأرجنتين» فـ»أوروجواى« فـ « البرازيل» : للاطلاع على الوضع الكامل للأخوة المهاجرين بتفاصيل حياتهم وعلاقتهم بسلطات دولة المهجر، ونظام المعيشة والاطمئنان على أن كل فرد يعيش معيشة كريمة مريحة.

وحينما بينت تفاصيل النشاط اليهودى المعروف لدينا بالدول نفسها التى تمت هجرة عرب المهجر إليها، ركز الرئيس عبد الناصر فى تكليفه لى على أهمية الدراسة التفصيلية لأوضاع الجاليات اليهودية، ومجالات نشاطها، وحركتها ومدى علاقتها بسلطات دولة المهجر، وعما إذا كان لوجود هذه الجاليات اليهودية نشاط واضح ضد عرب المهجر، بما فى ذلك محاولة تجنيد بعض أبناء المهاجرين لمصلحة نياتهم العدوانية ضد الأمة العربية.

اهتمامات الجالية السورية :

بدأ أحد القادة السوريين حديثه ليعبر عن اهتمامهم الكبير بكل ما حدث فى وطنهم الأم سوريا قبل، وبعد إتمام الوحدة المصرية - السورية، وسعادتهم الكبرى بوجود الرئيس جمال عبد الناصر على أرض سوريا، فى أيام كانت بمثابة الفتح الكبير للخير والبركة التى حلت بأرض سوريا، واستمتع بها كل الشعب السورى، والاعتزاز الكبير الذى أظهره إخوانهم السوريون باستقبال الزعيم عبد الناصر، هذا الاستقبال الذى دوى فى العالم كله وجعل مختلف صحف وأجهزة الإعلام تصف وتشرح روعة محبة الشعب السورى لـ» عبد الناصر» ، مما جعلهم جميعاً يشعرون بافتقادهم مثل هذا المشهد الذى حرموا منه لوجودهم بعيداً عن الوطن ، فى وقت نال فيه الوطن أسعد أيام العمر وأشرف استقبال لأب وقائد وزعيم وأخ للشعب السورى، منهياً كلمته بإيضاح أنه بكلمته هذه يعبر عن مشاعر جميع إخوانه الجالسين حولنا، ويسعدهم طالما لم تتح لهم الفرصة ليلتقوا بـ «الزعيم عبد الناصر» ، أن يحضر إلى موطنهم الجديد زميل عبد الناصر ليحييهم نيابة عنه، وهو أمر أسعدنا جميعاً، وجعلنا نشعر بما يعنيه ويود إيصاله إلينا عبد الناصر، الزعيم والقائد من حب وتقدير، فشكراً لله، وشكراً لـ « عبد الناصر» ، وشكراً لزميل ومندوب عبد الناصر.

وقام الأخ ليوجه لى السؤال التالى : لقد تابعنا كل ما دار فى التحضير لعملية الوحدة بين مصر وسوريا، والتى ذُكرت بتفاصيلها فى الصحافة العربية والأجنبية على السواء، إلا أننا جميعاً - وبحكم معيشتنا الطويلة قبل الهجرة من سوريا والتى تمت منذ خمس سنوات وأكثر قليلاً - عشنا على أرض سوريا وفى محيطها السياسى، والاقتصادى،

والاجتماعى، والثقافى ، وعانينا الكثير من جميع القوى الحزبية التى أعلنت بعد قيام ثورة ٢٣ يوليو أنها قوى تقدمية تؤمن بالقومية العربية بمفهومها الكامل، وارتباط الأمة العربية ومستقبلها بضرورة ارتباط جميع الشعوب العربية فى إطار عقيدة عربية وطنية قومية واحدة ، وتمت الوحدة بعد الإعداد لها ولم نر أو نسمع ما يشرح صدورنا، ويهدئ ما فى نفوسنا من مخاوف وأخطار تفاجئ المسيرة القومية، لتطبيق عقيدة الوحدة الصحيحة بين شعوب الأمة العربية، لألاعيب السياسة التى يتقنها كل المتحزبين، سواء كانوا رجعيين أو إقطاعيين أو انتهازيين و مدعى التقدمية، وجذور فكرهم تبحث عن منافعهم الشخصية، وتطلعاتهم اللا متزنة والمستندة إلى دعم خارجى على حساب الوطنية السليمة.

فهل هناك ما يُطمئن؟ وبالقطع كنتم من أقرب الناس باعتباركم المسئول عن كل الشئون العربية كما عرفنا مؤخراً وكنتم قريبين ولديكم صورة كاملة لما يحدث، واشتركتم فيها فى الإعداد وفى التنفيذ، فهل نحن على حق فى تفكيرنا وتخوفنا؟ أم أن هناك ما يجعلنا نطمئن ونسعد، بلا تراجع أو إعادة تفكير فيما لا يجب أن يغير من مشاعرنا نحو هذا الفوز الكبير بنجاح إقامة الوحدة بين مصر وسوريا ؟

وجاء ردى لأوضح له أن عملية الإعداد للوحدة رُكزت فى أيدٍ أمينة، فكان على رأس الجانب السورى الرئيس : شكرى القوتلى، وعلى الجانب المصرى الرئيس : جمال عبد الناصر، وقد اشترك كثير من الضباط السوريين ممن كانوا موضع ثقة الإخوة السوريين جميعاً والشىء نفسه بالنسبة لمصر، أما عن الحزبيين فقد اشترك بعض من نثق فيهم فى المشاركة بعد ترشيح الإخوة الضباط السوريين لهم، ولذلك لا أجد حالياً أى مبرر للتخوف، وأؤكد لكم أننا نخشى كثيراً من أى خطأ يؤثر على هذه الوحدة، باعتبارها الابنة البكر لتطلعنا الكبير لوحدة الأمة العربية.

طلب أخ ثالث توجيه السؤال التالى إلىّ : أشرت سيادتك إلى النشاط اليهودى منذ بداية تهجير الأسر الشامية - بمفهومنا القديم والثلاثية بمفهومنا الحالى سوريا ولبنان وفلسطين - بالإضافة إلى أن المخطط اليهودى - كما وضح لجميع العرب - هدفه الرئيسى تحطيم الوحدة العربية مهما كانت ، وعدم تمكين أى دولة عربية من الالتحام بشقيقتها، مستعينة بالتأييد الأمريكى والبريطانى، مدعية أنها وُجدت فى موقعها الحالى فى الشرق الأوسط؛ لخدمة المصالح الغربية وبالذات الأمريكية والبريطانية . فما رأيكم فيما ستفعله أو تقوم به من مشكلات وخطط بعد إتمام الوحدة ؟

وجاء ردى : هناك اقتناع كامل لدى جميع الدول العربية التى تؤمن قيادتها بالقومية العربية كعقيدة على طريق إتمام الوحدة العربية للأمة العربية كاملة، إلا أن متابعتنا لمختلف الأنشطة التى تسلكها دولة إسرائيل ويعاونها أمريكا فيما يسمى باللوبى اليهودى، الذى يتحكم كثيراً فيما يتعلق بالشرق الأوسط من سياسات أمريكية، يقف فى وجهها النشاط اليهودى؛ لعرقلة أى تفاهم أو تعاون ما بين أى دولة عربية وأمريكا وإنجلترا بصفة مستمرة، إلى جانب أن مساعدة الولايات المتحدة الأمريكية وموقفها خلف كل نشاط تقوم به دولة إسرائيل، وما يخطط لها من أفراد الصهيونية العالمية دفعت إسرائيل إلى العمل بصفة مستمرة على الإيقاع بين الدول العربية وبعضها البعض، مستفيدة من أطماع بعض القادة العرب غير المؤمنين بالوحدة العربية أو التعاون العربى السليم، معتقدين أن حكمهم واستقراره مرتبط بالدرجة الأولى بتأييد الولايات المتحدة الأمريكية لهم، مما يعوق أى تجاوب منهم لأى عمل قومى عربى سليم، بالإضافة إلى تعاونهم مع دولة إسرائيل - تحت ضغط اللوبى الأمريكى الموجه للسياسة الأمريكية - فى إقناع حكام هذه الدول العربية الذاتية بالتفكير والتقدير لأسلوب التعاون العربى السليم.

ولا يفوتنى هنا ما أوصانى به الرئيس جمال عبد الناصر، ضمن مسئولية مهمتى بأن أوجه نظر الأخوة عرب المهجر من السوريين أو اللبنانيين أو الفلسطينيين والأردنيين لما تقوم به الصهيونية العالمية من نشاط بدول أمريكا اللاتينية، يرتكز أساساً على مركز التجمع الصهيونى بـ «بيونس أيرس»، عاصمة الأرجنتين، التى يقيم على أرضها كمهاجرين أيضاً أكثر من نصف مليون يهودى، هدفهم الرئيسى السيطرة على الأوضاع الاقتصادية بالأرجنتين، ومحاولة هدم أى تعاون أو تفاهم بين عرب المهجر ومواطنى الأرجنتين، وبالذات أى ارتباط ما بين قادة عرب المهجر، وسلطات الحكم الأرجنتينية، الأمر الذى اكتشفه رئيس جمهورية البرازيل « فرونديزى » وتخلص من جميع العناصر التى اتخذت من الأرجنتين مركز نشاط لنشر جميع أنواع القمار؛ لتأخذ حصيلة سرقتها الناتجة من سيطرتها على إدارة موارد القمار لمصلحة النشاط الإسرائيلى، بالإضافة إلى اكتشاف ممارستهم لنظام البغاء الرسمى؛ لسلب نقود الأهالى، واستثمارها لمصلحتهم الشخصية . وأصبحت الأرجنتين إلى حد كبير تُسيطر عليها بمعرفة السلطات الحاكمة، محذرة اليهود المقيمين بها من أى عمل يمس أمن الأرجنتين.

وتطرقنا إلى موضوع النوادى الاجتماعية، وطلبت من الأخوة الاستماع إلىّ فيما يتعلق بنظام النوادى المتبع حالياً بين جميع الأخوة عرب المهجر، والتجاء الجميع إلى انقسام كل جالية كبيرة إلى جاليات مرتبطة ببعضها، من خلال الإقامة الأصلية لهم فى الوطن الأم ، حيث كانوا مجتمعين جميعاً فى محافظة واحدة تعلوها بعد هجرتهم ووصولهم واستقرارهم بالوطن الجديد إلى إنشاء نواد لكل جالية من محافظة لتصبح صاحبة نادى حمص، ونادى حماة، ونادى حلب ... إلخ ، وأثار هذا التوزيع نوعاً من

الفرقة الإعلامية عن نيات مبيتة فى النفوس؛ للفصل ما بين أبناء الوطن الواحد، مما أثار احتمال أن يكون دور اليهود قائماً فى هذا المجال؛ بهدف التفرقة الكاملة بين أبناء الوطن الواحد، وبالتالى يكون هذا هو الهدف الرئيسى من هذا الاتجاه، خاصة وأنها محصورة فى الأخوة اللبنانيين، والأخوة السوريين فقط مما يظهرها بأنها امتداداً للتفرقة المتسلسلة خلال سنوات القدم من عهد معاوية بن أبى سفيان حتى يومنا هذا، لإيجاد نوع من العداوة المبغوضة دينياً وأسرياً وقومياً ووطنياً. مثل هذا التوزيع للنوادى له خطورة حالية؛ لمظهرها الواضح الدال على انعكاسها على مفهوم الارتباط بسياسة الوحدة فى الإيمان بوحدة الكلمة، ووحدة المستقبل، ووحدة الارتباط بالوطن الأم ... إلخ ، وهو أمر يعكس نفسه ويتعارض مع جميع الآمال المعلقة على مفهوم الوحدة السياسية، والاقتصادية، والثقافية، واللغوية، والاجتماعية؛ نظراً لأننا فى عهد كل آمالنا تنطلق فى الوصول إلى تحقيق الوحدة السياسية للأمة العربية بكامل مجالاتها، الأمر الذى يدفعنا إلى ضرورة التفكير السليم البعيد عن الالتزام بمفهوم خاطئ يضر بآمالنا وأهدافنا السامية ، وضرورة توحيد اسم النوادى كلها فى ناد واحد، والتصرف فى هذا الشأن فى إطار من الإيمان بمفهوم الوحدة لجميع مجالات الحياة للأمة العربية كلها إيماناً وموقفاً وعملاً.

طلبت من الأخوة الحاضرين الواعين لكل كلمة قيلت أو نوقشت أو طرحت؛ لتفسيرها تفسيراً سليماً ودقيقاً كى أنقل لكم - وبكل الاهتمام - ما طلبه منى الرئيس جمال عبد الناصر أن أُبَلّغكم إياه، وهو الارتباط الوثيق بين الوطن الأم والوطن الجديد ، وبغير هذا الارتباط تتفتت قوتنا، وتذهب فى إطار من الضياع وسط مختلف التجمعات الدولية، حيث تسعى كل الشعوب إلى الارتباط فى نطاق كيان واحد يضم أصحاب المصلحة الواحدة المرتبطة قدراتهم وإمكانياتهم فى تسيير حركتها فى الاتجاه السياسى، والاقتصادى، والاجتماعى، والثقافى الواحد.

ما أن أتممت كلمتى حتى طلب منى الأخوة الحاضرين إعطاءهم الفرصة؛ ليتناقشوا فيما بينهم بشأن ما يعتزمون القيام به من إجراءات، ليصل كل ما تم فى هذه الجلسة إلى جميع أبناء الجالية السورية بـ«ساو باولو»، والقرارات التى يعتزمون اتخاذها بشأن كل ما وجهتهم إليه من نصائح، تفيد مسيرة العمل، بعيداً عن أى تضارب خارجى، أو تدخل من الأعداء، وبالذات عملاء الصهيونية العالمية، وأنهم سيخطروننى بعد تناول طعام العشاء بكل ما سيتخذونه من إجراءات.

واتخذت فترة العشاء صورة واقعية سيطر فيها النشاط الذهنى والمناقشات على العقول، لما دار بينهم من مناقشات، أصبحت ملماً بها أكثر مما كانوا سيقولونه لى، واستمعت إلى كلامهم باهتمام، تاركاً لهم الفرصة لاتخاذ قراراتهم بحرية كاملة، دون أى تدخل من جانبى، وما أن انهينا فترة العشاء حتى اجتمعنا لمدة عشر دقائق؛ ليخطرنى الأخ حميد الأتاسى بما اتخذوه من قرارات، وما يعتزمون القيام به من إجراءات؛ لأكون فى الصورة

الكاملة لما تم بالنسبة للجالية السورية بـ « ساو باولو » على النحو التالى :

أ ـ اجتمعت كلمتهم على الحذر الكامل فى أى تعامل مع أعضاء الجالية اليهودية- سواء بالنسبة لمشاركتهم فى العمل أو الاستماع إلى أى حديث لهم - وعدم قبول التدخل فيما بينهم، وبين السلطة الحاكمة أو مشاركتهم فى أى نشاط شخصى بعيداً عن موافقة السلطات البرازيلية.

ب ـ بالنسبة لجميع النوادى : وبعد الرأى الذى طرحته عليهم بالنسبة لوجود ناد واحد باسم النادى السورى لجميع أفراد الجالية بجميع طبقاتها وأعضائها مع الاحتفاظ بالجاليات الموزعة على جميع الأحياء وفى بقية المدن الأخرى مع تغيير الاسم ليكون بدلاً من نادى حمص أو نادى حماة إلخ... فرع النادى السورى بهذه الأحياء المختلفة.

جـ ـ فيما يتعلق بدعم الارتباط ما بين الوطن الأم ، ووطننا الجديد بـ «البرازيل» سنكلف بعض الأخوة الذين يقومون برحلات مستمرة ما بين البرازيل ودمشق؛ ليكونوا وسيلة اتصال مستمر؛ لدعم العلاقات المستمرة بيننا جميعاً وبين أسرنا وإخوتنا فى سوريا؛ لنتابع أحداث الوطن الأم وتطوراته على الدوام.

د ـ محاولة تكييف عطلاتنا السنوية؛ لنتخذ منها رحلات مستمرة بما يتفق مع رغبتنا فى الارتباط المستمر بوطننا الأم، بالإضافة إلى أنه سيسعدنا جميعاً أن تمتد الرحلة لتشمل القاهرة، إلى جانب دمشق، لننعم بلقاء الزعيم والرئيس جمال عبد الناصر. وأملنا أن تتم أولى هذه الرحلات فى القريب العاجل ، وشكراً جزيلاً على كل ما استمعنا إليه، وما زودتنا به من معلومات وآراء طيبة.

كما أخبرنى الصديق العزيز حميد الأتاسى أن عميد الجالية اللبنانية اتصل به، وطلب لقاءه بى غداً ٢٩ يوليو، إذا أمكن؛ ليتفق معه على تحديد موعد اللقاء المرتقب بين ممثلى الجالية اللبنانية وبينى، مستوضحاً عما إذا كان لدىّ الوقت مساء الغد ٢٩ يوليو لتحديد موعد اللقاء فى السابعة مساءً بالنادى اللبنانى بـ « ساو باولو »، وكان ردى سريعاً بموافقتى الفورية على الموعد.

ثم استأذنت فى العودة إلى الفندق، مع تقديم جزيل شكرى؛ لترحيبهم الحار بشخصى، وما قاموا به من كرم كبير.

الفصل الخامس

الجالية اللبنانية بـ « ساو باولو ».

بعد العودة إلى الفندق سألنى الأخ المستشار «محمد على» عما إذا كان اتجاهى سيطيل مدة البقاء فى « ساو باولو »، نظراً لأن لديه ارتباطاً سابقاً بمؤتمر بوزارة الخارجية البرازيلية يوم ٣٠ يوليو، وهذا المؤتمر يضم جميع مندوبى السفارات العربية والأفريقية، بشأن كثير من الاستفسارات فيما يتعلق بشئون إدارة الأعمال فى هيئة الأمم ليتماشى مع الدور الذى تقوم به البرازيل فى تأييد ومساندة جميع الشئون العربية والأفريقية التى تعرض على مجلس الأمن ، والجمعية العامة للأمم المتحدة.

وأبلغته بأننى - والحمد لله - بعد أن بدأت لقاءاتى مع الأخوة السوريين واللبنانيين، وتعرفى عليهم أصبحت مهمتى سهلة ميسرة، ويمكننى الاستمرار فى ربط علاقتى بهم، والحصول على ما يغطى مطالب مهمتى بالكامل، بلا أى معوقات ويمكنه مغادرة «ساو باولو» غداً ٢٩ يوليو صباحاً كى يوجد فى «ريودى جانيرو» فى الموعد المناسب، مع رجائى أن يطمئن السفير /جمال الفرا إلى أن جميع الظروف التى أعايشها فى «ساو باولو» ممتازة وتتفق وأسلوبى فى الحصول على المطلوب.

واتفقنا على أنه سيغادر «ساو باولو» بسيارته، وأننى سأعود بإذن الله بعد إنهاء مهمتى بالكامل بالطائرة إلى «ريودى جانيرو»، وسأخطرهم تليفونياً قبل العودة، وودعته بعد إخطاره لى بأنه سيغادر فى الساعة الثامنة صباحاً إلى «ريودى جانيرو» .

لقاء الجالية اللبنانية :

أمضيت نهار اليوم فى جولات متتالية، محاولاً أن أنفرد فى تحركى، لأتعمق فى استطلاع جميع نواحى الحياة فى «ساو باولو»، مستفيداً بما تعلمته بالأمس، وانتقلت فى جميع الأحياء السكنية والتجارية؛ لاستمتع بمعرفة كل صغيرة وكبيرة فى الوقت نفسه أتاحت لى هذه الجولة أن ألتقى بكثير من ملاك المحال التجارية السوريين واللبنانيين، وأحييهم باللغة العربية، باعتبارى زائراً سياحياً، الأمر الذى أكسبنى الإلمام بنوعية التعامل مع جميع مُلاك وعمال المحال التجارية البرازيلية، التى تستخدم عمالة عربية على مستوى فنى جيد، وتعاونها عمالة برازيلية جيدة هى الأخرى، وتبين لى أنها على مستوى طيب، ومكتسبة لخبرة كاملة فيما يتعلق بنوعية العمل الذى تقوم به هذه المحال التجارية باختلاف نوعياتها، وانتهى الأمر بتناولى الغداء بأحد المطاعم البرازيلية ، ثم عاودت مواصلة الجولة، لأختتمها فى الخامسة مساءً، لأعود إلى الفندق، لأنال قسطاً من الراحة.

وتلقيت مكالمة تليفونية فى السادسة مساءً من الأخ حميد الأتاسى، يقدم لى زميله وأخيه السيد /عبد الرحيم كرامى؛ للتعرف المبدئى عليه تليفونياً، باعتباره أحد عمداء الجالية اللبنانية بـ «ساو باولو»، وحيانى عبد الرحيم كرامى، معرباً عن سعادته بأن تم اختياره بمعرفة أخوته كميل تكلا، وكريم بشارة، أعضاء قيادة الجالية اللبنانية فى «ساو باولو» ليصطحبنى من الفندق بسيارته إلى النادى اللبنانى فى الساعة السابعة مساءً، فشكرته مقدماً على حسن الاستقبال، وسعادتى بالتعرف به كأخ عزيز يمثل جالية أخوية ممتازة، وأنى سأكون فى انتظاره فى الموعد المحدد.

وفى تمام السابعة مساءً اصطحبنى من الفندق الأخ عبد الرحيم كرامى إلى النادى اللبنانى؛ ليستقبلنى الأخوة كميل تكلا، وكريم بشارة، وبسام سالم بترحاب وتحية كريمة، مؤكدين سعادتهم بأن يستقبلوا زميل الرئيس الزعيم جمال عبد الناصر على أرض النادى اللبنانى، مُعلنين عن سعادتهم الكاملة بهذه الزيارة ، وانتهاز هذه الفرصة لتقديم تهانيهم كممثلين للجالية اللبنانية بكامل أفرادها للرئيس جمال عبد الناصر، والرئيس شكرى القوتلى على إتمام الوحدة العظيمة، التى طالما انتظروها منذ زمن بعيد، مع رجائهم أن يتم نقل مشاعرهم هذه إلى الزعيم عبد الناصر، وأبناء الشعبين المصرى والسورى مواطنى الجمهورية العربية المتحدة دولة الوحدة المرموقة، آملين ألا يغيب لبنان طويلاً عن الانضمام إلى هذه الوحدة المرموقة التى نتطلع إلى تحقيقها فى القريب العاجل، خاصة بعد أن علمنا أن أبناء الشعب اللبنانى لم يكتفوا بالتهنئة بالبرقيات، ولا التعبير

المحلى، بل غادروا كل الأراضى اللبنانية وفوداً تلو الوفود؛ ليقدموا تهنئتهم المباشرة للرئيس عبد الناصر متطلعين إلى رؤياه، وها نحن نعيش لحظة جديدة مع مندوب وزميل زعيم الوحدة على أرض البرازيل.

انتقلنا بعد هذا الترحيب إلى صالة الاجتماعات بالنادى، لأفاجأ بمجموعة كبيرة من الجالية اللبنانية، رجالاً ونساءً وشباباً وشابات، حضروا يستقبلون مندوب عبد الناصر استقبالاً لا يقل حماساً عما كان يحدث فى أيام إعلان الوحدة بـ «دمشق»، و «بيروت»، وبادرنى الأخ والزميل عبد الرحيم كرامي ليلقى كلمة نيابة عن كل المجتمعين، شملت كل ما يتصوره أى وطنى مخلص من إخوانه وزملائه، من التعبير الكامل لمشاعر الحب والتقدير والسعادة، والأمل المرتبط بالأخوة الصادقة، والإيمان العميق والدقيق، لما تحمله كلمة الوحدة من معان وتعبير صادق، ممتلئ بحرارة الالتزام بعقيدة القومية والوطنية العربية.

وبادرت على الفور بإلقاء كلمتى؛ لأنقل إلى الإخوة أعضاء الجالية اللبنانية من الرئيس جمال عبد الناصر شخصياً الرسالة التالية التى حمّلنى إياها، مركزاً على أن تصل بتفاصيلها؛ لتعبر للأخوة أبناء الوطن اللبنانى عن تقدير وحب وسعادة الرئيس جمال عبد الناصر شخصياً، وجميع أبناء الجمهور السورى والمصرى بكامل هيئاته، والشكر الجزيل لكل ما أظهره الشعب اللبنانى على أرض الوطن الأم لبنان ، وما يظهره حالياً أبناء الجاليات اللبنانية المستوطنة البرازيل وهو ما يفوق كل ما يتصوره الأخ الوطنى من أخيه الوطنى الجسور.

« يا أخوانى إن الزعيم عبد الناصر حينما بدأ أولى خطوات إتمام عملية الوحدة بين مصر وسوريا، كان كل أمله ينطلق على المسيرة نفسها فى طريق الاستقبال الفورى لأى اتجاه لطلب الوحدة من أى وطن عربى؛ لنلتحم جميعاً، استجابة لآمالنا وعلى اتساع الساحة العربية، لإتمام وحدة عربية تضم أبناء الأمة العربية بكامل أوطانهم، ولنقف جميعاً فى موقع الصدارة للأمم الحرة الكريمة القادرة على أن تتصدى لأى أطماع لعدو نسى نفسه، وألقى بقدراته فى جحيم الأطماع الشخصية؛ بهدف مساس كيان الأمة العربية ومستقبلها الناصع، القادر على بناء أمة قوية قادرة على هدم وإزاحة كل من تسول له نفسه مس أى حبة رمل من أرض الأمة العربية، على اتساع ساحتها من المحيط إلى الخليج.

ويهمنى أن أعبر عما يكنه الزعيم عبد الناصر من حب وارتباط أخوى بجميع مواطنى سوريا، ولبنان، انطلاقاً من أصالة تقاليدنا العربية النابعة من عقيدة كل أبناء الأمة العربية المخلصين الوطنيين، واعتزازنا بأرضنا العربية، أرض رسالات السماء، وأصالة جذورنا العربية المتعمقة فى التزام كامل برباط الجوار بين مواطنى سوريا ولبنان ومصر وجميع أنحاء الأمة العربية، التى نتطلع جميعاً لتقوم الوحدة المأمولة بينها المرتبطة بوحدة النشأة والأرض واللغة، التى ولدنا على أرضها وتربينا على أيدى أسرها، وتعلمنا كيف نصون ونحيا فى إطار ينابيع الحب والوفاء الكامل لكل ما تعلمناه من حروف لغتنا العربية الأبية، والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته».

التبادل التجارى بين الجالية اللبنانية ودولة الوحدة :

ما أن ألقيت كلمتى حتى انتقلنا جميعاً إلى صالة الاستقبال؛ ليتم لقائى بجميع الحاضرين من أبناء الجالية اللبنانية وأسرهم، لنتبادل التحية، ولأتعرف على شخصياتهم جميعاً، ونحن وقوفاً، متنقلين حول بوفيهات العشاء اللبنانية، الأمر الذى أتاح لى الفرصة لأحيى جميع الحاضرين، وأجرى حديثاً أخوياً مع الجميع، وأجيبهم على جميع أسئلتهم واستفساراتهم عن دولة الوحدة، وتطورات الوضع فى لبنان، والإقليم السورى، والأوضاع بالقاهرة، وكل ما يتعلق بموقف الرئيس جمال عبد الناصر من جميع دول الوطن العربى شرقاً، وغرباً، وشمالاً، وجنوباً، وعن سياسة ثورة ٢٣ يوليو فى تحرير الوطن العربى، وكلهم جميعاً سعداء بما سمعوه عن مختلف أوجه نشاطنا، وبالذات بالنسبة لتحرير الشمال الأفريقى: مراكش، والجزائر، وتونس، ودول المشرق العربى.

وكان هناك أثر كبير لتزويدى إياهم بجميع الحقائق التى تتضمن نضالنا المستمر فى دعم مختلف حركات التحرر العربى بصورة مستمرة، وبلا أى تردد، ونجاحنا فى تحرير الإرادة العربية لأبناء أجزاء كثيرة من وطننا العزيز على نفوسنا جميعاً، واستمرارنا فى الإطاحة بكل صور الاستعمار على اختلاف دوله وأهدافه - وبحمد الله وتوفيقه - أصبح الوطن العربى الكبير يخطو بأقدام وقوى ثابتة؛ ليبنى المستقبل المُشرق لأبنائنا على اتساع أرض الوطن العربى على أرض عربية، حرة، كريمة، قوية، متربعة على قمة الدول القادرة على بناء قدراتها القادرة على ضمان الحياة السعيدة المرموقة بإذن الله وتوفيقه.

وقد اجتمع بى فى إطار ضيق كبار رؤساء الجالية اللبنانية، من كبار التجار ذوى التأثير على تجارة البرازيل، وبالذات فى صناعة الأسلحة بأنواعها، ومعدات الحرب، عارضين علىَّ رغبتهم فى المساهمة بقدر إمكانياتهم، هم والأخوة السوريون، الذين اتفقوا معهم؛ لتقديم كل ما يحتاجه الجيش المصرى فى معركته ضد الاستعمار، وضد إسرائيل وأطماعها فى الوطن العربى.

واتفقت معهم على استعدادنا لاستقبال بعثة من طرفهم مع الأخوة السوريين بالبرازيل فى القاهرة، فى الوقت المحدد الذى يناسبهم؛ للالتقاء بالرئيس جمال عبد الناصر فى القاهرة، للاتفاق على جميع أنواع التبادل التجارى ما بين القاهرة و«ساو باولو» و«ريودى جانيرو»، ودعم نضالنا فى دعم مختلف حركات التحرر العربى ضد كل الطغاة من المستعمرين، وذوى الأهداف العدوانية على أبناء الأمة العربية، خاصة الفلسطينيين المظلومين والمطرودين من أراضيهم بعد اغتصاب الإسرائيليين لأراضيهم، ومنازلهم بالقوة وبالسلاح بمعاونة كل من الولايات المتحدة، وبريطانيا.

وإزاء وضوح حسن نيات الإخوة رؤساء الجاليتين السورية واللبنانية، ذوى الشأن الكبير والتأثير المؤكد بكل تقدير، ولمصلحة الشعب البرازيلى إلى جانب مصلحة جاليتى عرب المهجر بـ «ساو باولو» واتفاقهم مع قيادات الجاليتين السورية، واللبنانية بالعاصمة البرازيلية «ريودى جانيرو» واتفاقهم على ضرورة التعاون فيما بينهم جميعاً؛ لدعم ارتباطهم الكامل بالجمهورية العربية المتحدة دولة الوحدة العربية زعيمة القومية العربية، ومركز دعم النضال العربى بزعامة الرئيس العربى المناضل جمال عبد الناصر، الذى لم يتردد منذ قيامه بمعاونة زملائه من ضباط القوات المسلحة المصرية، بتفجير ثورة 23 يوليو المجيدة، التى لم تتوقف منذ تفجرها فى إمداد جميع حركات التحرر العربى على ساحة الوطن العربى، وبكل دوله، التى استعمرتها قوى الاستعمار البريطانية والفرنسية سنين طويلة؛ بهدف واضح هو إحكام السيطرة على شعوبنا العربية، والاستحواذ على كل خيرات وحصيلة إنتاج الشعوب العربية المستعمرة؛ لاستغلالها لمصلحة شعوبهم، وحرمان شعبنا من كل أرزاق وخيرات الله التى منحنا إياها.

وبعد ما فهمته عن تفاهم جميع الجاليات لعرب المهجر المنتشرين بمدن البرازيل؛ طلبت من عميدى الجاليتين السورية واللبنانية بـ «ساو باولو» أن ألتقى بمن تم الاتفاق على تمثيلهم لجميع جاليات عرب المهجر من أصل سورى أو لبنانى، وذلك فى جلسة تضم تلك المجموعة المتفق عليها بالعاصمة «ريودى جانيرو» يوم ٤ أغسطس سنة ١٩٥٩.

ويهمنى الاجتماع بأى عدد يتم اختياره وفى الوقت نفسه أريد أن أؤكد للإخوة أعضاء الجالية اللبنانية خاصة أننى سأكون فى غاية الامتنان لأى عضو من السفارة اللبنانية بالعاصمة البرازيلية؛ لأضعه فى الصورة لكل ما يوضح له حقيقة مهمتى التى أقوم بها حالياً، بتكليف الزعيم الرئيس جمال عبد الناصر، والتى يتركز هدفها الرئيسى فى دعم الارتباط بين الجمهورية العربية المتحدة دولة الوحدة بين مصر، وسوريا بالشقيقة العربية لبنان، مع بذل أقصى جهد لضمان الاطمئنان على راحة جميع أخوتنا على أرض الوطن العربى، وحماية مصالحهم جميعاً فى أى وطن جديد اختاروه ليستوطنوه، وسأقوم بزيارة السفارة اللبنانية فى العاصمة البرازيلية؛ لتحية السفير اللبنانى، ولأطمئنه على أهدافنا، وحسن نياتنا كعادتنا، واستمرار اتصالنا بالسلطات اللبنانية بـ «بيروت» فى كل ما يتعلق بمصالح بلدينا.

العودة إلى « ريودى جانيرو » لمواصلة الاتصال :

وقد أوضحت للجميع تفاصيل مهمتى ، والهدف منها، وتم التفاهم والاتفاق مع رؤساء الجاليتين السورية واللبنانية على أسلوب اتصالاتى بالعاصمة البرازيلية، وتوزيع الواجبات بيننا؛ للمساعدة فى ترتيب الاجتماع المرتقب بينى وبين من سيتم اختيارهم كمندوبين يمثلونهم فى الوفد الذى سيقوم بالسفر إلى القاهرة للقاء الرئيس عبد الناصر؛ للاتفاق على الأسلوب الذى سيتم العمل به لمصلحة دعم الارتباط الكامل بين القاهرة، وعرب المهجر بـ «البرازيل» لمصلحة الجميع، وضمان بناء المستقبل المرموق والمأمول لعلاقاتنا المستقبلية على أكمل وجه.

وبناء عليه، ودعت الأخوة حميد الأتاسى، وعبد الرحيم كرامى، وقمت بالسفر بالطائرة إلى العاصمة بعد الاتصال بسفارتنا بـ «ريودى جانيرو» فى صباح يوم ٣١ يوليو ١٩٥٩، ووصلت العاصمة، لأتوجه إلى الفندق حيث قمت بالاتصال تليفونياً بالأخوة : مطاع العسلى، رئيس الجالية السورية بالعاصمة «ريودى جانيرو»، وبسام سالم رئيس الجالية اللبنانية بالعاصمة «ريودى جانيرو»، وذلك طبقاً لما تم الاتفاق عليه مع رؤساء الجاليتين السورية واللبنانية بـ «ساو باولو»، لإخطارهم بوصولى إلى العاصمة وإقامتى بفندق «كوبا كابانا» الكبير؛ للاتفاق على موعد لقائنا، لترتيب لقائى بأعضاء الجاليتين السورية واللبنانية بالعاصمة، تمهيداً للاجتماع بمن سيقع عليهم الاختيار، لتكوين الوفد المزمع سفره إلى القاهرة حسب رغبتهم فى منتصف شهر ديسمبر ١٩٥٩؛ للاجتماع بالرئيس جمال عبد الناصر، والتفاهم على أسلوب التعاون معهم، ليشاركونا فى دعم قدرات

الجمهورية العربية المتحدة عسكرياً؛ لمواجهة أى محاولة عدوانية جديدة لإسرائيل على أى أرض عربية، وحماية الشعب الفلسطينى من أى عدوان ، واحتلالها بالقوة للأراضى الفلسطينية.

وتم اتفاقى معهما على الآتى خلال اجتماعى بهم بالفندق :

أ- البدء بترتيب لقائى بأعضاء الجالية السورية مساء أول أغسطس ١٩٥٩ بأى مكان يناسبهم.

ب- ترتيب موعد لقائى بالأخوة أعضاء الجالية اللبنانية مساء يوم ٢ أغسطس فى المكان المناسب لهم.

جـ- الاتفاق مع الأخوة رؤساء الجاليتين السورية واللبنانية بـ «ساو باولو» ؛ لتحديد أسماء الوفد المنتخب للسفر للقاهرة في منتصف ديسمبر 1959 للاجتماع بالرئيس جمال عبد الناصر، وتحديد مكان وموعد التقائى بهذا الوفد، ليتم فى الساعة السادسة من مساء يوم ٤ ديسمبر ١٩٥٩ ؛ للاتفاق على جميع إجراءات السفر للقاهرة، والمواضيع المطلوب الاتفاق عليها ، والمواضيع المراد مناقشتها ودراستها تفصيلياً، ليتم إعدادها ليتولى كلا الطرفين تحضيرها جيداً؛ لتكون جلسات القاهرة ذات فاعلية كاملة ومفيدة.

د- قيامى شخصياً بالاتصال بالسيد السفير اللبنانى بـ «البرازيل» ؛ لأجتمع به فى أقرب فرصة، وقبل اجتماعى بالجالية اللبنانية تاركاً له فرصة إرسال من يرشحه أو يكلفه لحضور اجتماعى بالجالية اللبنانية.

هـ- قرارى بالسفر بعون الله يوم ٧ أغسطس ١٩٥٩ ، لأتوجه مباشرة إلى القاهرة؛ لوضع الرئيس عبد الناصر فى الصورة الكاملة والتفصيلية لجميع اتصالاتى، وما قمت به من تفاهم واتفاق فى مهمتى، وما عرضه على الأخوة عرب المهجر من آراء ورغبات، لدعم الارتباط بين عرب المهجر، والرئيس جمال عبد الناصر رئيس الجمهورية العربية المتحدة، للتعاون فى الوطن العربى ضد جميع محاولات العدوان الإسرائيلى على حرية الشعب العربى، على أى أرض عربية وبالذات أرض فلسطين.

لقاءات العاصمة البرازيلية :

ما أن تم اجتماعى بالإخوة رؤساء الجاليتين السورية واللبنانية بفندق «كوبا كابانا» حتى باشروا اتصالاتهم بكل أعضاء الجاليتين ، والاتفاق معهم على جميع الإجراءات

الخاصة بهم للإعداد للاجتماعين السورى بالجالية السورية بالنادى الكبير السورى الساعة السابعة مساءً فى أول أغسطس ، والاجتماع اللبنانى بالنادى الكبير اللبنانى الساعة السابعة مساءً يوم ٢ أغسطس، وأبلغونى فوراً بإتمام إجراءات الاجتماعين، وسيمر كل منهما قبل موعد اجتماع مجموعة جاليته ليصحبنى إلى مكان الاجتماع.

بادرت بزيارة سفارتنا؛ لألتقى بالسفير /جمال الفرا صباح يوم أول أغسطس الذى كان قد وصله على لسان المستشار /محمد على تفاصيل ما قمت به مع الجالية السورية بـ «ساو باولو»، ووجدته سعيداً بأسلوبى فى التعامل مع الجالية السورية، وتأييده لى كامل، وطالبنى بانتهاج الأسلوب نفسه مع أعضاء الجالية السورية بـ «ريودى جانيرو» الأمر الذى سيجعلهم يقدرون مهمتى التى كلفنى بها الرئيس عبد الناصر، وسمع هو شخصياً من بعض من حضروا اللقاء معى عما نقلته لهم من أخبار طيبة بشأن مستقبل الوحدة المصرية/السورية، ودور الرئيس عبد الناصر فى تأمين حياة كل المواطنين فى الإقليمين السورى والمصرى، بما يرفع مستوى المعيشة إلى الأفضل، وما يكنه لعرب المهجر من السوريين واللبنانيين من حب وتقدير، واعتزاز، واهتمامه الكبير بالاطمئنان على سعادتهم وراحتهم، وحسن معاملتهم فى وطنهم الجديد.

وعبر الأخ السفير جمال الفرا عن شكره وتقديره للرئيس عبد الناصر، بتكليفى لإتمام مهمتى المهمة جداً وذات المردود الطيب والممتاز، واعتزامه حضور اللقاء المقبل مع أفراد الجالية السورية مساء اليوم نفسه، هو وأعضاء السفارة.

قمت بالاتصال تليفونياً بالسفير اللبنانى من مكتب السفير /جمال الفرا؛ لأستأذنه فى زيارتى له بالسفارة، مما جعله يرحب بزيارتى له، وتقديره لهذه الزيارة من ممثل الرئيس جمال عبد الناصر.

وتوجهت مباشرة إلى مبنى السفارة اللبنانية لأجد السيد السفير فى انتظارى، ليتم لقاء طيب ، واجتماع أخوى، أوضح اعتزاز الإخوة اللبنانيين الرسميين من أعضاء السفارة، وأفراد الجالية اللبنانية وسعادتهم الكبرى بتقدير الرئيس جمال عبد الناصر للشعب اللبنانى العربى الأصيل، والذى حملنى إبلاغهم لرسالته التى تؤكد محبته، واعتزازه، وإيمانه بالأخوة الصادقة التى يؤكدها الشعب اللبنانى الحر لإخوانهم مواطنى دولة الوحدة، التى تضم الشعبين المصرى والسورى، الذين لم يترددوا فى السفر المستمر فى وفود لبنانية تضم غالبية الشعب اللبنانى لتحية وتهنئة الرئيس عبد الناصر، بتوقيع اتفاقية الوحدة الكاملة بين مصر وسوريا، حيث عبر موقفهم عن خالص إيمانهم وترحيبهم بهذه

الوحدة، التى يتعشمون أن ينضموا لها عاجلاً؛ ليكملوا أمانى الأمة العربية فى ارتباط الوطن العربى بوحدته المنشودة، وليرتفع علم الأمة العربية عالياً فى سماء أرض العروبة المجيدة، أرض الرسالات السماوية الخالدة.

وقد أبلغت الأخ السفير اللبنانى باعتزامى لقاء الأخوة أعضاء الجالية اللبنانية مساء الغد بالنادى اللبنانى، أسوة بلقائى بالأخوة أعضاء الجالية السورية، حاملاً لهم رسالة الرئيس عبد الناصر وتحيته لهم جميعاً.

وقد عبر السفير عن شكره الجزيل لهذا الموقف العظيم ، والمعبر عن عظمة وأخوة وتقدير الرئيس عبد الناصر لأخوته العرب ، وحرصه على الاطمئنان على كريم معيشتهم بأى مكان ، وهذا ليس بجديد على زعيم الأمة العربية الخالدة.

الاجتماع بالوفد السورى / اللبنانى المرشح للسفر للقاهرة :

بعد اجتماعى بأعضاء الجاليتين السورية مساء يوم أول أغسطس، واللبنانية مساء يوم ٢ أغسطس، وترحيب كل منهما بلقائى وردى عليهما بما يؤكد كل ما عبرت عنه من مشاعر الأخوة والاعتزاز والتقدير، وتفاصيل المهمة التى وكلنى الزعيم عبد الناصر بنقلها لهم جميعاً، وشرح وإيضاح مدى الاهتمام الذى يحرص عليه تجاههم جميعاً، خاصة وأنهم غادروا وطنهم الأم؛ ليستوطنوا وطناً جديداً غريباً عليهم، وحرصوا على إعداد أنفسهم ليعيشوا مع مواطنى هذا الوطن الجديد عيشة الأخوة، والزمالة، والأسرة الواحدة، فأرسلنى للاطمئنان على كريم حياتكم، وحسن تقدير سلطات الوطن الجديد لأخوتكم، وحسن معاملتكم رداً لجميل معاملتهم لكم، ولله الحمد اطمأن قلبى وسيطمئن قلب ومشاعر الزعيم عبد الناصر، وسيسعد كثيراً ويتمنى كل الآمال الطيبة ليراكم دائماً متمتعين بكامل الصحة والعافية والتوفيق فى حياتكم وحياة أسركم جميعاً.

اختتمت اجتماعاتى بالأخوة أعضاء الجاليتين السورية واللبنانية، وكلى سرور واطمئنان على ما لمسته من طيب المشاعر التى لمستها، وكذا الراحة النفسية التى أوضحتها معنوية كل من اجتمعت بهم، بالإضافة إلى عمق مشاعرهم نحو وطنهم الأم، وارتباطهم بكل القيم العربية الأصيلة، والاعتزاز بعروبتهم، وخصالهم الحميدة النابعة من الإيمان العميق بما تفرضه علينا أصالتنا كعرب، حافظوا على سمعتهم الموروثة بين تربيتهم، وترعرع نموهم على أرض الرسالات السماوية، والالتزام بعقائدهم الدينية البعيدة عن كل تيار الانحراف.

واختتمت كل كلماتى فى تحية عرب المهجر مشيداً بتقديرى العميق والكامل لكل ما شاهدته ولمسته من نماذج، أكدت كل ما طرحته من قيم إنسانية، وحمداً لله وشكراً للجميع.

كما اجتمعت بالأخوة رؤساء الجاليات السورية واللبنانية يوم ٣ أغسطس صباحاً؛ لنقرر الاجتماع بكل من تم اختيارهم كوفد مرشح للسفر للقاء الرئيس عبد الناصر بالقاهرة، وعددهم ثمانية أعضاء يمثلون جميع التجمعات المنتشرة على ساحة ومدن أرض دولة البرازيل وممثلين كذلك جميع أعضاء جاليات عرب المهجر بـ « البرازيل »، وتحدد موعد لقائى بهم فى العاشرة من صباح يوم ٤ أغسطس ١٩٥٩ ، للاتفاق على كل المطلوب إثارته من مطالب، واستفسارات، واتفاقات مع الرئيس جمال عبد الناصر بالقاهرة؛ لأساعدهم فى دراسة، وتحضير المطلوب إعداده ليسافروا إلى القاهرة وهم جاهزون لطرح كل مطالبهم ، واتفاقاتهم لمناقشتها، وإقرارها بالقاهرة.

اجتمعت بالأخوة أعضاء الوفد المرشح للسفر للقاهرة وهم :

-السيد / حميد الأتاسى - رئيس الجالية السورية بـ « ساو باولو».

-السيد / عبد الرحيم كرامى - رئيس الجالية اللبنانية بـ «ساو باولو».

-السيد / مطاع العسلى -رئيس الجالية السورية بالعاصمة «ريودى جانيرو» .

-السيد / بسام سالم - رئيس الجالية اللبنانية بالعاصمة « ريودى جانيرو » .

-السيد / كريم بشارة من قادة الجالية السورية « ريودى جانيرو».

-السيد / صبرى عمران من قادة الجالية السورية « ريودى جانيرو».

-السيد / جميل مراد من قادة الجالية اللبنانية « ساو باولو » .

-السيد / كميل تكلا من قادة الجالية اللبنانية « ريو دى جانيرو».

ونظراً لعدم خبرتهم فى التعامل مع تجار الأسلحة، وصعوبة تورطهم فى الإلمام بأنواع الأسلحة المختلفة، والتى يحتاجها المسئولون عن قيادة وتدريب المتطوعين؛ للقيام بالشئون العسكرية - فإن هذا الموقف دفعهم إلى تحميل الرئيس عبد الناصر مسئولية التكليف والإشراف على شراء كل احتياجات القوات الفدائية؛ لمواجهة العدوان الخارجى بمعرفة مسئولى القوات المسلحة المصرية، وتوزيعها فى نصابها القانونى واللازم .وسنقدم للرئيس عبد الناصر شيكات بأثمان ما يكفى من أنواع الأسلحة المختلفة، فى نطاق قدراتنا المالية، التى سنجمعها من جميع أعضاء الجاليات العربية فى البرازيل.

وستتم مناقشة الرئيس عبد الناصر فى اختيارنا لبعض أبنائنا كمتطوعين لحمل السلاح، والوقوف إلى جانب فدائيي ومتطوعى الشعب العربى المصرى، والسورى، وأى دولة عربية أخرى؛ للوقوف فى وجه أى عدوان خارجى تمهيداً لإعادة كل من طردوا، وأبعدوا عن ديارهم وأسرهم، وأرضهم العربية، بداية بأرض فلسطين التى استغلها اليهود؛ ليمارسوا على أرضها جميع صور الإرهاب اللا دينية، واللا عقائدية، واللا إنسانية، والبعيدة عن كل حقوق الإنسان بكل صورها، ومجالاتها، ونطاق حرية البشر فى الحياة الحرة الكريمة.

تم الاتفاق بينهم جميعاً على تنشيط التبادل التجارى بين مصر وسوريا، دولة الوحدة، باعتبارهم ممثلين لتجارة البرازيل؛ ليتم تبادل كل ما يستورد من الخارج للبرازيل، وممكن توافره فى القاهرة أو دمشق، وفى الوقت نفسه لتصدير كل ما هو متوافر فى البرازيل وتحتاجه دولة الوحدة من أى أنواع البضائع، باعتبار أن هذا التبادل سيزيد من اقتصادياتهم وقدراتهم المالية بالتبعية، ويعطيهم القدرة على المساهمة بجزء من أرباحهم لدعم نضال الشعب العربى.

ونظراً لاحتياج جميع الأسر الأعضاء بـ «عرب المهجر» السوريين واللبنانيين إلى استعواض ثقافة أبناءهم من الثقافة العربية الأصيلة غير المتوافرة حالياً فى موطنهم الجديد، الأمر الذى يتطلب الاستفادة بقدرات الجمهورية العربية المتحدة الثقافية وبمعاهدها لتكون ملجأ يستعين به جميع أبناء الجاليتين السورية، واللبنانية فى استكمال دراستهم على المستوى الثانوى، والجامعى لإعداد الدارسين؛ ليكونوا وسيلة الاستعواض الكامل لقدرات من أتم دراسته بمعاهد وجامعات القاهرة بصفة مستمرة، لعدم فقدان أبناء الجاليتين للغتهم الأصيلة، وهى اللغة العربية، الكفيلة بإمدادهم المستمر بمشاعر الارتباط الكامل بدينهم، وعقيدتهم، وأصولهم العربية، بما يحفظ لهم الارتباط المستمر بأصلهم العربى، وعدم الانفصال عما يربطهم بأرض الرسالات السماوية.

التعليق على المطالب :

جاءت جميع المطالب والمواضيع التى أثيرت فيها مؤكدة لكل الأفكار التى لم تخرج عن حيز تفكيرنا منذ البداية فى تكليفى بمهمتى الحالية للاتصال بعرب المهجر، وتعتبر نموذجاً فريداً لطبيعة العلاقات المرجوة، لتكون على أسلوبها من الممارسة الإيجابية الممتازة، بما تعنيه كلمة الأصالة العربية من قيم، وتقاليد، وارتباطات بالأرض، والدين، والأصل

الثابت تحت سماء المحبة التى تدعم هذا الارتباط، والنابعة من رسالات السماء التى نزلت كلها، ومنذ البداية على أرض الوطن العربى الكبير.

وقد لاقى تعليقى على المطالب المذكورة كل التوفيق من جانب الإخوة أعضاء الوفد المرشح للسفر إلى القاهرة، منهين لقاءهم بالشكر الجزيل، والأمل الكبير فى أن تتاح لهم الفرصة ليؤدوا رسالتهم التى حملها إياهم جماهير عرب المهجر للقاء الزعيم والرئيس جمال عبد الناصر، أملاً فى تحقيق كل ما تصبو إليه آمالهم؛ ليعيشوا فى وطن جديد، لم يفقدهم رباطهم الأصلى بوطنهم الأم القديم.

وانتهى هذا اللقاء، متواعدين على لقائنا الجديد بإذن الله وتوفيقه بالقاهرة يوم ١٥ ديسمبر ١٩٥٩، تمهيداً للاجتماع بالرئيس جمال عبد الناصر.

الباب السابع

انتهاء المهمة والعودة إلى القاهرة



الفصل الأول

التفاهم مع السفير جمال الفرا لتنفيذ احتياجات مهمتى

ما أن أتممت اتفاقى مع الإخوة أعضاء الوفد الرسمى، للالتقاء بالرئيس جمال عبد الناصر وتوديعى لهم، حتى اتجهت إلى سفارة الجمهورية العربية المتحدة بـ «البرازيل»؛ لأجتمع بالسفير / جمال الفرا، وأضعه فى الصورة الكاملة لما ينتظر أن يقابله من استفسارات، وتساؤلات، ومحاولات أساسية للاتصال بنا بالقاهرة؛ للاتفاق على حل أى مشكلة تطرأ فى مواجهة الإخوة رؤساء عرب المهجر السوريين واللبنانيين، وأبلغته بأننى اتفقت مع رؤساء الجاليتين بالبرازيل ليلجأوا إليكم، وبالذات فى حالة حاجتهم إلى تأمين اتصال مباشر لأخذ رأى القاهرة أو إبلاغنا بأى نبأ يتعلق بعلاقتنا معهم، وأوضحت له أن يلجأوا إلى كتابة خطاب يتضمن كل ما يريدون إبلاغنا إياه، وسيقوم السيد السفير بإرسال هذا الخطاب عن طريق الحقيبة الدبلوماسية بأسمى مباشرة إلى إدارة الأبحاث بالخارجية؛ ليصلنى عن طريق السفير/ إبراهيم صبرى - مدير أبحاث وزارة الخارج.

كما يهم الرئيس عبد الناصر أن يكون على علم كامل بتفاصيل أى أحداث تتعلق بحياة الإخوة أعضاء عرب المهجر عموماً، الأمر الذى يتطلب من الأخ السفى / جمال الفرا أن يوافينا - بصفة مستمرة - بتطور الأحداث، وكل ما يتعلق بحياة عرب المهجر، ليصلنا عن طريق السفير /إبراهيم صبرى مدير إدارة أبحاث الخارجية ، ومن خلال الحقيبة الدبلوماسية كالعادة، على أن يعنون الخطاب بصفة مستمرة الخاص بهذا الأمر باسمى شخصياً على الغلاف، وعن طريق السفير /إبراهيم صبرى.

وضعت السيد السفير /جمال الفرا فى صورة تفصيلية كاملة عن إجمالى ما تم الاتفاق عليه، على أن يبقى من أسرار السفارة المحصورة فى شخصه وشخص مستشار السفارة إذا ما تغيب عن السفارة، واستغرق هذا النقاش يومى ٥ و ٦ أغسطس.

الاتصال بنائب مدير قناة بنما حسب الاتفاق :

فى صباح يوم 5 أغسطس اتصلت تليفونياً بالسيد «جوان اسكاروس » نائب مدير قنا بنما حسب الاتفاق بينى وبينه؛ لأخطره بميعاد سفرى إلى القاهرة فى آخر مرحلة، وهى زيارة البرازيل، وأبلغته بأننى حجزت للسفر صباح يوم ٧ أغسطس ١٩٥٩، وعليه يمكنه البدء فى اتخاذ الإجراءات التى حدثنى عنها لمصلحة سيطرتهم على مصالحهم فى القناة، على أن يتم ذلك بعد سفرى، لاستبعاد أى ارتباط ما بين وجودى فى دول أمريكا اللاتينية وما يحدث فى بنما، وكان رده أنهم جاهزون تماماً لاتخاذ كل الخطوات المتفق عليها، وطمأننى بأن الجميع جاهز ومستعد، وهم سعداء بكامل هيئتهم النقابية، وسيخطروننى بإذن الله بعد وصولى للقاهرة بما تم وبالتفصيل الكامل وأملهم فى النجاح كبير.

وقد فوجئت بعد صعودى الطائرة، وأنا فى طريقى للقاهرة صباح يوم ٧ أغسطس ١٩٥٩، وأثناء اطلاعى على جريدة «هيرالد تريبيون» Herald Trepun ومجلة «نيوز ويك الأمريكية»، News Week بمقالين كاملين يتناولان حدوث ثورة منظمة فى إدارة قناة بنما من جانب جميع الأعضاء البنميين وعلى اختلاف صفاتهم، وطبيعة أعمالهم، ونوعيتها، وكلها تهدف إلى الإطاحة بكل من له ارتباط بالسلطات الأمريكية؛ لإبعاده عن عمله فى إدارة قناة بنما، بعد أن مكنوا القادرين على الإحلال محلهم من أبناء بنما، وانعكاس هذا الموقف على الشعب البنمى، الذى قام بمظاهرات صاخبة على أرض العاصمة بنما، وفى جميع أنحائها؛ ابتهاجاً بنجاحهم فى السيطرة على إبعاد الأمريكيين، وسيطرتهم على القناة باعتبارها قناة بنمية يملكها مواطنو بنما فقط. اختتم المقالان بأن هذه الإجراءات القانونية والانقلابية فى السلطة جاءت - حسب ما اكتشفته السلطات الأمريكية فى بنما -نتيجة وجود جاسوس مصرى لعبد الناصر مكث عدة أيام، واتصل بجميع الأعضاء البنميين العاملين بقناة بنما، وكذلك نقابات العمال البنميين، وأثارهم ليتخذوا هذه المواقف العدوانية ضد الولايات المتحدة الأمريكية، إلا أنهم لم يحصلوا على الاسم، ولا الصورة لهذا الجاسوس.

وحينما فهمت من كتابة المقالين أن كل ما حدث تم صباح يوم ٦ أغسطس، شككت أن يكون وراء هذا التغيير فى المواعيد - لأن من المفترض أن يتم العمل يوم ٧ أغسطس حسب

الاتفاق - إحساس الأخوة اليمنيين باكتشاف السلطات الأمريكية لحقيقة التدبير لهذه العملية قبل ميعادها، عن طريق وصول معلومات من أحد عملائها عن طريق خيانة ما من أحد المتصلين من أبناء بنما، الأمر الذى دفع قيادة العملية إلى البدء فوراً فى تنفيذها دون انتظار الموعد المقترح، وعموماً لم أهتم كثيراً وحمدت الله على نجاحهم فيما قاموا به.

إلا أننى وأنا أطير على طائرة T.W.A الأمريكية فى طريقى إلى القاهرة، وبالقطع كل من عليها قرأ الخبر، فلا شك أن هؤلاء القراء - ومنهم قائد الطائرة وزملاؤه - سيحاولون بأى شكل أن يتعرفوا على هويتى، وإذا كان لى أى صلة بمن يمكنه أن يدبر لمثل هذا العمل، وبالمصادفة البحتة كان بجانبى على الطائرة مهندس أمريكى من مدمنى الخمر، فاتخذته دليلاً جيداً لتمويه أى صفة أو محاولة اتصال بى، كما اتخذت من أسلوبه فى احتساء الخمر أفضل وسيلة لأطلب الخمر، وبصورة خفية أضع ما أطلبه فى كأسه وأدعى أننى شربت كل شىء، وأصبحنا نعيش كأننا مدمنو خمر على الطائرة؛ مما جعل الجميع يتفادى الاقتراب منا، وبهذه الوسيلة البسيطة تجنبت أى حديث مع أى راكب فى الطائرة، وتجنب الآخرون الاحتكاك بى بأى صورة بحمد الله وتوفيقه.

الفصل الثانى

الوصول إلي القاهرة واللقاء الأول بالرئيس جمال عبد الناصر

قبل صعودى للطائرة علمت بأنها ستطير من ريودى جانيرو، لتهبط فى داكار عاصمة السنغال، ثم فى لشبونة عاصمة البرتغال، ثم فى جنيف بسويسرا، مما جعلنى أتم حجز طائرتى من جنيف إلى القاهرة منذ وجودى فى البرازيل؛ لأعود للقاهرة على طائرة شركة مصر للطيران، لذلك تم بحمد الله طيران الطائرة وهبطت بالنظام المحدد نفسه، ووصلت إلى جنيف فى موعدها، وهبطت لأستقل طائرة مصر للطيران بمطار جنيف، لأتم رحلة العودة بسلامة الله وتوفيقه ظهر اليوم الثانى أى يوم ٨ أغسطس ١٩٥٩.

ما أن وصلت إلى مطار القاهرة، حتى استقللت سيارتى لأتوجه إلى منزلى، لأستبدل ملابسى، وأتجه مباشرة إلى منزل الرئيس عبد الناصر بعد الاستئذان فى مقابلته تليفونياً.

تم الاجتماع بالرئيس عبد الناصر فى الساعة الواحدة ظهراً يوم ٨ أغسطس ١٩٥٩ بمنزله، لأسعد بترحيبه بى، واطمئنانه على سلامة عودتى، خاصة بعد ما كان قد اطلع على « هيرالد تريبيون » « النيوز ويك » وقرأ خبر جاسوس عبد الناصر، وألاعيبه فى بنما، وجاءت ابتسامته العريضة وسؤاله : ماذا تم ؟ وكيف عرفوا إنك اللى عملت العملية؟

وأجبته: « الحمد لله لم يعرفوا من أنا، ولا اسمى، ولا صورتى، وهنا قال لى كعادته: متى ستحضر لى تقريرك اللى فيه كل شىء بالتفصيل .فأخبرته بأننى أرسلت تقرير كل بلد أولاً بأول بالحقيبة الدبلوماسية مُجمعة عند السفير /إبراهيم صبرى، وسأحصل عليها غداً، وأقوم بكتابة التقرير الكامل، ثم أحضره لسيادتك.

وطلب منى الرئيس أن أعطيه الصورة إجمالية عن الأحداث المهمة فى كل الرحلة باختصار، واستفسر عن متى سأنتهى من عمل التقرير ويكون جاهزاً، فأجبت عليه: فى بحر يومين، وسأحضره مباشرة.

ولخصت أحداث الرحلة الطويلة كلها بصورة إجمالية عن أهم ما طرأ فيها من تصورات، واتفاقات، وحقيقة الأوضاع المهمة التى حصلت عليها بطريقة طمأنت الرئيس عبد الناصر على أسلوب حياة ومعيشة عرب المهجر وسلامة موقفهم ، وحسن تعاملهم مع سلطات الدول التى استوطنوها.

كما أشرت - وبتفصيل مركز - إلى دور الجالية اليهودية ونشاطها العنيف فى مواجهة عرب المهجر، ومحاولة استغلالهم لمصلحة الجالية اليهودية الكبيرة، التى تتخذ من الأرجنتين مركز النشاط الحيوى الرئيسى لها.

واختتمت هذا الملخص المهم بتناول ما تم فى البرازيل، ونشاط الجاليتين السورية ، واللبنانية ، وسيطرتهم على معظم النشاط التجارى فى جميع مجالات الصناعة القائمة حالياً، والجارى إقامتها بمعرفة الحكومة الجديدة البرازيلية، ذات القدرات العالية فنياً، ووطنياً، وعسكرياً، وسيوضح التقرير الكامل تفاصيل كل ما تناولته فى الصورة المختصرة التى ذكرتها.

وتم هذا التلخيص فى نحو ساعة، طلب منى الرئيس عبد الناصر بعدها أن أكتفى بما ذكرته حالياً، وأنه اطمأن كثيراً بعد ما سمعه وما حققته من خطوات لا بأس بها، ويهمه أن أنهى تقريرى فى بحر يومين وأعود له به كاملاً وأسلمه له يداً بيد.

وحينئذ سيطلع عليه ليعود للالتقاء بى مرة جديدة؛ ليناقش معى تفاصيل التقرير بالكامل، واتخاذ قراراته بصورة نهائية، تتعلق بكل ما هو مطلوب .واستأذنت لأعود إلى منزلى ، وطلب منى أخذ قسط من الراحة، وانتهى اللقاء فى الساعة الثانية والنصف بحمد الله وتوفيقه.

اللقاء الثانى وقرارات الرئيس عبد الناصر :

أتممت كتابة التقرير الكامل للمهمة فى بحر يومين، ومما سهل علىَّ أن كل بلد كان تقريرها منفصلاً ومكتملاً تماماً، ولذلك جاء التقرير مسلسلاً بصورة مطابقة للواقع، ومؤكدة لمختلف أحداث المهمة بصورة متكاملة بالتسلسل نفسه الذى ورد فى هذا الكتاب.

اتصلت بالسيد الرئيس، واستأذنته فى اللقاء ثانى يوم الموافق ١٢ أغسطس ١٩٥٩،

فأخبرنى بأنه منتظر التقرير منى الآن، لأقوم بتسليمه لسكرتيره الخاص؛ ليرسله إليه، نظراً لانشغاله طوال أيام ١٢ و ١٣ و ١٤ أغسطس فى اجتماعات متتالية، ولذلك سيحتفظ بالتقرير ويهيئ الوقت المناسب ليطلع عليه اطلاعاً كاملاً وتفصيلياً؛ لاستيعابه بكل دقة وسيخطرنى بموعد اللقاء به؛ لمناقشة كل ما جاء بالتقرير، واتخاذ القرارات اللازمة لوضع الأمور فى نصابها، وحضر مندوب الرئيس ليتسلم التقرير مغلقاً وسلمه للرئيس فوراً.

فى يوم ١٥ أغسطس طلب الرئيس جمال عبد الناصر لقائى به يوم ١٦ أغسطس الساعة الحادية عشرة صباحاً بمنزله، وفى الموعد توجهت إليه ليقابلنى بابتسامته المعروفة، والتى طالما أسعدتنى قائلاً : «إيه اللى عملته ده أنا موافق على كل اللى عملته، بس فيه شىء أنت نقصته فى التقرير بتاعك، اللقاء اللى تم مع الشيخ محمد فى سان فرانسيسكو لماذا لم تكتبه فى التقرير» وهنا أخرجت من جيبى تقريراً كاملاً من أربع صفحات بالمطلوب، والذى يضم تقرير لقاء رئيس الجالية الشيخ محمد ومساعديه، واحتفظت به بعيداً عن الكتابة؛ لأهمية وسرية ما تضمنه التقرير، وتأثيره على سياستنا الخارجية، مما يقتضى التزامى بضمان وصوله إلى يد سيادتك شخصياً، وليس لأى شخص آخر، فأخذ التقرير، وقرأه فى عشر دقائق، مُبدياً شكره وسروره، وطمأننى لأننى كنت ذكياً فى عدم طرحه على الملأ .

واختتم الرئيس عبد الناصر تعليقه على ما قرأه فى التقرير بمناقشتى فيما تم الاتفاق عليه مع الوفد المرشح للالتقاء به فى القاهرة من الجاليتين السورية واللبنانية بالبرازيل، مستفسراً عن معنى كلامهم إنهم سيقومون بتجميع أموال ويحضرونها لشراء سلاح؟ ما المقصود؟ هل سنقوم بشراء سلاح، ونعطيه للفلسطينيين أم لمن؟ ففسرت له المقصود من كلامهم كما أوضحوه بالتفصيل لى، بأنهم يعلمون تمام العلم أن كل حركات التحرر العربية سواء فى المغرب العربى أو المشرق العربى تحملت مصر، وثورة مصر جميع مصروفات الأسلحة المشتراة لها، والتى استخدمتها فى تحرير وطنها، فى الوقت الذى قصرت فيه كثير من الدول الصديقة والشقيقة أن تمد يد المعونة بأى مساعدة كانت، الأمر الذى جعلهم يشعرون بعدم تماشى هذا الموقف الغريب من بعض دول الأمة العربية، وتحمل مصر لكل أعباء تحرير الوطن العربى، ولذلك أجمعوا جميعاً على ضرورة أن يساهموا بما أتاح لهم الله من رزق زائد عن حاجتهم؛ لدعم كفاح ثورة ٢٣ يوليو فى تحرير الأرض العربية والإسلامية، لما لذلك من آثار لها مزاياها العديدة؛ لرفع سمعة وقدرة الأمة العربية - وعلى رأسها مصر - فى العالم أجمع، ورد علىّ الرئيس عبد

الناصر بأن هذا موقف كريم، قومى وطنى، يؤكد سلامة وأصالة هؤلاء الأعضاء العرب أصلاً وخلقاً وديناً.

وأبدى الرئيس جمال عبد الناصر استعداده لاستقبال هذا الوفد وتأييده فى كل مطالبه التى أوردتها بتقريرك، لما تعنيه من قيم أخلاقية وارتباط عضوى لمعنى الإخوة، والحرص على عدم التراخى والتهرب من المواقف القومية الصادقة الواقعية، كما أن الموعد الذى حددوه مناسب جداً لنا، وأعتقد أنه سيساعدنا على اتخاذ قرارات عاجلة ومدروسة دراسة كافية، تحقق الأهداف بكل ما نتمناه.

أما بخصوص موضوع التبادل التجارى، فسأكلف من الآن الدكتور/القيسونى ، ووزير التجارة؛ لدراسة كل ما أثاره الوفد السورى/اللبنانى بـ « البرازيل » من مقترحات للتبادل التجارى؛ لنكون مستعدين للالتزام بالتنفيذ الفورى لما هو مطلوب ، داعين الله أن يوفقنا جميعاً لما فيه الخير والفلاح والصلاح لأمتنا العربية وشكراً.

الفصل الثالث

زيارة الوفد العربي البرازيلي والأرجنتيني للقاهرة ولقاء الرئيس جمال عبد الناصر

استمرت الاتصالات بينى وبين الإخوة رؤساء الجاليتين العربيتين بـ« البرازيل» السورية واللبنانية بما يحقق دوام الاتصال بيننا، إلى جانب تولى سفارة الجمهورية العربية المتحدة بقيادة السفير /جمال الفرا إخطارنا أولاً بأول بما يضع وزارة الخارجية بالقاهرة على علم كامل بكل ما يهم إلمامنا بكل تطورات الأوضاع، وبما يفيد ضمان استمرار ارتباط الأخوة أبناء جاليات عرب المهجر فى ريودى جانيرو، وساو باولو بما يطور العلاقات بين البرازيل والقاهرة على مختلف مجالات النشاط التجارى والاقتصادى إلى الأفضل، مع الاهتمام بباقى مجالات الثقافة والصناعة التى بدأت البرازيل تأخذ موقفاً دولياً رفع من مستواها وزاد من انتشار تعاملها على مختلف أنحاء العالم، وبالذات الميدان الأوروبى والآسيوى، بأسلوب أصبح موضع اهتمام جميع دول العالم بشكل واضح.

طبقاً للاتفاق الذى تم بحثه خلال وجودى بـ«البرازيل» مع السادة رؤساء الجاليتين السورية ، واللبنانية بـ « البرازيل» فى مركزى النشاط الرئيسيين بـ « ساو باولو » ، «ريودى جانيرو » ، كلفنى الرئيس جمال عبد الناصر بالاجتماع بالدكتور /عبد المنعم القيسونى؛ لمناقشة جميع ما دار بينى، وبين قادة الأنشطة الاقتصادية ، والتجارية بـ «البرازيل» وبحث ميادين النشاط الرئيسى فى مجال التبادل التجارى، استيراداً وتصديراً بين مصر، والبرازيل بما يخدم توسيع النشاط التجارى بين البلدين، وبما يزيد من دعم النشاط الاقتصادى، ويرفع من مستويات التعامل، وزيادة التصدير من الجمهورية العربية المتحدة إلى البرازيل، ومضاعفة مجالات ونوعية التصدير والاستيراد.

أهمية إعداد تخطيط كامل ودقيق لنتائج الدراسة التى يقوم بها جميع المختصين من وزارتى التجارة، والاقتصاد بإعداد مشروع كامل يوضح تفاصيل كل ما يمكن الاتفاق عليه، نتيجة لجميع الدراسات، مع اختيار المتخصصين فى جميع الأنشطة، والمجالات ليكونوا على استعداد للاجتماع بالسادة أعضاء الوفد البرازيلى العربى عند وصولهم للقاهرة؛ لمناقشة تفاصيل الاتفاقية المنتظر إعدادها، وإقرارها مبدئياً بمعرفة الدكتور /عبد المنعم القيسونى، وإخطارى بمضمونها بمجرد إتمامها.

وإزاء اعتزام وفد من قادة الجاليتين العربيتين السورية واللبنانية القيام بزيارة القاهرة؛ للالتقاء بالرئيس جمال عبد الناصر، والاتفاق على خطة متكاملة لزيادة النشاط التجارى بين الجمهورية العربية المتحدة والأرجنتين، طلب منى الرئيس جمال عبد الناصر الاتفاق مع الدكتور /عبد المنعم القيسونى لإعداد خطة متكاملة تتناول أسلوب ممارسة جميع الأنشطة التى تم إعدادها لمضاعفة النشاط التجارى بين القاهرة وبيونس أيرس؛ لمناقشة تفاصيلها مع الوفد الأرجنتينى العربى للوصول إلى أنسب الطرق وأفضل مجالات التبادل التجارى ما بين ج.ع.م ، والأرجنتين لمضاعفة الاستيراد والتصدير ما بين البلدين، ولتطوير العلاقات فى مختلف مجالات التعاون التجارى، سواء بالنسبة لنوعية الإنتاج الزراعى أو الصناعى، وبما يكفل مضاعفة قيمة ميزانية التبادل التجارى، بما يحقق دعم الارتباط المنشود فى العلاقات على اختلاف أنشطتها بين شعبى البلدين، وبما يرفع مستوى ميزانية معيشتهم.

إتمام خطة الاتفاق مع الوفد البرازيلى المنتظر وصولهم فى النصف الأول من شهر أكتوبر ١٩٥٩ ، وخطة الاتفاق مع الوفد الأرجنتينى المنتظر وصولهم بعد منتصف شهر يوليو ١٩٦٠ . وقد أبلغنى الدكتور /عبد المنعم القيسونى بإتمام خطتى الاتفاقيتين الأولى مع الوفد البرازيلى، والاتفاقية الثانية مع الوفد الأرجنتينى، وذلك فى لقائى به يوم السبت الأول من شهر أكتوبر ١٩٥٩ ، واختياره لأعضاء الوفد المصرى لكلتا الاتفاقيتين البرازيلية، والأرجنتينية ممن قاموا بإعداد الاتفاقيتين .وأنه سيعرض الأمر على الرئيس عبد الناصر صباح بعد غد الاثنين؛ ليضعه فى الصورة الكاملة للموقف، وسلمنى صورة من مشروع الاتفاقيتين؛ لأخذ رأيى فيما أعدوه، مع إخطارى بأى ملاحظات لى قبل عرضها على الرئيس عبد الناصر.

ولم أجد فى مشروع الاتفاقيتين أى ملاحظات، بل وجدتهما مغطيين لجميع المطلوب إعداده تماماً مقدراً المجهود الذى قام به المختصون الفنيون فى إعداد المشروعين.

وما أن اتصل الدكتور /القيسونى بالرئيس عبد الناصر لتحديد موعد لقائه به حتى بادر الرئيس عبد الناصر بتكليف سكرتيره /محمد أحمد للاتصال بى تليفونياً؛ لحضور مقابلة الدكتور /عبد المنعم القيسونى، على أن أسبقه فى لقاء الرئيس قبل نصف ساعة من موعد لقاء الدكتور /القيسونى.

ونفذت تعليمات الرئيس عبد الناصر بدقة ومعى صورة المشروع الذى سلمنى إياها الدكتور /القيسونى، لتتم مناقشة ثنائية حول مضمون المشروع المعد للوفد البرازيلى، وليستقر رأى الرئيس عبد الناصر على الموافقة على مشروع الاتفاقية المعدة بالكامل، مع إضافته لبعض الملاحظات التى تتضمن استيرادنا لبعض المصنوعات البرازيلية التى كان لها تأثير سار على نفوس الوفد العربى البرازيلى، بعد معرفتهم بإضافة هذه النوعية من صناعة البرازيل، مع موافقة الرئيس فى لقائه بالوفد العربى البرازيلى على استيراد بعض الأسلحة من صناعة البرازيل؛ لاستخدامها فى تسليح رجال ومقاتلى التحرير العربى على بعض ساحات الوطن العربى، وبالذات الجزائر، وبعض دول المشرق العربى.

وقد رأى الرئيس عبد الناصر احتفاظه بصورة المشروع التى تسلمتها من الدكتور/ القيسونى لديه، لحين مناقشة الموضوع بالكامل مع الوفد البرازيلى عند وصوله للقاهرة، وبعد أن ناقش الرئيس عبد الناصر تفاصيل مشروعى الاتفاقيتين البرازيلية، والأرجنتينية غادر الجلسة الدكتور /القيسونى؛ ليستبقينى الرئيس عبد الناصر؛ لمناقشة التفاصيل الإدارية المزمع اتخاذها مع الوفد البرازيلى بداية، وبعد أن شرحت للسيد الرئيس اعتزامى استضافتهم بفندق الكونتيننتال؛ لموقعه فى وسط القاهرة، وسهولة التحرك منه وإليه لأى موقع سياحى أو رسمى أو ترفيهى بأى مكان من جوانب القاهرة، مع تعيين سيارتين من الرئاسة لخدمة الوفد بأعضائه الثمانية ذوى المكانة الطيبة وسط الجاليتين السورية، واللبنانية بالبرازيل، مع تعيين مرافق من مستخدمى رئاسة الجمهورية المختصين لمرافقتهم واستضافتهم فى المطاعم الممتازة، والمعروفة فى جميع أنحاء القاهرة، وقد وافق الرئيس على أسلوب الضيافة بكل ارتياح.

استقبال الوفد العربى البرازيلى :

ما أن بدأ شهر أكتوبر ١٩٥٩ حتى تلقيت رسالة عاجلة من سفارة الجمهورية العربية المتحدة بالبرازيل، ليخطرنى فيها السفير /جمال الفرا باتصال الأخوة أعضاء الوفد البرازيلى لعرب المهجر به؛ ليؤكدوا التزامهم بالبدء فى تجهيز أنفسهم للسفر إلى القاهرة ، ليصلوا فى موعد غايته ٧ أكتوبر ١٩٥٩ ، على أن يبرقوا لنا بموعد وصولهم قبل مغادرتهم

ريودى جانيرو بيومين على الأكثر.

وبعد أن أخطرت السيد الرئيس جمال عبد الناصر بتطور الموقف كما سبق وذكرت، اتخذ عدة قرارات بشأن التحضير الكامل لتفاصيل الاجتماعات المنتظرة بالاتفاق مع الدكتور /القيسونى، ليتم كل ذلك بعد اللقاء الأول للوفد بالرئيس جمال عبد الناصر، الذى سيتم بحديقة أنطونيادس بالاسكندرية، وتركزت كل القرارات فى الاختيار الكامل لأعضاء الوفد المصرى، مع التركيز على النوعيات التى لديها القدرة على استيعاب نوعيات وأصناف السلع البرازيلية، المتعامل بها بين كل من مصر والبرازيل ، واختيار بعض المختصين من القوات المسلحة؛ لتغطية كل ما يتعلق بالاستشارة الكاملة باحتياجات القوات المسلحة من السلاح ، والذخيرة والمعدات الجارى تصنيعها - حينذاك - بالبرازيل، بالإضافة إلى عدم انتهاج أسلوب التجارة المغالى فى شروطها، حتى لا يتصور الوفد العربى البرازيلى أى فهم خاطئ لحقيقة نيات وأهداف الاتساع فى مجالات التبادل التجارى المزمع القيام بها بين البلدين.

ولم يمض أكثر من أيام معدودة حتى وصلنا يوم ٦ أكتوبر ١٩٥٩ برقية من البرازيل، تفيدنا بموعد وصول الوفد العربى البرازيلى يوم ٧ أكتوبر ١٩٥٩ على الطائرة Pan American التى تصل القاهرة فى الساعة العاشرة من صباح يوم 7 أكتوبر، مع اعتذار أحد الثمانية لمرضه المفاجئ.

وبمجرد تسلمنا للبرقية، قمت بإصدار التعليمات لجميع المختصين السابق إعدادهم لمختلف الشئون الإدارية، لاستقبال الوفد بموعد وصوله، واتفقت مع الدكتور /القيسونى لتكليف السيد وزير التجارة ليكون معى فى استقبال الوفد بمطار القاهرة، لنكون بصحبة الوفد بعد وصوله؛ ولتوصيلهم إلى فندق كونتيننتال، والاتفاق معهم على الموعد المحدد للقائهم صباح غد يوم الوصول للقاء الرئيس جمال عبد الناصر، ولنصحبهم نحن الاثنان معاً من الفندق إلى الأسكندرية بالسيارتين المعينتين من رئاسة الجمهورية لخدمة الوفد وتنقلاتهم، وأعطيت التعليمات لمندوب الرئاسة المعين لمرافقتهم بالفندق لتولى جميع احتياجاتهم الإدارية والتجهيزات اللازمة لراحتهم بالفندق.

باشرت اتخاذ جميع إجراءات استقبال الوفد صباح يوم ٧ أكتوبر، واتصلت تليفونياً بوزير التجارة؛ لنكون فى استقبال الوفد باستراحة كبار الزوار بمطار القاهرة فى التاسعة والنصف من صباح اليوم نفسه، ووصلنا المطار فى الموعد المحدد، ليبلغنا المطار بأن طائرة

الـ Pan-American على وصول للمطار فى بحر ساعة من وقت وصولنا، والتأخير لا يتعدى نصف ساعة فقط ، لأحوال الجو فوق البحر الأبيض، وفى العاشرة والنصف صباحاً تحركنا لنستقبل الوفد وهم :

-السيد / حميد الأتاسى - رئيس الجالية السورية بـ« ساو باولو ».

-السيد / عبد الرحيم كرامى - رئيس الجالية اللبنانية بـ « ساو باولو ».

-السيد / مطاع العسلى - رئيس الجالية السورية بالعاصمة «يودى جانيرو».

-السيد / بسام سالم - رئيس الجالية اللبنانية بالعاصمة «ريودى جانيرو».

-السيد / صبرى عمران - من قادة الجالية السورية « ريودى جانيرو ».

-السيد / جميل مراد - من قادة الجالية اللبنانية « ساو باولو ».

-السيد / كميل تكلا - من قادة الجالية اللبنانية « ريو دى جانيرو ».

وتخلف عن الحضور السيد / كريم بشارة؛ لمرضه المفاجئ، واضطراره لملازمة الفراش طبقاً لتعليمات الأطباء.

وتم الاستقبال، وتوجهنا بهم إلى الفندق، ليستقبلهم مدير الفندق بالترحاب الواجب بصورة طيبة، واستأذنتهم أنا والأخ وزير التجارة فى تركهم للاستراحة، والعودة إليهم فى الساعة الثامنة مساءً؛ لاصطحابهم لتناول العشاء هم وأسرهم فى أحد المطاعم الرئيسية بمنطقة الجزيرة ، وذلك بعد أن أمرت المسئول المختص من رئاسة الجمهورية بإتمام جميع مطالبهم لتناول طعام الغداء بالفندق.

الوفد العربى البرازيلى يلتقى بالرئيس عبد الناصر :

فى الثامنة صباح يوم ٨ أكتوبر ١٩٥٩ تحركنا بالسيارات المعدة لتنقلات الوفد وأسرهم؛ لاصطحابهم للقاء الرئيس جمال عبد الناصر بقصر أنطونيادس بالأسكندرية، ووصلنا فى الحادية عشر صباحاً وتمت استضافتهم فى قصر أنطونيادس المتوافر به جميع التزامات الضيافة الكاملة، وقد وزعوا هم وأسرهم على غرف القصر المعدة لذلك بالأسكندرية .وفى السابعة مساءً اصطحبت وفد عرب المهجر للقاء الرئيس جمال عبد الناصر فى حديقة أنطونيادس، حيث استقبلهم هو وكل السادة المدعوين من مجلس الثورة والمسئولين من ضباط القوات المسلحة، مُرحباً بهم، مستفيداً من تقديمى لهم بأسمائهم وأوضاعهم فى مجال جالياتهم السورية واللبنانية؛ ليتعرف عليهم شخصياً، ولينطلق معهم فى الحديث



الرئيس جمال عبد الناصر يوثق التعارف، بين وفد عرب المهجر بالبرازيل والوفد المصرى المشترك فى ضيافتهم بالقاهرة ٨/ ١٠/١٩٥٩

الشامل لكل ما كانوا يسعون إلى الاستماع إليه على لسان الرئيس جمال عبد الناصر كرئيس دولة الوحدة والأخ الأكبر لجميع الشعوب العربية، والزعيم الراعى لكل مسئولياته فى رعاية الأمة العربية لشعوبها على اتساع ساحتها، موضحاً لهم مدى سروره وسعادته بأن يستقبلهم على أرض مصر فى إطار من الفهم العميق، والإيمان الصادق بما تمليه عليه سياسة الاخوة القومية والعربية من واجبات دعم جميع أبناء الأمة العربية المقيمين على أرضها والمهاجرين؛ ليقيموا على أرض فتحت لهم صدورها لاستقبالهم، وترعاهم رعاية الأم الأصلية، وتعاملهم بكل الود والعدل والإخوة الصالحة، بلا تمييز أو خروج على القواعد الإنسانية المحمودة.

انتقل الرئيس عبد الناصر فى حديثه إلى تناول موضوع التبادل التجارى بين الجمهورية العربية المتحدة والبرازيل، وناقش جميع التفاصيل الخاصة بعملية التصدير والاستيراد القائم حالياً وتطويره إلى الأفضل والأحسن، وزيادة معدل التبادل التجارى، ليشمل الأصناف التى جدت صناعتها وزاد إنتاجها، ومصر فى احتياج إلى الاستفادة بهذا الإنتاج الجديد، وبالذات كل ما يتعلق بالناحية العسكرية اللازمة لدعم كل مجالات التحرير العربى على ساحة الوطن العربى، وخاصة فى المناطق التى ما زالت ترزح تحت نيران الاستعمار والاستبداد والقهر، مثل أرض فلسطين المستعمرة بمعرفة الصهيونية الدولية، فيما هو معروف حالياً باسم إسرائيل، التى لا تكف عن العدوان المستمر، واغتيال أبناء الشعب الفلسطينى بلا مبرر، بمعاونة السلطات الأمريكية وأتباعها من الدول الغربية .وقد لاقى حديث الرئيس بهذا الشكل اهتماماً كاملاً من الوفد العربى البرازيلى، واندفاعاً من جانبهم لتأييد دعمهم كأصحاب مصلحة مباشرة فى معاونة ثورة ٢٣ يوليو فى ضرب الاستعمار الصهيونى.

وهنا نهض الوفد العربى البرازيلى، ليقفوا فى صف واحد أمام الرئيس جمال عبد الناصر - وسط دهشتى ودهشته - ماذا يريدون أن يفعلوا؟ وإذا بالأخ قائد رئيس الجالية السورية يلقى كلمة تحية وتقدير للرئيس جمال عبد الناصر، ويخبره بأنهم حضروا ليساهموا مع مصر أم الوطن العربى، التى ضحت برجالها وأموالها وكل ما يمكن أن تقدمه لتحرير الوطن العربى من كل صور الاستعمار الأجنبى، والاستغلال والكبت، والظلم والقهر، لحكام الدول العربية على طول وعرض ساحتها، ومن أبناء الأمة العربية الذين فقدوا إيمانهم بأمتهم، واستغلوا موقع السلطة ليستعبدوا أبناء أمتهم العربية، بلا مبرر أو هدف سوى التمتع الكامل بكل ما يسعون إليه من سيطرة واستغلال واستنفاد لمقدرات الأمة العربية لمصالحهم الشخصية.



الرئيس جمال يرحب بباقى وفد عرف المهجر بالبرازيل فى ٨/ ١٠/ ١٩٥٩

وتقدم الأخ / حميد الأتاسى بشيك للرئيس جمال عبد الناصر بمبلغ ثلاثة ملايين وخمسمائة ألف دولار؛ دعماً من الجاليتين السورية واللبنانية بالبرازيل لما تقدمه مصر من جهاد ونضال تحررى كامل؛ لتحرير الشعب العربى من براثن الظلم والاستغلال والاستعباد، ومن كل الجبابرة ممن تولوا الحكم من أبناء الأمة العربية، أو نفذوا تعليمات الاستعمار الغربى؛ لاستغلال كل خيرات الأمة العربية لمصلحة المستعمر الأجنبى، على حساب ما يعنيه أبناء الأمة العربية، من قصور فى حياتهم، وشعورهم بأدميتهم الصادقة وإيمانهم العميق بأمتهم العربية.

وقد تسلم الرئيس جمال الشيك، مُعبراً عن شكره وتقديره لما لمسه من جانب الوفد العربى البرازيلى من إيمان وصدق وتضحية، فى سبيل دعم نضال الأمة العربية؛ لتتحرر تحرراً كاملاً ويمارس أبناؤها على اختلاف مستوياتهم الحياة الحرة الكريمة بلا تطلع لأهداف شخصية على حساب من عانوا طوال حياتهم، حتى يوم لقائنا هذا بالعديد من العيش الكريم فى إطار من الإحساس بأدمية حياته التى لا ينقص أرضها أى خير أو منفعة بعيداً عن متناوله ، والله يوفقنا جميعاً فى أن يكلل مسعانا جميعاً كمتطوعين فى خدمة وطننا بالنجاح والفلاح والخير الكبير لمصلحة أمتنا العربية.

وانطلق الرئيس جمال عبد الناصر فوراً ليبلغ الإخوة أعضاء الوفد العربى البرازيلى بأنه يسعده أن يكلفنى بإخطار الدكتور /عبد المنعم القيسونى - وزير الاقتصاد المصرى- بدء اجتماع الوفد العربى البرازيلى بالوفد المصرى، الذى تم اختياره لدراسة مشروع الاتفاق الذى تم إعداده وبحث تفاصيله بمعرفتكم، مع الأخ / فتحى الديب خلال وجوده معكم سابقاً فى البرازيل، مع الاستعداد شخصياً للاتفاق الكامل بما يتماشى مع مصلحة الشعب البرازيلى بكل فئاته، وبما يخدم التبادل التجارى لمصلحته ومصلحة الجمهورية العربية المتحدة، حتى يتم التوقيع على الاتفاق المقترح .بعد إقراركم لكل ما شمله من تفاصيل تتماشى ومصالحكم فى البداية .وأشكركم شكراً جزيلاً، وسوف أسعد بلقائكم مرة ثانية بعد توقيع الاتفاقية التى ستقرونها، لألتقى بكم وأهنئكم بإتمام هذا الجهد الممتاز، وأحييكم بما قدمتموه من جهود جليلة فى هذا المجال. والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

ما أن أتم الرئيس كلمته حتى اصطحب معه الإخوة الضيوف وأسرهم إلى المكان المعد لتقديم العشاء الكامل لجميع أعضاء الوفد وأسرهم، والأخوة أعضاء الوفد المدعو لمشاركة الرئيس فى تكريم وفد عرب المهجر بالبرازيل، الذى استغرق نحو الساعتين، استمتع

خلالهما الجميع بجو الأسكندرية اللطيف، وسط حدائق أنطونيادس الشهيرة، ولينتقل الاحتفال بهم إلى مسرح أنطونيادس الرخامي، لينتشروا فى جلوسهم حوله، وليتم استمتاعهم بالحفل الغنائى والموسيقى الذى أقامه كبار المغنيين والمغنيات والموسيقيين المصريين؛ احتفالاً بوفد عرب المهجر؛ وتكريماً لزيارتهم لأرض القاهرة عاصمة دولة الوحدة العربية لكل من مصر، وسوريا، ولبنان، وجميع الدول العربية.

وبعد انتهاء السهرة الموسيقية انتهى الحفل، ليستريحوا لقضاء ليلهم فى غرف القصر الشهير.

وباشر الوفدان المصرى، والعربى البرازيلى فى ثلاثة أيام متتالية اجتماعات طويلة خلال أيام ٨ و ٩ و ١٠ أكتوبر ١٩٥٩ ، وتم توقيع الاتفاق بين الوفدين برئاسة الدكتور/ عبد المنعم القيسونى، ثم رفع القيسونى صورة للاتفاق المقر، والموقع عليه للرئيس جمال عبد الناصر، للاطلاع عليها، الذى أمر بتحديد موعد للقاء الوفد العربى البرازيلى فى الساعة الحادية عشرة من يوم ١٢ أكتوبر ١٩٥٩؛ ليودعهم ويشكرهم على نجاح توقيع اتفاق بين البلدين فى إطار المصالح الشخصية لجالية عرب المهجر بالبرازيل.

استقبال الوفد العربى الأرجنتينى :

وصلنا من وفد عرب مهجر الأرجنتينى طبقاً للاتفاق السابق معهم خلال وجودى بالأرجنتين، ليخطرونا باعتزامهم السفر للقاء الرئيس جمال عبد الناصر بالقاهرة يوم ٢٧ يوليو ١٩٦٠ ، ووصلنا فى الوقت نفسه برقية عن طريق سفير الجمهورية العربية المتحدة بـ « بيونس أيرس»، ليخطرنا باتصال رئيس وفد عرب المهجر الأرجنتينى السيد /أميل سعدون باتخاذهم جميع الإجراءات ليصلوا للقاهرة يوم ٢٦ يوليو ١٩٦٠ ، وفور وصول البرقيات تم اتخاذ إجراءات الاستعداد الرسمى، طبقاً للإجراءات التى تم اتخاذها وتنفيذها فى استقبال وفد عرب المهجر البرازيلى.

وبعد عرض الأمر على السيد الرئيس أبلغنى باتباع الإجراءات نفسها مع الدكتور/ القيسونى، لاختيار أعضاء الوفد المصرى، ليكون جاهزاً للقاء الوفد الأرجنتينى فى الموعد المحدد ، وطلب منى إخطار جميع الجهات المسئولة، لاستقبال الوفد العربى الأرجنتينى ، واختيار الفندق المناسب لاستضافة وفد عرب المهجر وأسرهم بالفندق المختار.

وقد تمت جميع الإجراءات تفصيلياً بسهولة متناهية؛ مستفيدين بخبرتنا من استضافتنا السابقة لعرب مهجر البرازيل ، وفى يوم ٢٦ يوليو ١٩٦٠ ، ذكرت الدكتور/

القيسونى بكل تفاصيل الاتفاقيات المزمع عقدها مع وفد عرب المهجر الأرجنتينى، وتجهيز صورة الاتفاق السابق إعدادها أثناء تحضير اتفاقية عرب مهجر البرازيل،والخاصة بعرب مهجر الأرجنتين؛ لتكون مع وفد الجمهورية العربية المتحدة المزمع اشتراكه فى لقاء وفد الأرجنتين.

وصل وفد عرب المهجر الأرجنتينى يوم ٢٦ يوليو ١٩٦٠، وتم استقباله بمعرفتى، وبصحبة وزير التجارة بمطار القاهرة، وتمت استضافتهم بفندق كونتيننتال وصاحبهم جميع المسئولين عن الضيافة حتى الفندق، ليتم تناولهم العشاء بمطعم الفندق نفسه، وفى صباح يوم ٢٧ يوليو ١٩٦٠ صحبت وفد عرب المهجر الأرجنتينى، ومعى وزير التجارة المصرى لنصل إلى قصر القبة؛ للقاء الرئيس جمال عبد الناصر فى الساعة العاشرة صباح يوم ٢٧ يوليو ١٩٦٠، وما أن وصلنا إلى قصر القبة وصعدت إلى صالون القصر حتى فوجئنا بدخول الرئيس جمال عبد الناصر، لاستقبال الوفد بكل ترحاب واهتمام، الأمر الذى كان له أكبر الأثر على نفسية أعضاء الوفد، وشعورهم بالسعادة والهناء لملاقاة زعيم الأمة العربية، ورائد حريتها وكرامتها مبدين سعادتهم الكبرى بإتمام هذا اللقاء، الذى انتظروه كثيراً حتى تحقق لهم الأمل المنشود. الأمر الذى سيظل منارة الأمل، وعلامة التقدير، والحب والإخلاص والوفاء، طالما بقوا على قيد الحياة.

وما أن جلسوا حول الرئيس فى الصالون حتى بادرهم - بكل ما يعنيه الحب والتقدير لهم، ولإخوانهم أبناء عرب المهجر، من شوق واهتمام كبير -بالاطمئنان على حياتهم ومعيشتهم، ورغبة الرئيس عبد الناصر المستمرة فى أن يطمئن على كريم ما يلاقونه من حياة واهتمام من كل أبناء الشعب الذى فتح قلبه لاستقبالهم كمهاجرين إلى بلدهم الجديد، وكلهم ثقة وإيمان واطمئنان على حياتهم، وحياة أسرهم، وطيب معيشتهم، وسط شعب مخلص أمين كريم.

وانتهى اللقاء بعد الترحيب الكامل، ليدعوهم الرئيس عبد الناصر لحفل العشاء المقام بقصر القبة على شرفهم فى الساعة السابعة مساء اليوم نفسه هم وأسرهم، الذين سيسعد الرئيس عبد الناصر أن يستقبلهم فى حدائق قصر القبة، حيث يقام حفل استقبالهم وسط حدائق قصر القبة؛ ليسعدوا جميعاً بالالتقاء بالوفد المصرى المدعو لتكريمهم بصحبة الرئيس جمال عبد الناصر، وينتهى عشاؤهم ليحتفل بهم قصر القبة بحفل ساهر يستمعون فيه إلى أحسن وأفضل الألحان العربية الموسيقية الأصيلة، وغناء أخوة لهم من جميع أنحاء الوطن العربى يحيونهم ويسمعون كل ما تتوق إليه أنفسهم بما يشنف آذانهم من أغان عربية قومية أصيلة.

وفى الساعة الثانية عشرة مساءً أُختتمت السهرة الموسيقية والغنائية ليصطحب السيد وزير التجارة أعضاء الوفد وأسرهم إلى فندق الضيافة، متفقاً معهم على لقائهم صباح الغد فى العاشرة صباحاً؛ ليصطحبهم إلى وزارة الاقتصاد والتجارة للقاء الدكتور/ القيسونى، لمباشرة اجتماعات الوفدين: وفد عرب مهجر الأرجنتين، ووفد الجمهورية العربية المتحدة بالقاهرة؛ لتبادل الآراء، والاتفاق على تطوير العلاقات التجارية والاقتصادية بين البلدين: ج.ع.م والأرجنتين.

وقد استغرقت هذه المفاوضات الأخوية ثلاثة أيام، لتشمل جميع صور وتفاصيل ما تحتاجه العلاقات الاقتصادية، والتجارية بين البلدين، لمضاعفة واتساع قدرات التعامل بين البلدين إلى النحو المطلوب لمصلحة الشعبين الأخويين .وبالفعل تم إنهاء جميع تفاصيل الاتفاقية فى ثلاثة أيام، وتم التوقيع عليها بمعرفة الدكتور /عبد المنعم القيسونى، وفور هذا الإجراء تم اصطحاب أعضاء وفد الأرجنتين للقاء الرئيس جمال عبد الناصر، وتوديعه بعد أن يعتمد هذه الاتفاقية، ولم يدخر الرئيس عبد الناصر ذخراً فى التركيز على إتاحة الفرصة أمام أعضاء الوفد وأسرهم فى البقاء على أرض القاهرة ما شاءت إرادتهم، وأن يستفيدوا بوجودهم وما تحتاجه معرفتهم وإلمامهم بكل صغيرة وكبيرة يستمتعون بها.

وتم اللقاء وودعهم الرئيس جمال عبد الناصر بكل صور التكريم والشكر والتقدير، أملاً وواعداً بتوافر اللحظة المناسبة ليزورهم على أرض الأرجنتين بحمد الله وتوفيقه.

وإزاء إتاحة الفرصة أمامهم للبقاء كيفما يشاءون، تم اتفاقهم معنا على الاستمرار فى الزيارة؛ للاستمتاع بكل ما على أرض القاهرة من آثار، وطقس معتدل.

خاتمة

ان التطلع إلى المستقبل من خلال عمليات الإعداد الجيد لمواجهة التزامات الانطلاق الآمن المخطط له بكل عناية لا يمكن أن يتم من فراغ بل يتحتم وبالضرورة أن يسبقه ويصاحبه وبصفة مستمرة إدراك عميق، ورعاية كاملة لأبعاد وتفاصيل أسلوب التخطيط الواعى للأهداف المطلوب الوصول إلى تحقيقها، من نضال وحركة مرسومة بكل عناية، فى إطار من العلمية والواقعية والموضوعية.

ومن المهم أن يتسم هذا الإدراك بالأسس التالية :

أولاً : استيعاب كامل ودقيق لمراحل وتوقيت تنفيذ التخطيط المطلوب بكل أبعاده، بانتصاراته وسلبياته، من خلال تحليل علمى، وتقييم ثورى، قادر على استخلاص العبر والدروس المستفادة.

ثانياً : إتمام دراسة تحليلية واعية وتفصيلية لواقع ميدان وساحة تنفيذ الخطة الموضوعة، بما يحمله هذا الواقع من تناقضات وتحديات خارجية وداخلية، عرقلت - وما زالت تعرقل - قدرة المد العربى القومى الإيجابى على بلورة أهداف النضال الشعبى العربى، فى إطار من الوحدة النضالية، مع استعراض للموقف الدولى المعاصر، والقوى المتصارعة على مسرحه، وأثر هذا الصراع على معركتنا المصيرية.

ثالثاً : إعادة تقييم قدرات القوى المعادية، بعيداً عن السطحية العاطفية، أو الاندفاع اللا واعى، تجنباً لأى انزلاق جديد، لوضع قدراتنا النضالية بكل قواها وإمكاناتها فى

مستوى المواجهة المطلوب للانتصار فى تحقيق أهداف معركتنا بكل يسر، وبالسرعة المطلوبة بلا معوقات غير مطلوبة تعرقل كسبنا للمعركة النضالية المنشودة.

رابعاً : التحديد الدقيق المدروس لأبعاد المستقبل العربى المنشود، على أساس من الوعى والإلمام؛ للاستفادة بعبر ودروس النضال العربى فى ماضيه وحاضره.

وبهذا المنطلق فى الإدراك يتحدد - وبصورة واضحة - دور جيلنا العربى فى تصور ورسم بناء المستقبل لشعبنا العربى. وبغير هذا المنهج العلمى لا يمكن أن ندعى أن جيلنا على مستوى المسئولية الجادة، والقادرة على تحديد طريقنا للمستقبل الزاهر المنشود.

وبغير التصاقنا بواقع أمتنا والتحامنا بجماهيرنا العريضة لشعبنا العربى، لا يمكن لنا أن نستشعر آلامها ، ونجسد إرادتها فى الصمود والنضال، ولا يمكننا القول بأننا نبنى البناء الراسخ، القادر على إكساب نضالنا العربى قدراته الكلية، لدق أبواب النصر من موقع قدرة ومنعة.

لقد بدأت شرحى التفصيلى - كما أوردته فى بداية الأبواب الأولى لكتابى « عبد الناصر وعرب المهجر » هذا - بالتركيز على تناقضات الوطن العربى بكل نوعياتها، وتفاصيلها، وكيفية نشأتها، وعلى يد من انتشرت سلبياتها، ومدى تأثير هذه التناقضات على الواقع العربى خلال القرون العشرة الأولى، التى صاحبت لجوء العديد ممن فرضوا أنفسهم كمفكرين ، وقادة دينيين على المجتمع العربى، متسترين بغطاء إعلانهم، لإيمانهم بالإسلام ثم استبدال هذا الأسلوب المتستر بالإسلام، ليعلن بعض دعاة الإسلام من هؤلاء العناصر الشاذة التى تبنت لنفسها أسماء، وعنصريات ، وطوائف. ..الخ ، مستغلين سيطرتهم على بعض أبناء المجتمع العربى المنتشر على ساحة الوطن العربى الكبيرة، مستخدمين ما أعلنوه من مذاهب أدخلوها على الإسلام؛ بهدف كسب شخصى لأنفسهم على حساب الدين الإسلامى.

ولم يقتصر الأمر عند هذا الموقف، بعد ما نال الخلافة العباسية ببغداد من ضعف، ووهن على يد جلاسقة الأتراك، ليغزوا بغداد قراصنة الهمجية البربرية، التتار الذين دمروا كل الدول التى وصلوها من بغداد حتى بلاد الشام، حتى قضى عليهم قطز. ويأتى بعد ذلك ملوك أوروبا الطامعون فى أرض المشرق العربى، ليغزوا بلاد الشام؛ طامعين فى خيرات أرضها، إلى أن التف حكام العرب مع صلاح الدين الأيوبى، الذى تمكن من الانتصار على ملوك الصليبيين وإبعادهم عن أرض الشام، وتأتى بعد ذلك غزوات الإمبراطورية العثمانية، لتحتل معظم الأراضى العربية؛ لتستولى على خيراتها فارضة أطماعها، ولتفرض

عنصريتها على الأمة العربية بلا حق، وتحتل بلاد الشام؛ لتطرد أبناء الشام إلى خارج أراضيهم، ويرثها الاستعماران الفرنسى، والبريطانى ولتبدأ مسيرة النضال العربى ضد الاستعمار العثمانى وضد الاستعمارين الفرنسى والبريطانى، ذلك الاستعمار العنصرى الاستغلالى الإقطاعى على الأمة العربية، الذى اعتصر كل مواردها وخيراتها، حيث كان الوطن العربى يجسد البقرة الحلوب لهذه الإمبراطورية العنصرية.

وقد واجه الاستعمار العثمانى العديد من الانتفاضات التحررية، التى اتخذت صوراً عديدة من المقاومة لسلطة الآستانة، إلى أن تزايد الخطر الاستعمارى الأوروبى، الذى انطلق بشراهة، يبحث عن الثروات الطبيعية والبشرية خارج حدوده؛ لينهبها من أرض الوطن العربى.

ونظراً لموقع مصر الاستراتيجى؛ واجهت مصر العديد من القوى الاستعمارية، باعتبار أن من يسيطر على مصر يمكنه السيطرة على الوطن العربى كله.

إن الاستعراض السريع لمسيرة النضال العربى الطويلة المتصلة، تضع أمامنا الدروس المستفادة التالية؛ لنستوعبها ونعى أبعادها كالآتى :

١) إن الأمة العربية أمة واحدة، ذات قومية واحدة، تستند إلى تراث حضارى عظيم.

٢) إن الموقع الجغرافى الاستراتيجى المهم الذى تملكه الأمة العربية جعلها محل أطماع وصراعات القوى الاستعمارية الكبرى، التى ظهرت على المسرح العالمى قديماً وحديثاً.

٣) إن واقع التجزئة والتخلف الذى مزق الوطن العربى جاء وليد مخططات قوى غربية ودخيلة على المجتمع العربى؛ بهدف تفتيت كيان هذه الأمة، التى مارست دوراً حضارياً وإنسانياً على مر العصور.

٤) انعكست آثار التجزئة والتخلف فيما تعرضت له الأمة العربية والنضال العربى من نكسات متتالية.

٥) كلما توحدت كلمة العرب، وتجمعت طاقاتهم المادية والبشرية، والتحمت قدراتهم النضالية فى مواجهة التحديات، كانت قدرتهم على فرض وتحقيق النصر حتمية.

٦) أى تحرك إقليمى مهما كانت قدراته، ومهما حقق من انتصارات وقتية، فإنه يظل قاصراً عن تحقيق آمال الشعب العربى فى فرض إرادته على أرضه.

٧) إن ما نواجهه حالياً من تحديات استعمارية صهيونية ليس جديداً، بل هو استمرار للأطماع المستمرة فى السيطرة، واستغلال مقدرات الوطن العربى لمصلحة القوى الأجنبية.

٨) وحدة وتواصل النضال العربى القومى على بعد الزمان فى مواجهة القوى الدخيلة والغازية، التى استخدمت تمزيق الوجود القومى للأمة العربية ومقوماتها كأمة واحدة.

فإذا كانت أمتنا العربية بحقيقة وجودها القومى، وبإمكانيات أرضها المادية والبشرية، وبوحدة نضالها وتواصله، قد استطاعت - عبر الزمان - أن تصمد لتحديات الاستعمار والاستغلال، فإنها تستطيع إذا وفت الثورية والشعبية هذه الدروس المستفادة، أن تتخطى أى نكسة عارضة فى تاريخ أمة أسهمت بحق فى بناء حضارة الإنسان.

ماذا نعنى بالقدرات النضالية لقوى الشعب العربى المناضل ؟

لاشك أن المقصود بما نعنيه هو تحديد صورة واضحة للإمكانيات المطلوب توافرها فى المؤهلين لتحمل مسئوليات النضال على النحو التالى :

١ـ الفرد المناضل على التحلل من منطلقات السلوك الذاتية، فى إطار خدمة أهداف الجماهير التى ينتمى إليها، وبمعنى أخر، صهر قدراته الشخصية فى بوتقة العمل) الجهاد(من أجل المجموع.

٢ـ النزوع المستمر إلى التضحية بالأهداف الذاتية للفرد، فى سبيل الأهداف العليا لجماهير الشعب، باعتبار أن تحقيق الفرد لأهداف الشعب هو فى الوقت نفسه تحقيق لأهدافه.

٣ـ القدرة على المجابهة الموضوعية للواقع، مع تجميع كل الطاقات المتاحة لحل مشكلات هذا الواقع، من خلال وعى مستمر، وعميق، يفرق بين الاستراتيجية الدائمة والتكتيك المرحلى للعمل النضالى.

٤ـ الواقعية والموضوعية فى مواجهة الفرد لنفسه، للتعرف على قدراته إيجابياً وسلبياً، على أن يقيم من ضميره رقيباً على تصرفاته وسلوكه مع نفسه، أو مع الغير، ولا يتأتى هذا الموقف ما لم يكن لدى الفرد الاستعداد لنقد ذاته؛ بهدف المزيد من الحركة الإيجابية.

٥ـ الاستعداد لتحمل المسئولية، وبذل كل غال ورخيص؛ وفاءً منه لمجتمعه

٦ـ القدرة على إعطاء المثل والقدوة، عن طريق طرحه لنفسه مع الالتزام بالسلوك النضالى.

ولاشك أن تفاعل هذه القدرات مع بعضها البعض تكون محصلة القدرات النضالية الواعية للمناضل العربى، وتؤهله ليمارس دوره الخلاق والإيجابى وسط جماهير التحالف، وتشكل شخصيته النضالية.

ولاشك أنه من المسلمات التى يدركها ويعيها كل مواطن عربى، أن أى خطة شاملة لا يمكن أن تحقق أهدافها ما لم يتحدد - وفى إطارها - واجب كل مواطن، تحديداً تفصيلياً، وفى صورة مسئوليات تستند إلى قدرة الفرد نفسه على أداء هذه المسئوليات.

كما أن تصور العمل النضالى محصوراً فى المجال الداخلى للوطن العربى يعتبر تصوراً قاصراً لمفهوم العمل النضالى، وحصراً لقدراته - اللا محدودة - فى نطاق لا يحقق لخطة العمل العربى قدرتها على الحركة الطليقة فى مجالاتها الرئيسية الثلاثة : السياسية ، والاقتصادية ، والعسكرية.

وبمعاصرتى لواقع وأوضاع الوطن العربى من المحيط إلى الخليج، ومن تركيا شمالاً إلى السودان جنوباً، وبصورة متابعة يومية ومستمرة، منذ تفجر ثورة 23 يوليو 1952 ، وتحملى مسئولية الاهتمام بتطورات الأحداث على اتساع ساحة الوطن العربى؛ بهدف التوصل بأسرع ما يمكن لجميع المؤثرات، والتعرف على كل المعوقات، التى تقف عقبة فى مسيرة وقدرات أبناء الأمة العربية على الانطلاق بكل يسر وتوفيق فى تحقيق أهداف وتطلعات مناضلى الوطن العربى، المتصدين لمواجهة مختلف القوى المضادة؛ لممارسة حقهم فى القضاء على جميع محاولاتها لحرمان أبناء الأمة العربية من حقهم الطبيعى فى ممارسة حياتهم الكريمة ومعيشتهم المنشودة على أفضل مستوى، واطمئنان يسوده السعادة والهناء، بعيداً عن كل متاعب الحياة المترتبة على أى تدخل أجنبى أو داخلى مقصود به إثارة المشكلات وحرمان أبناء الوطن العربى من أى حق من حقوقهم الطبيعية القانونية، ومواصلة حياتهم فى واقع الحياة السعيدة الآمنة، ويهمنى أن أوضح - بكل السعادة - عدم تردد الرئيس جمال عبد الناصر -منذ تفجيره للثورة - فى الاهتمام المستمر بكل تطورات الأحداث؛ للقضاء على أى محاولة لإثارة المشكلات التى تعوق استمتاع أبناء أى فرد من أبناء الوطن العربى بالحياة الحرة السعيدة الآمنة، والبعيدة عن أى تدخل من أى عناصر أو قوى معادية، تحاول إثارة المشكلات، أو اغتصاب أو استغلال أى مكسب شخصى من ثروات الوطن العربى، أو أى ساحة من ساحاته ليستغلها لمصلحته الشخصية.

وما أن علم الرئيس جمال عبد الناصر باغتصاب الاستعمار العثمانى لخيرات الوطن العربى، ولجوئه إلى اغتصاب ثروات الأمة العربية، وإرغام مواطنى بلاد الشام التى احتلها بقوة السلاح وفرض سيطرته عليها، على الهجرة، وبادر باستبعاد مواطنى سوريا، ولبنان، وفلسطين عن وطنهم الأم مكتفياً بمنحهم بطاقات سفر باسم توابع أتراك) توركزاً(ليرحلوا ساعين لاستيطان بعض دول أمريكا اللاتينية، وليبدأوا حياتهم من الصفر فى

حالة حرمان واحتياج ، وما أن أوضحت وشرحت للرئيس جمال عبد الناصر حقيقة موقف عرب المهجر بعد أن استمع لوضعهم من بعض رؤساء البعثات الدبلوماسية السوريين بعد التوقيع على اتفاق إتمام الوحدة بين سوريا ومصر، وقيام دولة الوحدة الأولى - الجمهورية العربية المتحدة - حتى كلفنى فوراً بالسفر إلى أمريكا الشمالية، وباقى دول أمريكا اللاتينية، التى استوطنها أبناء أرض الشام مواطنو كل من سوريا، ولبنان، وفلسطين لاستيطان البرازيل، والأرجنتين، وشيلى بعد ولاية سان فرانسيسكو بأمريكا الشمالية؛ لدراسة أوضاع هؤلاء المغتربين المطرودين بواسطة جبروت وطغيان الاستعمار العثمانى بداية، ولينحو الاستعماران الفرنسى، والبريطانى أسلوب الاستعمار العثمانى السابق، وليستعبد أبناء الشام، ويرحلهم بالقوة الجبرية إلى أمريكا اللاتينية.

وليطالبنى الأخ الأكبر الزعيم والرئيس جمال عبد الناصر لأعود إليه بعد دراسة أوضاع عرب المهجر، وتأمين موقفهم ، وحياتهم كمستوطنين لدول أمريكا اللاتينية، وتعميق ارتباطهم بالوطن الأم بكل قوة وتقدير وأخوة؛ ليشعروا باهتمام وتقدير من أبناء وطنهم الأم، وأخوتهم أبناء الوطن العربى الكبير.

ولم يمض على عودتى أكثر من أشهر معدودة، حتى سعدنا باستقبال ممثلى عرب المهجر من جميع أوطانهم الجديدة؛ ليرتبطوا بنا ارتباطاً كاملاً اقتصادياً ، واجتماعياً ، وثقافياً.





عبد الناصر وعرب المهجر

أوكل الرئيس عبد الناصر الى الاستاذ فتحى الديب مهمة تسجيل كل ما يتعلق بالخطوط الرئيسية التى تستند اليها خطة تحرك الثورة النضالى فى دعم جميع حركات التحرر العربى على اتساع ساحة الوطن العربى . . فكانت الكتب التالية :

١ - عبد الناصر وتحرير المشرق العربى.

٢ - عبد الناصر وثورة الجزائر متضمنا تونس ومراكش.

٣ - عبد الناصر وثورة ليبيا.

٤ - عبد الناصر وحركة التحرر اليمنى.

٥ - عبد الناصر وثورة ايران

وأخيرا جاء الكتاب السادس عبد الناصر وعرب المهجر والإرتباط بالوطن الأم، وقد تضمنت هذه الكتب ايضاح كل ما يتطلبه التحرك النضالى والتفصيلى فى إطار دعم جماهير الأمة العربية على ساحة الوطن العربى الكبير.

فى هذا الكتاب الأخير اتصل أ. فتحى الديب بعرب المهجر بشيلى وبيرو والأرجنتين وأورجواى وكان اللقاء الأخير بعرب المهجر بالبرازيل لدراسة أوضاعهم وتأمين موقفهم وحياتهم وتعميق ارتباطهم بالوطن الأم . . ولم يمض وقت طويل منذ قدم الكاتب تقريره الى عبد الناصر حتى استقبلت مصر ممثلى عرب المهجر من جميع اوطانهم الجديدة ليرتبطوا بنا ارتباطا كاملا اقتصاديا واجتماعيا وثقافيا.



